بصائر مصطفاة
للداعين الى الله

إعداد
علي جمال الدين محمد
إمام وخطيب (سابق) بوزارة الأوقاف

بصائر مصطفاة للداعين الى الله
علي جمال الدين

بصائر مُصطفاة

للداعين إلى اللّه

{ خُطب : الثورة ـ الفقه وأصوله ـ مُناسبات ـ مُتنوعة }

على جمال الدين محمد جمال الدين

إمام وخطيب { سابق } بوزارة الأوقاف

شكر واجب

للأستاذ الفاضل / خالد فؤاد العوام ـ كبير مُعلمى اللُغة العربية بوزارة التربية والتعليم ـ على مُراجعته للكتاب ومُلاحظاته وآرائه القيمة.

طُبع هذا الكتاب على نفقة الكاتب

صدقة جارية لوجه اللّه تعالى

{ نسألكم الدعاء }

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ، أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا. واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له واشهد أن محمدًا عبده ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه ، اللهم صل وسلم وبارك عليك سيدى يا رسول الله ، وعلى الذين آمنوا بك وعزروك ونصروك واتبعوا النور الذى أنزل معك ، أما بعد ،،،

فقد وفقنى الله ﷻ لإخراج كتاب بعنوان :

{ الموضوعية فى الخُطب المنبرية }[1]

والذى ضم بين دفتيه أربعين خُطبة فى العقيدة ، والعبادات والمُعاملات ، والأخلاق ، بواقع عشر خُطب فى كل باب من هذه الأبواب الأربعة ، اخترتُها من بين مئات الخُطب التى امتن الله ﷻ بها علىَّ خلال مسيرتى فى الدعوة منذ عام ١٩٨٣

وقد حظى هذا الكتاب بفضل الله ﷻ وواسع نعمته من قبول لدى القارئين والأئمة والدُعاة الأمر الذى حثنى على مواصلة إعداد خُطب أخرى تضمنت موضوعات حديثة توافقت مع الأحداث التى مرت بها البلاد خلال ثورة الخامس والعشرين من يناير عام ٢٠١١ ، وغيرها من موضوعات أخرى رأيت فيها ما يُفيد الدُعاة فى خُطبهم لتوضيح

[1] ـ دار المنار

مفاهيم وحقائق ربما غابت عن الكثير من الناس وعلى الأخص فى هذه الأيام التى شاب الدعوة الإسلامية فيها الكثير من الأهواء والمصالح الشخصية ، وأصبح العمل بالدعوة الإسلامية مجالاً خصبًا للأدعياء والمُنتحلين والمُبطلين الذين يبُثون سموم الفتنة بين الناس أعاذ الله ﷻ البلاد والعباد من شرورهم وأهوائهم.

هذا وإن كان فيما عرضتُه من موضوعات خير ونفع فمن الله ﷻ بفضله وكرمه وواسع رحمته ، وإن رأى القارئ العزيز غير ذلك فأسأل الله ﷻ أن يجعل إخلاص نيتى شفيعًا لتقصيرى وغفلتى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

على جمال الدين محمد جمال الدين

إمام وخطيب { سابق } بوزارة الأوقاف

القاهرة فى ١٧ ذى القعدة ١٤٣٥

الموافق ١٢ /٩ /٢٠١٤

الفصل الأول

خُطب الثورة

١ـ العدل أساس الأمن

٢ ـ صُناع الظلم والفساد

٣ ـ تُجار الدين

٤ ـ ولا تقف ما ليس لك به علم

٥ ـ الأنانية

٦ ـ الجدال

٧ ـ الوحدة أساس البناء

٨ ـ سُنة الاختلاف

العدل أساس الأمن[1]

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ أما بعد ،،،

فمن أعظم النعم التى يمن بها المولى ﷻ على الإنسان أن يعيش فى أمن وأمان ، طُمأنينة بلا خوف ، وسكينة بلا روع ، ثم يأتى بعد ذلك الاستمتاع بخيرات الدنيا. فحينما أهبط الله ﷻ آدم وحواء - عليهما السلام - إلى الأرض قال ﷻ :

﴿ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾[2]

فقدم المولى ﷻ الاستقرار الذى لا يتحقق إلا بالأمن على المتاع ، فلا متاع بلا أمن. وذكر الحق ﷻ دعوة نبى الله إبراهيم عليه السلام لمكة فبدأ أولاً بالدعاء بالأمن :

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾[3]

وامتن المولى على قريش بأمان بيته الحرام ثم ذكر بعد ذلك نعمة الرزق.

قال ﷻ : ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[4]

وبين رسول الله ﷺ أن الأمن من مُقومات الحياة ، التى إن توافرت للإنسان فكأنما جمع الدُنيا بأسرها.

---

[1] - ألقيت هذه الخطبة فى غرة شهر ربيع الأول عام ١٤٣٢ هـ الموافق ٢٠١١/٢/٤ أثناء أحداث ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ بمسجد التوحيد - حدائق القبة - وتنازل الرئيس السابق حسنى مبارك عن الحكم فى الجمعة التالية ٢٠١١/٢/١١

[2] - البقرة - ٣٦

[3] - البقرة - ١٢٦

[4] - القصص - ٥٧

فقال ﷺ : { من أصبح منكم آمنًا فى سربه ، مُعافى فى جسده ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدُنيا بحذافيرها }(١)

ولا يقبل النبى ﷺ أن تُنزع نعمة الأمن وأن يُروع الأخ أخاه حتى وإن كان على سبيل المزاح. فيُروى أن أحد الصحابة مرر حبلاً على وجه صاحبه وهو نائم ، فقام من نومه مفزوعًا ، وآخر أخذ نعل صاحبه فأخفاه ، فيغضب النبى ﷺ من تلك المواقف ويقول : { لا يحل لمُسلم أن يُروع مُسلمًا }(٢)

ويقول أيضًا ﷺ : { لا تُروعوا المُسلم ، فإن روعة المُسلم ظُلم عظيم }(٣)

ومن أسمائه الحسنى ﷻ المؤمن ، قال ﷻ : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ﴾(٤)

ومعنى المؤمن أنه ﷻ باعث الأمن ومصدر كل أمان. فلا أمن ولا آمان إلا من الحق ﷻ. فكيف يتحقق الأمن ؟ وكيف يعيش المُجتمع فى أمان ؟

العدل أساس الأمن :

فى سورة النور وعد من الله ﷻ لعباده المؤمنين الصالحين بالأمن ، وبيان لمنهج الإسلام فى تحقيق الأمن والأمان.

يقول ﷻ : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾(٥)

---

١ - أخرجه الترمذى - ك الزهد - ب التوكل على الله ، من رواية محصن الخطمى الأنصارى ﷺ

٢ - أخرجه أبو داود - ك الأدب - ب من يأخذ الشئ على المزاح

٣ - أخرجه الطبرانى ، من رواية عامر بن ربيعة ﷺ ، وصححه السيوطى فى الجامع الصغير (فيض القدير ج ٦ ص ٣٩٥)

٤ - الحشر - ٢٣

٥ - النور - ٥٥

إيمان بلا شرك وعمل صالح خالص لله ﷻ يُثمر القوة والتمكين والأمن والأمان. إيمان حق وصدق ، لا خداع وتزييف ولا ادعاءات باطلة ، إيمان يقوم على الحق والعدل ، فإقامة الحق والعدل وإزهاق الباطل والظُلم هو سبيل الأمن والأمان فى منهج الإسلام. قال ﷻ :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾(١)

إن أقمنا الحق وحكمنا بالعدل فثم الأمن والأمان ، وإن عم الظُلم والفساد ورضينا به وركنا إليه فلا عاصم لنا من غضب الله ﷻ.

قال ﷻ : ﴿ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾(٢)

المُساواة فى العدل :

الحق والعدل لا يُفرق بين حاكم ومحكوم ، ولا قوى وضعيف ، ولا غنى وفقير ، بل إن الله ﷻ يختص أصحاب المكانات الرفيعة والمنازل العالية ، لا بإعفائهم من العقوبة ولكن بتشديدها.

فيقول ﷻ : ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴾(٣)

إن الله ﷻ يضع لنا منهاجًا ودستورًا لإقامة العدل ، فحاشا لله ﷻ أن ينسب إلى أمهات المؤمنين الفواحش.

ويضرب لنا الحبيب المُصطفى ﷺ المثل الأعلى والقدوة فى نفسه ، فيقول ﷺ :

---

١ ـ الأنعام ـ ٨٢

٢ ـ هود ـ ١١٣

٣ ـ الأحزاب ـ ٣٠

{ من كنتُ جلدت له ظهرًا فهذا ظهرى فليستقد منه. ومن كنتُ شتمتُ له عرضًا فهذا عرضى فليستقد منه. ومن كنتُ أخذتُ منه مالاً فهذا مالى فليستقد منه }(١)

ويضرب ﷺ لنا المثل فى أقرب الأقربين إليه ، ابنته السيدة فاطمة ـ رضى الله عنها ـ فى واقعة المرأة المخزومية التى سرقت وأرادوا أن يشفعوا لها لشرفها.

فيغضب رسول الله ﷺ غضبًا شديدًا ويقول ﷺ فى الحديث :

{ إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت مُحمد سرقت لقطعت يدها }(٢)

أين منهج الإسلام من طواغيت الظلم والفساد الذين لا يُطبقون القوانين واللوائح وأحكام القضاء إلا على الضُعفاء ومن لا ظهر لهم.

فى شريعة الإسلام التى تقوم على الحق والعدل تُفرض الزكاة على الأغنياء ويُنفق منها على الفقراء ، فيسود المُجتمع الحُب والمودة والتآلف والتراحم فلا مكان للحقد والحسد والغل ، فيعيش الناس فى أمن وآمان.

أما فى المُجتمعات التى يحكمها الظلم والفساد فتُفرض الضرائب والرسوم والإتاوات والإكراميات على الفُقراء ، فيزدادون فقرًا وضيقًا ثم يُنفق من تلك الأموال على اللعب واللهو والعبث ، أما الأغنياء فيُشرع لهم الإعفاءات وتُفتح لهم أبواب الاحتيال والغش والتضليل ، فيجمعون الملايين بل المليارات ، يُفسدون بها فى الأرض أشد الفساد ، فلا أمن ولا أمان.

قال ﷻ : ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾(٣)

---

١ ـ أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ـ ك مرض رسول الله ووفاته ... ـ ب ما روى فى خطبة رسول الله ﷺ من بذل نفسه وماله ... ، من رواية الفضل ابن عباس رضي الله عنهما

٢ ـ البخارى ومسلم ـ ك الحدود ـ ب كراهية الشفاعة فى الحد ، ب النهى عن الشفاعة فى الحدود.

٣ ـ الإسراء ـ ١٦

منهج الإسلام واضح جلى لا لبس ولا غموض فيه ، صراط مُستقيم لا اعوجاج فيه ، الأمن والأمان لا يتحققان إلا بإقامة الحق والعدل ، أمن وأمان للمحكومين قبل الحاكمين ، وعدل للضُعفاء قبل الأقوياء.

وعلى هذا المنهج القويم والصراط المُستقيم تربى صحابة رسول الله ﷺ ، فلما ولىّ أبو بكر الصديق ﷺ الخلافة خطب الناس ، فقال :

" أيها الناس إنى وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينونى ، وإن أسأت فقومونى. الصدق أمانة والكذب خيانة. الضعيف فيكم قوى عندى حتى أُرجع عليه حقه ، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه. أطيعونى ما أطعتُ الله ورسوله ، فإن عصيتُ الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم "([1])

وعلى هذا المنهاج القويم والصراط المُستقيم كانت خلافة عُمر بن الخطاب ﷺ فقال فى خطبة له : " من رأى منكم فىّ اعوجاجًا فليقومنى.

فقال رجل : لو رأينا فيك اعوجاجًا لقومناه بسيوفنا.

فقال عُمر : الحمد لله الذى جعل فى أمة مُحمد من يُقوّم عمر بحد سيفه "

أقام عُمر ﷺ الحق والعدل ، فعاش المُجتمع بأسره فى أمن وآمان ، ولما رآه رسول كسرى ـ ملك فارس ـ ينام تحت ظل شجرة تعجب من حاله ، حاكم بلا خدم ولا حاشية ولا حرس مُدجج بالسلاح والعتاد ! فقال قولته المشهورة :

" حكمت فعدلت فأمنت فنمت يا عُمر "

الظُلم والبغى والطُغيان ، خوف ورعب يعيش فيه المُجتمع بأسره ، مهما تحصن الحاكم بحصون مُشيدة وقوات مُدججة.

والعدل أمن وأمان للحاكم والمحكومين ، لا يحتاج فى ظله الحاكم لحراسات عامة أو خاصة.

---

[1] ـ البداية والنهاية ج ٦ ص ٣٠٥ ، ٣٠٦

قال ﷻ : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾(١)

وقال ﷻ : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾(٢)

وكما وعدنا الله ﷻ بالأمن والقوة والتمكين إن آمنا به حق الإيمان واليقين فيُبدل أحوالنا من خوف إلى أمن ، ومن ضعف إلى قوة ، ومن ضيق إلى سعة.

ويضرب لنا المولى ﷻ مثلاً آخر على خلاف المثل السابق لأمة يتبدل حالها من أمن إلى خوف ، ومن سعة إلى ضيق وكرب.

يقول ﷻ : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾(٣)

كفرت بنعم الله ﷻ فلم تعرف حق خالقها ورازقها.

الأمن والأمان لا يتحقق إلا بالإيمان والعمل الصالح وإقامة الحق والعدل والأخذ على يد الظالمين.

نقول الحق ولا نخشى فى الله لومة لائم ، كما قال ﷻ فى وصف المؤمنين :

﴿ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾(٤)

---

١ - النحل - ٩٧

٢ - الأعراف - ٦٦

٣ - النحل - ١١٢

٤ - المائدة - ٥٤

الخُطبة الثانية :

البلاء بمعنى الاختبار والامتحان والتمحيص هو سُنة الله فى خلقه.

قال ﷻ : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾(١)

فلم نُخلق لنأكل أطايب الطعام ونلبس الفاخر من الثياب ، ونتقى الحر بأحدث التكييفات ، وندع الجد والاجتهاد والصبر والجهاد ، فكيف إذًا ندخل الجنة ؟ !

قال ﷻ : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾(٢)

ويقول ﷻ : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾(٣)

الكثير من الناس يتعلل بالخوف من بطش الظالمين وجبروت المُفسدين يخاف على نفسه ، وعلى رزقه وأهله ، ونغفل عن أن هذه المواقف الشديدة هى المعيار والبُرهان الذى يُمحص ويُحقق الإيمان. قال ﷻ فى وصف المؤمنين :

﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ۝ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ۝ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(٤)

---

١ ـ الملك ـ ١ ، ٢

٢ ـ البقرة ـ ٢١٤

٣ ـ آل عمران ـ ١٤٢

٤ ـ آل عمران ـ ١٧٣ : ١٧٥

وفى الحديث يقول ﷺ : { سيد الشهداء حمزة ، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله }(١)

ويروى بشر بن الخصاصية ﷺ قال : { أتيت رسول الله ﷺ أبايعه ، فاشترط أن لا إله إلا الله وأن محمد عبده ورسوله ، وأن أُقيم الصلاة وأن أؤدى الزكاة وأن أحج البيت وأن أصوم رمضان ، وأن أجاهد فى سبيل الله. فقلت : يا رسول الله أما اثنتان فو الله ما أطيقهما. الجهاد والصدقة. قال بشر : فقبض النبى ﷺ يده ثم حركها ـ مُتعجبًا ـ ثم قال ﷺ : لا جهاد ولا صدقة ، فلم إذن تدخل الجنة ؟ فقلت : يا رسول الله أبسط يدك أبايعك. فبسط يده ﷺ فبايعته عليهن كلهن }(٢)

الكثير منا يظن أنه بأداء الفرائض والبعد عن المُحرمات يكون قد أدى ما عليه وأن الله ﷻ راض عنه ، ويغيب عنا فريضة الجهاد فى سبيل الله ﷻ ، ولو بكلمة كلمة حق فى وجه سُلطان جائر ، مهما كان مركزه ومنصبه وسُلطانه ، فلا نخضع للظالم ولا نرضى بالفاسد. وفى ذلك يقول الحبيب المُصطفى ﷺ :

{ إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك الله أن يعمهم بعقاب من عنده }(٣)

ويقول ﷺ فى الحديث أيضًا : { المُسلم أخو المُسلم لا يظلمه ولا يخذله }(٤)

فحق المُسلم على المُسلم لا يقتصر على الامتناع عن ظُلمه فقط ، بل يجب عليك نُصرته ، والوقوف معه فى مواجهة الظالم ، مهما كان شأنه ومكانته.

وفى الحديث القدسى يقول ﷻ : { وعزتى وجلالى لأنتقمن من الظالم فى عاجله وآجله. ولأنتقمن ممن رأى مظلومًا فقدر أن ينصره فلم يفعل }(٥)

---

١ ـ أخرجه الحاكم فى مستدركه ـ ك معرفة الصحابة ﷺ رقم ٤٩٥٠ ، من رواية جابر بن عبد الله ﷺ

٢ ـ أخرجه أحمد فى مسنده ـ ج ٥ ص ٢٢٤

٣ ـ أخرجه أبو داود ك الملاحم ب الأمر والنهى ، والترمذى وابن ماجة ك الفتن ، من رواية أبى بكر الصديق ﷺ

٤ ـ أخرجه مسلم ـ ك البر والصلة ـ ب تحريم ظلم المسلم .. ، من رواية أبى هريرة ﷺ

٥ ـ أخرجه أبو الشيخ من رواية ابن عباس ﷺ (المنذرى ك القضاء ب الترهيب من الظلم ودعاء المظلوم وخذله)

صُناع الظُلم والفساد[1]

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ أما بعد ،،،

فمن النوادر القديمة التى يتندر الناس بها قصة القروى البسيط الذى نزل إلى المدينة فلقيه نصاب فباع له الترام.

والناس حينما يذكرون هذه الفُكاهة لا يقصدون بها الإعجاب بذكاء وفطنة النصاب ، وإنما يتندرون على سذاجة وغفلة هذا القروى البسيط.

ولكننا وللأسف الشديد شُغلنا هذه الأيام فى أعقاب الثورة المجيدة بالحديث عن المُفسدين وكيف نهبوا أموال بلادنا وثرواتنا ، وعن الطواغيت وكيف كانوا يحكموننا بالظُلم والاستبداد ، وغفلنا عن أننا نحن الذين صنعنا هؤلاء المُفسدين الظالمين ، بالخوف الذى ملأ قلوبنا ، وبضعفنا وهواننا وسكوتنا عن الظُلم والفساد ، وبدلاً من أن نتواصى بالحق ، كما وصف المولى ﷻ عباده الصالحين فى سورة العصر ، أصبحنا فيما بيننا نتواصى بكتمان الحق وعدم الجهر به خوفًا على أنفسنا وأهلنا وأرزاقنا وأعمالنا ، وصدق فينا قول المولى ﷻ :

﴿ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ﴾[2]

بل لقد وصل بنا الحال لأن نستهزئ ممن يقول كلمة حق. فمن قائل يقول عنه إنه يظن نفسه عُمر بن الخطاب ﷺ. وقائل آخر يقول : يظن نفسه سيُصلح الكون إلى غير ذلك من أساليب السخرية ، على الرغم من أن العرب قبل الإسلام كانوا يُلقبون رسول الله ﷺ الصادق الأمين ، بما يعنى أن الصدق كان عندهم فضيلة والأمانة شرف عظيم. أما نحن فقد أصبح الصدق والأمانة مسارًا للسُخرية.

فرعون وقومه :

فى كتاب الله ﷻ يقص علينا المولى ﷻ من قصص أنبيائه ورسله - عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى السلام - ما فيه أعظم العبر وأجل العظات.

---

[1] - ألقيت هذه الخطبة بمسجد التوحيد ، بحدائق القبة ، بتاريخ ٢٠١١/٣/٤

[2] - النساء - ٧٧

يقول ﷻ : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾(١)

فيقص علينا الحق ﷻ ما كان من أمر نبى الله موسى عليه السلام مع فرعون ، هذا الحاكم الذى اغتر بمُلكه الذى وهبه الله ﷻ له ، فقال :

﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾(٢)

كبر وغرور جعله يحكم برأيه هو دون إرادة الناس ، لا حُكم إلا حُكمه ولا مُعقب ولا راد لأمره ، هكذا يُقرر فى كبر وعجب وصلف :

﴿ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾(٣)

يبطش ويظلم كيف شاء ، فيتوعد من آمن بالله ﷻ فيقول :

﴿ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴾(٤)

ويقول أيضًا : ﴿ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾(٥)

ووصل به الكبر والغرور لادعاء الألوهية ، فيقول :

﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي ﴾(٦)

ويقول أيضًا : ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴾(٧)

بيد أن الله ﷻ يبين لنا كيف وصل فرعون لهذا الكبر والجبروت والبطش والطغيان ، فيقول ﷻ :

---

١ - يوسف - ١١١

٢ - الزخرف - ٥٢

٣ - غافر - ٢٩

٤ - طه - ٧١

٥ - الأعراف - ١٢٧

٦ - القصص - ٣٨

٧ - النازعات - ٢٤

﴿ فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ۝ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ سَلَفٗا وَمَثَلٗا لِّلۡأٓخِرِينَ ﴾(١)

انتقمنا من فرعون ومن أطاعه ورضى وسكت عن ظُلمه وفساده. وقد صاغ الناس من ذلك مثلاً : " قيل لفرعون ما الذى فرعنك ، قال لم أجد من يردنى "

<u>الإصلاح :</u>

إن الله ﷻ أراد لنا أن نعيش أقوياء شُرفاء أعزاء ، لا نرضى لأنفسنا الذل والمهانة ، يقول ﷻ :

﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾(٢)

لا نستسلم للظالمين ولا للفاسدين ، لا نعاونهم ولا نركن إليهم ولا نسكت على ظلمهم وفسادهم ، فالساكت على المُنكر شيطان أخرس ، كما ورد فى الأثر ، وفى الحديث يقول أسعد الخلق ﷺ : { لا يُحقرن أحدكم نفسه. قالوا وكيف يُحقر أحدنا نفسه ؟ قال ﷺ : يرى أمرًا لله عليه فيه مقال ، ثم لا يقول فيه.

فيقول الله ﷻ يوم القيامة : ما منعك أن تقول فىّ كذا وكذا ؟

فيقول العبد : يا رب خشيتُ الناس.

فيقول له المولى ﷻ : فإياى كنتَ أحقَ أن تخشى }(٣)

نريد أن نتعاون فيما بيننا ونتواصل ونتواصى ونجتمع يدًا واحدة فى مواجهة الفاسدين ، أمثال هؤلاء الذين يُنفقون الملايين لشراء أصوات الفقراء المُحتاجين فى انتخابات مجلس الشعب التى مرت علينا منذ وقت قريب ، لا يبتغون إلا أن يستردوا ما أنفقوه أضعافًا مُضاعفة ، بالكسب الحرام والغش والخداع ، أو أن يوفروا حماية لتجارتهم المشبوهة التى نعرفها جميعًا.

---

١ ـ الزخرف ـ ٥٤ : ٥٦

٢ ـ المنافقون ـ ٨

٣ ـ أخرجه ابن ماجة ـ ك الفتن ـ ب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، من رواية أبى سعيد الخدرى ﷺ.

نقف كذلك فى وجه المُهملين والمُرتشين نأخذ على أيديهم ونحملهم على الحق قسرًا ، فالفساد والإهمال إن لم يجد من يرده ويردعه عم الظُلم والفساد وشاع وانتشر ، كما رأينا فى العهد البائد الذى وسد فيه الأمر للمُرتشين الفاسدين فأصبحوا هم السادة والوزراء والحُكام ، فنهبوا ثروات البلاد ، وعاش الغالب الأعم من الناس فى ضيق وفقر.

يقول المُصطفى ﷺ : { إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك الله أن يعمهم بعقاب من عنده }(١)

ويقول أيضًا ﷺ : { والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المُنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذابًا منه ، ثم تدعونه فلا يُستجاب لكم }(٢)

وفى الحديث القدسى يقول الحق ﷻ : { وعزتى وجلالى لأنتقمن من الظالم فى عاجله وآجله.

ولأنتقمن ممن رأى مظلومًا فقدر على أن ينصره فلم يفعل }(٣)

وفى الحديث أيضًا يقول الحبيب المُصطفى ﷺ : { إن الله ﷻ أمر بقرية أن تُعذب ، فضجت الملائكة ، قالت : إن فيهم عبدك فلانًا.

فقال ﷻ : أسمعونى ضجيجه ، فإن وجهه لم يتمعر غضبًا لمحارمى }(٤)

المؤمن يجهر بكلمة الحق ولا يخشى فى الله لومة لائم ، كما قال ﷻ فى شأن المؤمنين الصادقين : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ۝ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ۝ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(٥)

---

١ ـ أخرجه أبو داود ـ ك الملاحم ، والترمذى وابن ماجة ـ ك الفتن ، من رواية أبى بكر الصديق ﷺ.

٢ ـ أخرجه الترمذى ـ ك الفتن ـ ب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، من رواية حذيفة ﷺ.

٣ ـ أخرجه أبو الشيخ ، من رواية ابن عباس ﷺ (المنذرى ـ ك القضاء ـ ب الترهيب من الظلم)

٤ ـ أخرجه البيهقى فى الشعب ـ ب فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

٥ ـ آل عمران ـ ١٧٢ : ١٧٥

إن كنتم مؤمنين حقًا فلا تخافوا من الظالمين ، ولا من المُفسدين ، مهما تحصنوا بمناصبهم وحراسهم ، فهؤلاء هم أولياء الشيطان الذين بين لنا الحق ﷻ ضعفهم وهوانهم إذا وقف أهل الحق فى وجههم.

يقول ﷻ : ﴿ فَقَـٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَـٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾(١)

إن الله ﷻ يُخيرنا بين الدنيا وما فيها من متاع ، وبين الجهاد فى سبيله.

يقول ﷻ : ﴿ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾(٢)

فتخير لنفسك أى السبيلين تسلك ، فإن اخترت الدُنيا وما فيها فلا تدعى بعد ذلك الإيمان والإسلام. إن الثورة التى نتغنى بها الآن ونفرح بقيامها ، وهو حق لنا لا مراء فيه ، كما قال ﷻ :

﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴾(٣)

أقول إن هذه الثورة لن تنجح ولن تؤتى ثمارها حتى يُراجع كل منا نفسه ويتعهد فيما بينه وبين ربه أن لا يركن بعد ذلك للظُلم ، ولا يرضى بالفساد ولا يسكت على الإهمال ، هكذا يُصلح الله ﷻ شأننا فنعيش فى عزة وكرامة.

يقول ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾(٤)

ويقول ﷻ : ﴿ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾(٥)

ويقول ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ ﴾(٦)

---

١ - النساء - ٧٦
٢ - التوبة - ٢٤
٣ - يونس - ٥٨
٤ - محمد - ٧
٥ - الأعراف - ٩٦
٦ - الرعد - ١١

الخُطبة الثانية :

عن أبى عُمران ﷺ قال : " كنا بمدينة الروم فأخرجوا إلينا صفًا عظيمًا من الروم ، وكان ذلك فى خلافة عُمر بن الخطاب ﷺ ، فخرج إليهم من المُسلمين مثله أو أكثر ، فحمل رجل من المُسلمين على صف الروم حتى دخل عليهم فقال الناس : سبحان الله يُلقى بيده إلى التهلكة. فقام أبو أيوب الأنصارى ﷺ فقال : أيها الناس إنكم لتأولون هذه الآية هذا التأويل ، وإنما نزلت فينا نحن معشر الأنصار ، لما أعز الله الإسلام وكثر ناصروه فقال بعضنا لبعض سرًا دون رسول الله ﷺ : إن أموالنا قد ضاعت ، وإن الله قد أعز الإسلام وكثُر ناصروه ، فلو أقمنا فى أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها. فأنزل الله ﷻ على نبيه ﷺ ما يرد علينا ما قُلناه ، قال ﷺ : ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۛ وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾(١)

فكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها ، وتركنا الغزو "(٢)

إن هلاك الأمم وضعفها يأتى من انصراف الناس إلى جمع الأموال من حلها وحرامها ، والخوف من بطش المُتكبرين وترك الجهاد فى سبيل الله ﷻ ولو بكلمة حق فى وجه الجائرين المُفسدين.

إنها دعوة للصدق مع النفس ، فكُل منا أبصر بحقيقة نفسه مهما تظاهر بين الناس بالبر والتقوى والورع. يقول ﷻ : ﴿ بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ﴾(٣)

ويقول ﷺ : { من لم يهتم بأمر المُسلمين فليس منهم. ومن لم يصبح ويمس ناصحًا لله ولرسوله ولكتابه ولإمامه ولعامة المُسلمين فليس منهم }(٤)

---

١ - البقرة - ١٩٥

٢ - أخرجه الترمذى - ك التفسير - ب سورة البقرة.

٣ - القيامة - ١٤

٤ - أخرجه الطبرانى فى الأوسط ، من رواية حذيفة ﷺ ج ٧ ص ٢٧٠ رقم ٧٤٧٣

تُجار الدين[1]

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ أما بعد ،،،

فكُل منا يؤدى فى كل يوم وليلة الكثير من الأعمال الصالحة ويرجو من الله ﷻ القبول ، ندعو جميعًا بأن يتقبل الله ﷻ منا وأن يُجازينا خير الجزاء ، فقبول العمل الصالح هو الهدف والغاية والرجاء.

بيد أن منهج الإسلام فى قبول العمل الصالح يتوقف على بواعث ودوافع هذا العمل ، فمن الناس من يُقدم المعروف ليرد جميلاً فى عنقه ، ومن الناس من يريد بعمله الصالح أن يستميل قلوب الناس ، يبتغى بذلك منهم الثناء والشهرة ، ليُقال عنه أنه رجل صالح جواد كريم ، أو أنه صاحب شهامة ومُروءة.

والحق ﷻ يريد منا أن نُنقى نوايانا من تلك الأغراض الدنيوية ، وأن نرتقى إلى ما هو أسمى وأجل وأعظم ، إلى مرضاة الله ﷻ فيُخلص العبد فى كل عمله الصالح ، فلا يرجوا منه إلا رضا ربه ومولاه ﷻ ، بلا أى أغراض أخرى ، فلا تتشعب به الأهواء ، ولا تختلط عليه النوايا والدوافع ، يقول ﷻ :

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾[2]

الإخلاص :

الإخلاص هو أساس قبول العمل الصالح ، نية خالصة لله ﷻ لا شريك له فيها. يقول ﷻ فى وصف عباده المؤمنين :

---

[1] ـ ألقيت هذه الخطبة بمسجد التوحيد والنور بحدائق القبة بتاريخ ٢٠١١/٤/١

[2] ـ الأنعام ـ ١٦٢ ، ١٦٣

﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾(١)

ويقول ﷻ : ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ۝ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ۝ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾(٢)

ويروى ابن عباس ﷺ أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ فقال : إنى أقف الموقف أريد وجه الله ، وأريد أن يُرى موطنى.

فلم يرد عليه رسول الله ﷺ حتى نزل قوله ﷻ : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾(٣)(٤)

وفى الحديث المُتفق على صحته أن رجلاً آخر جاء لرسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ﷺ ، الرجل يُقاتل للمغنم ، والرجل يُقاتل ليُذكر ، والرجل يُقاتل ليُرى مكانه. فمن فى سبيل الله ؟

فقال ﷺ : من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله.(٥)

وفى الحديث أيضًا يقول ﷺ : { إن الله يُحب الأبرار الأتقياء الأخفياء ، الذين إذا غابوا لم يُفتقدوا ، وإن حضروا لم يُدعوا ولم يُعرفوا ، قُلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء مُظلمة }(٦)

---

١ ـ الإنسان ـ ٨ ، ٩

٢ ـ الليل ـ ١٤ : ٢١

٣ ـ الكهف ـ ١١٠

٤ ـ أخرجه الحاكم فى مستدركه ـ ك الجهاد ـ رقم ٢٥٢٧ ، وقال صحيح على شرط الشخيين.

٥ ـ البخارى ـ ك الجهاد والسير ، مسلم ـ ك الإمارة ـ ب من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا ، من رواية أبى موسى الأشعرى ﷺ

٦ ـ أخرجه ابن ماجة فى سننه ـ ك الفتن ـ ب من ترجى له السلامة من الفتن ، من رواية معاذ بن جبل ﷺ

الرياء :

الله ﷻ لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا ، يقول ﷻ فى مآل وعاقبة أعمال المُرائين : ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾(١)

وفى ذلك يقول رسول الله ﷺ فيما يروى عن رب العزة ﷻ : { أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، فمن عمل عملاً أشرك فيه معى تركته وشركه }(٢)

ومن أخطر أنواع الرياء وأشده مقتًا عند الله ﷻ الذين يتصدون للدعوة إلى الله ﷻ يبتغون بذلك جمع الأموال ، فى تجارة أقل ما يقال عنها إنها حقيرة.

يُتاجرون بالقُرآن وبالأذكار وبالدعاء وبالمواعظ ، يُتاجرون بالشرائط المُسجلة والاسطوانات المُدمجة وبالهواتف المحمولة ، وسعر الدقيقة جنيه ونصف. وفى أمثال هؤلاء يقول ﷻ :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(٣)

ويؤكد الحبيب المُصطفى ﷺ على هذا الوعيد ، فيقول فى الحديث :

{ من تعلم علمًا مما يُبتغى به وجه الله تعالى لا يتعلمه إلا ليُصيب به عرضًا من الدُنيا لم يجد ريح الجنة يوم القيامة }(٤)

فمن ابتغى بدعوته المناصب أو المال أو الشهرة فليس له عند الله ﷻ من أجر أو ثواب ، وإن كان العمل فى ظاهره صالحًا.

---

١ - الفرقان - ٢٢

٢ - أخرجه مسلم - ك الزهد والرقائق - ب من أشرك فى عمله غير الله ، من رواية أبى هريرة ﷺ

٣ - آل عمران - ٧٧

٤ - أخرجه أبو داود - ك العلم - ب فى طلب العلم لغير الله ، ابن ماجه المقدمة ، من رواية أبى هريرة ﷺ

يقول المُصطفى ﷺ فى الحديث : { ما ذئبان جائعان أرسلا فى غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه }(١)

فيشبه لنا رسول الله ﷺ كيف أن حرص المرء على المال والمكانة والمنزلة بين الناس يُفسد العمل الصالح ولا يجعله خالصًا لله ﷻ كما يُفسد الذئب الجائع الغنم. ويقول رسول الله ﷺ : { علماء هذه الأمة رجلان :

رجل آتاه الله علمًا فبذله للناس ، ولم يأخذ عليه طمعًا ولم يشتر به ثمنًا فذلك تستغفر له حيتان البحر ، ودواب البر ، والطير فى جو السماء.

ورجل آتاه الله علمًا فبخل به عن عباد الله ، وأخذ عليه طمعًا وشرى به ثمنًا فذلك يُلجم يوم القيامة بلجام من نار ويُنادى مناد : هذا الذى آتاه الله علمًا فبخل به عن عباد الله ، وأخذ عليه طمعًا واشترى به ثمنًا ، حتى يفرغ الحساب }(٢)

ويُحدثنا رسول الله ﷺ عن أول ثلاثة يدخلون جهنم والعياذ بالله ، فيتبادر إلى الأذهان أنهم من الكافرين المُشركين أو المُجترئين على حدود الله ﷻ من القتلة أو السارقين أو الزناة ، بيد أن المُصطفى ﷺ يذكر لنا الشهيد ، والعالم القارئ لكتاب الله ﷻ ، والمُتصدق. ثم يبين لنا ﷺ فى الحديث حقيقة أمرهم التى ربما خُدع الناس فيها.

فمن ظنه الناس أنه شهيد إنما قاتل ليُقال عنه أنه شجاع ، وقد قيل ، بمعنى أنه قد أخذ حظه الذى كان يبتغيه ، فليس له عند الله ﷻ من أجر وثواب.

وكذلك العالم والقارئ كان يبتغى بعلمه وقراءته أن يُقال عنه أنه عالم وقارئ وكذلك المُتصدق كان يبتغى بصدقته أن يُقال عنه إنه جواد كريم.

كُل أخذ حظه ونصيبه وما كان يرجوه فى الدُنيا ، فيس له من أجر عند الله ﷻ فيُكب على وجهه فى النار.(٣)

---

١ ـ أخرجه الترمذى ـ ك الزهد ـ ب فى أخذ المال بحقه ، من رواية كعب بن مالك ﷺ

٢ ـ أخرجه الطبرانى فى الأوسط ـ ج ٧ ص ١٧١ رقم ٧١٨٧ ، من رواية ابن عباس ﷺ

٣ ـ أخرجه مسلم ـ ك الإمارة ـ ب من قاتل للرياء والسمعة ، من رواية أبى هريرة ﷺ

تغيير المواقف :

فى العهد السابق الذى شاع وانتشر فيه الظُلم والفساد لم نسمع ممن يُتاجرون بدين الله ﷻ كلمة حق فى وجه أهل الظُلم والفساد.

بل كانوا يشغلون الناس بأحاديث أبعد ما تكون عن الواقع الذى كنا نعيش فيه وكأن المُفسدين والظالمين تحالفوا مع تُجار الدين لكى يُلهوا الناس بأحاديث عن الآخرة ، وبأذكار وأدعية يوهمون الناس بأن ترديدها يعنى أن الإنسان قد أدى ما عليه وهو فى مكانه لم يحرك ساكنًا ، وفى أمثال هؤلاء يقول ﷺ :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾[1]

ولا يستحى أحد هؤلاء الأدعياء حينما يُقال له إن ملابسه تُصنع خصيصًا فى فرنسا ، ويلبس ساعة يد بمئات الآلاف ، ويُسافر للخارج فى طائرات خاصة ويأخذ عطايا الأمراء وأصحاب الملايين حتى أصبحوا هم من أصحاب الملايين فيقول : ولم لا تُحاسبون الراقصات ولاعبى الكرة !!!

تُجار الدين هؤلاء جاءوا إلينا هذه الأيام فى ثياب أخرى ، يدعون زورًا وبهتانًا أنهم هم الذين فجروا الثورة ، وأنهم كانوا ضد النظام البائد ، مع أنهم كانوا من أكبر المُستفيدين من فساد هذا النظام.

تُجار الدين الآن يُثيرون الفتن والفُرقة ، يدعون أنهم حُماة الدين وحُراس العقيدة ، والدين والعقيدة منهم براء.

يخلطون بين أمور الدُنيا والدين ، وأصبح كل همهم الحديث عن الانتخابات والاستفتاءات ، فى حين كانوا لا ينطقون بكلمة واحدة وقت أن كانت تُزور الانتخابات عيانًا بيانًا لصالح حُكام الظُلم والفساد.

---

[1] - آل عمران - ١٨٧

متى ننتبه من تلك الغيبوبة ونعرف حقيقة هؤلاء الدعاة الذين هم فى حقيقة الأمر تُجار الدين وليسوا رجال الدين ، فرجال الدين لا يُتاجرون بالقُرآن والأدعية والأذكار ، رجال الدين الحق قال فيهم المولى ﷻ :

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ۝ لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾(١)

رجال الدين الصادقون لا يبتغون بجهادهم فى سبيل الدعوة إلا وجه الله ﷻ صدقوا الله فصدقهم الله وعده فى أعلى المنازل :

﴿ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾(٢)

<u>الخُطبة الثانية :</u>

أفرد الإمام مُسلم فى صحيحه بابًا فى كتاب الفضائل تحت عنوان :

" وجوب امتثال ما قاله شرعًا دون ما ذكره ﷺ من معايش الدُنيا على سبيل الرأى " أورد فيه حديثًا من رواية رافع بن خديج ﷺ ، يذكر فيه أن رسول الله ﷺ لما رأى الصحابة فى المدينة يُأبرون النخل ـ بمعنى يُلقحونه ـ قال لهم ﷺ :

{ لو تركتموه } بمعنى أنه لا داعى لتلقيح النخل ، فلما عملوا برأيه ﷺ فسد المحصول ولما عرضوه عليه ﷺ ، قال : { أنتم أعلم بأمور دُنياكم }

وهناك الكثير من المواقف والأحاديث من سيرة وهدى رسول الله ﷺ تؤكد على أهمية وضرورة الفصل بين الدين والأمور الدُنيوية.

---

١ ـ الأحزاب ـ ٢٣ ، ٢٤

٢ ـ النساء ـ ٦٩

فيجب علينا أن ننتبه لمن يريدون اغتنام المناصب باسم الدين ، فالذى يرفع لواء الدين ويدعى أنه هو مُمثل العناية الإلهية ، وأنه هو المُتحدث الرسمى باسم الدين إنما يعنى بذلك التشكيك فى دين من يُنافسه.

إن السعى فى طلب المناصب الدنيوية والوصول إليها أمر مشروع ومُباح ولكن كل يعرض فكره ورأيه وبضاعته والناس تختار الأصلح والأفضل لها ، دون إقحام الدين فى ذلك ، ودون أن نرفع المصاحف فى وجوه بعضنا البعض ، وكُل يدعى الإيمان والإسلام ، إنه أمر خطير يؤدى لا محالة إلى فتنة لا تُحمد عواقبها.

نريد أن نتفق ونتوافق فيما بيننا ، ونختلف بأدب واحترام لا يُكفر بعضنا البعض ، كما حدث فى الاستفتاء السابق حينما أوهموا الناس أن " نعم " تعنى الإسلام ، و " لا " ضد الإسلام ، وحقيقة الأمر ليس لها أى علاقة بالإسلام وإنما اختلافات فى رؤى ووجهات نظر.

فى ختام الأمر يقول أسعد الخلق ﷺ :

{ إن أغبط الناس عندى لمؤمن خفيف الحاذ ، ذو حظ من الصلاة أحسن عبادة ربه وأطاعه فى السر ، وكان غامضًا فى الناس لا يُشار إليه بالأصابع وكان رزقه كفافًا ، فصبر على ذلك ، فعُجلت منيته ، وقلت بواكيه ، وقل تُراثه.

قيل وما تُراثه يا رسول الله ﷺ ؟ قال ﷺ : ميراثه }(١)

والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل

١ - أخرجه الترمذى - ك الزهد - ب فى الكفاف والصبر عليه ، من رواية أبى أمامة ﷺ.

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾[1]

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ أما بعد ،،،

فالناظر فى أحوال البلاد فى هذه الأيام يرى أن الغالب الأعم من الناس يعيش فى خوف وقلق من تلك الفتن التى تُطل علينا بين حين وآخر ، تُهدد أمن الناس ومُقدرات البلاد ، وتُنذر بعواقب وخيمة ، نسأل الله ﷻ منها السلامة.

لذلك فمن الواجب علينا أن نُمعن النظر ونتفكر لنتبين سبب هذه الفتن وكيف نتجنبها لنحفظ لبلادنا الأمن والأمان الذى لا تستقيم الحياة إلا به ، كما بينا فى لقاء سابق عن الأمن.

وأرى أن من أهم أسباب ما نعيش فيه من فتن هو انتشار الشائعات الكاذبة التى تنطلق من هنا وهناك ، ويسير الناس خلفها وهم لا يعلمون عن حقيقتها شىء ، ولو أننا عملنا بآية واحدة فى كتاب الله ﷻ لوئدت هذه الفتن فى مهدها ولعشنا فى أمن وآمان.

يقول ﷻ : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾[2]

فى هذه الآية الكريمة يأمرنا المولى ﷻ ألا نقتفى ولا نتبع ولا ننساق لما لا علم لنا به ، بلا وعى ، ولا تحقيق ، ولا تأكيد.

فالمؤمن كيس فطن ، كما أخبر بذلك المُصطفى ﷺ [3]

ويقول ﷺ : { كفى بالمرء كذبًا أن يُحدث بكل ما سمع }[4]

---

[1] - ألقيت هذه الخطبة بمسجد التوحيد ، بحدائق القبة بتاريخ ٢٠١١/٥/٦ فى أعقاب أحداث الفتنة الطائفية بإمبابة والتى كانت بسبب شائعة اختفاء فتاة قيل إنها أشهرت إسلامها.

[2] - الإسراء - ٣٦

[3] - أخرجه القضاعى فى مسند الشهاب (فيض القدير ج ٦ ص ٢٥٦)

[4] - أخرجه مسلم فى المقدمة - ب النهى عن الحديث بكل ما سمع من رواية أبى هريرة ﷺ

لذلك فقد كان رسول الله ﷺ يسأل ربه ﷻ فى دعائه سماع الخير ، ويستعيذ من سماع الشر. فيقول ﷺ فى الحديث المُتفق على صحته :

{ اللهم اجعل فى قلبى نورًا ، وفى سمعى نورًا ، وفى بصرى نورًا }(١)

ويقول أيضًا ﷺ : { اللهم إنى أعوذ بك من شر سمعى وبصرى }(٢)

وفى الحديث القُدسى يقول رسول الله ﷺ فيما يروى عن المولى ﷻ :

{ من عادى لى وليًا فقد آذنته بالحرب. وما تقرب إلىّ عبدى بشىء أحب إلى مما افترضته عليه. وما يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه ، فإن أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يُبصر به ، ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ، وإن سألنى لأعطينه ، وإن استعاذنى لأعيذنه }(٣)

عبد تقرب إلى الله ﷻ بعمله الصالح فنور الله سمعه فلا يسمع إلا خيرًا ويُعرض عن سماع السوء والشر.

قال ﷻ فى وصف عباده المؤمنين : ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾(٤)

والسمع أمانة يُسأل عنها العبد ويُحاسب يوم القيامة ، قال ﷻ :

﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولاً ﴾(٥)

سؤال وحساب ماذا سمعت ، وماذا عملت فيما سمعت.

---

١ - البخارى - ك الدعوات - ب ما يقول إذا أصبح ، مسلم - ك صلاة المسافرين - ب الدعاء فى صلاة الليل ، من رواية ابن عباس ﷺ

٢ - أبود داود - ك الصلاة - ب الاستعاذة ، الترمذى - ك الدعوات - ب التسبيح باليد ، من رواية أبى حميد ﷺ

٣ - أخرجه البخارى - ك الرقائق - ب التواضع ، من رواية أبى هريرة ﷺ

٤ - القصص - ٥٥

٥ - الإسراء - ٣٦

وفى الأثر أن رجلاً جاء لأمير المؤمنين عُمر بن عبد العزيز ﷺ فقال : إن فلان يقول عنك كذا وكذا. فقال له عُمر : اجلس حتى نأتى به ، فإن كنت كاذبًا فأنت من أهل الآية :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾(١)

وإن كنت صادقًا فأنت من أهل الآية : ﴿ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴾(٢)

قال الرجل : بل العفو والصفح يا أمير المؤمنين ، فعفا عنه.

ولكننا وللأسف الشديد ابتُلينا فى هذه الأيام بأدعياء يتصدون للدعوة الإسلامية ، وهم ليسوا أهلاً لها ، يتحدثون فيما ليس لهم به علم ، والآية الشريفة التى نحن بصدد الحديث عنها ، يقول فيها الحق ﷻ :

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولاً ﴾

هؤلاء الأدعياء يتحدثون فى شتى الأمور بما ليس لهم به علم.

يتحدثون فى أمور لا ينتفع الناس منها بشىء ، أمور تُثير الفُرقة والشحناء والبغضاء بين الناس.

منذ أيام قليلة استمعت إلى أحد هؤلاء الأدعياء ، يقول إن الديموقراطية كفر والعلمانية إلحاد ، والليبرالية خروج عن ملة الإسلام ، وهو لا يعلم من هذه المُصطلحات شيئًا ، ويُفسر للناس البسطاء معنى الديموقراطية ، فيقول من على المنبر ـ للأسف الشديد ـ { إن الديموقراطية تعنى أن تخلع أمى الحجاب }

هكذا يقول فى جهل مُطبق ، لا يستحى من مكانة وجلال المنبر الذى يقف عليه من أن يدعى ما ليس له به علم ، ويصول ويجول فى أمور هو أجهل ما يكون عنها ، لا يبتغى بذلك إلا الشهرة والتجارة بدين الله ﷻ ، والعياذ بالله ﷻ.

---

١ ـ الحجرات ـ ٦

٢ ـ القلم ـ ١١

إن هذه النُظم التى يتحدث عنها هؤلاء الأدعياء نشأت فى الغرب بفكر بشرى أرادوا بها أن يُقيموا الحق والعدل فيما بينهم ، فمن أراد أن يتحدث عنها فليدرس وليبحث ليتبين حقيقة تلك النُظم ، إن كان فيها خير أخذنا به ، كما قال المُصطفى ﷺ فى الحديث : { الكلمة الحكمة ضالة المؤمن. فحيث وجدها فهو أحق بها }(١)

يقول المولى ﷻ : ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ۝ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾(٢)

والمُصطفى ﷺ يُحذرنا من الادعاءات الكاذبة والدعاوى الباطلة.

فيقول ﷺ : { من تحلى بما لم يُعطَه كان كلابس ثوبى زور }(٣)

وفى هذا المقام أيضًا يروى جابر بن عبد الله ﷺ قال : { خرجنا فى سفر فأصاب رجلاً منا حجر ، فشجه فى رأسه ، ثم احتلم. فسأل أصحابه فقال : هل تجدون لى رُخصة فى التيمم ؟ فقالوا : ما نجد لك رُخصة وأنت تقدر على الماء. فاغتسل فمات. فلما قدمنا على رسول الله ﷺ وأُخبر بذلك قال ﷺ : قتلوه قتلهم الله ألا سألوا إذ لم يعلموا ، فإنما شفاء العىَّ السؤال ، إنما كان يكفيه أن يعصب على جرحه خرقة ، ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسده }(٤)

فكيف بمن يثير الفتنة بين الناس ، والله ﷻ يقول :

﴿ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِ ﴾(٥) ﴿ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِ ﴾(٦)

---

١ ـ أخرجه الترمذى ـ ك العلم ـ ب فضل الفقه على العبادة ، ابن ماجة ـ ك الزهد ـ ب الحكمة ، من رواية أبى هريرة ﷺ ، وحسنه السيوطى فى الجامع الصغير { فيض القدير ج ٥ ص ٦٥ }

٢ ـ النحل ـ ١١٦ ، ١١٧

٣ ـ أخرجه الترمذى ـ ك البر والصلة ـ ب المتشبع بما لم يعطى ، من رواية جابر بن عبد الله ﷺ

٤ ـ أخرجه أبو داود ـ ك الطهارة ـ ب المجروح يتيمم

٥ ـ البقرة ـ ١٩١

٦ ـ البقرة ـ ٢١٧

﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾[1]

فتنة لا تُبقى ولا تذر ، تأكل الأخضر واليابس ، لا ينجوا منها أحد ، نسال الله منها السلامة والعافية.

ولم يكتف هؤلاء الأدعياء بالتجارة بالدين ، ولكنهم تمادوا فى غيهم وبغيهم فأشعلوا فتنة بين المُسلمين والمسيحيين ، كما سمعنا ورأينا فى أحداث منطقة إمبابة ، كل ذلك بسبب شائعة زواج مُسلم من فتاة مسيحية أسلمت.

شائعة يروجها هؤلاء الأدعياء فينساق لها البسطاء بلا فكر ، ولا وعى ، ولا تثبُت ، فتخرج المُظاهرات من المساجد تُحاصر الكنائس ، وتهدم كنيسة ، وتُحرق أخرى. أين هذا من كتاب الله ﷻ الذى يأمرنا بأن نُدافع عن الكنائس قبل أن نُدافع عن المساجد.

يقول ﷻ : ﴿ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[2]

فيجب علينا أن نحمى الكنائس قبل أن نحمى المساجد ، هذا هو الحق والعدل فرسول الله ﷺ لم يُبعث رحمة للمُسلمين وفقط ، وإنما بُعث رحمة للعالمين. يقول ﷻ :

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[3]

تلك الرحمة وهذا العدل الذى انتشر به الإسلام فى سائر ربوع الأرض ، دين يُقيم الحق والعدل بين الناس ، لا يُفرق بين مُسلم وغير مُسلم.

---

[1] ـ الأنفال ـ ٢٥

[2] ـ الحج ـ ٤٠

[3] ـ الأنبياء ـ ١٠٧

حينما يرى غير المُسلم المُساواة حتى بين خليفة المُسلمين ورجل يختصم معه ، سواء كان يهوديًا أو نصرانيًا ، فكان يتعجب وينبهر من عدالة الإسلام فيُعلن إسلامه ، لا بالجبر ولا بالقهر ، ولا بحرق الكنائس ، وإنما بالحق والعدل يتمثل فى المُسلم يمشى على الأرض.

ولا تنفك الرحمة عن رسول الله ﷺ حتى فى أصعب المواقف وأشد المصائب ففى أعقاب غزوة أحد ، والدم ينزف من وجهه الكريم ، ينظر إلى أصحابه مُدرجين فى دمائهم ما بين شهيد ومُصاب ، ويرى عمه حمزة ﷺ وقد بقروا بطنه ومثلوا بجسده الشريف ، فيقول ﷺ :

لن أُصاب بمثلك أبدًا ، وما وقفت قط موقفًا أغيظ إلىّ من هذا.

فقيل له : أدع على المُشركين يا رسول الله.

فقال ﷺ : إنى لم أبعث لعانًا ، وإنما بُعثت رحمة للعالمين ، إنى ارجو أن يخرج من أصلابهم من يوحد الله ويعبده ، اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون.([1])

الخُطبة الثانية :

يقول المولى ﷻ يذكر من دعاء نبى الله إبراهيم عليه السلام :

﴿ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾([2])

وفى سورة الحج يقول ﷻ : ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾([3])

---

[1] ـ سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٤١ ، البداية والنهاية ج ٤ ص ٤٠ ، تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٢٠١

[2] ـ البقرة ـ ١٢٨

[3] ـ الحج ـ ٧٨

ديننا هو دين الإسلام ، وكل مُسلم يعرف حقيقة دينه جيدًا ، لا نحتاج لجماعات ، وفرق ، وطوائف ، وتيارات ، تُفرق ولا تُجمع ، يقول ﷻ :

﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾(١)

كُل جماعة أو فرقة أو تيار يدعى الحقيقة المُطلقة لنفسه ، ومن هنا تنشأ الصراعات والفتن بين المُسلمين. يقول المولى ﷻ :

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ﴾(٢)

إما أن نُقيم دين الله ﷺ الحق ، وإما تحدث الفُرقة ويدب فينا الضعف والوهن.

يقول ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ﴾(٣)

وفى قراءة مُتواترة لحمزة والكسائى(٤) :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَارَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ﴾

المُسلم يُقيم دينه الحق بالتمسك بكتاب الله ﷻ وهدى المُصطفى ﷺ ولا يخلط بين المصالح الشخصية ، والانتماءات الحزبية ، ودين الله الخالص الحنيف.

والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل

---

١ ـ آل عمران ـ ١٠٣

٢ ـ الشورى ـ ١٣

٣ ـ الأنعام ـ ١٥٩

٤ ـ القرطبى فى تفسير الآية

الأنانيـــة[1]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ أما بعد ،،،

فالأنانية داء عُضال ومرض خطير يُفسد على الإنسان حياته ، ويُدمر نفسه ومن يتولى أمرهم إذا وسد إليه الحُكم أو تولى قيادة عمل عام ، كما رأينا من حُكام العهود البائدة ، وكما نرى الآن من غيرهم من الحُكام فى الدول التى تحكمها عصابات الظلم والفساد ، والبغى والطغيان.

وبداية هذا المرض الخطير تأتى كما يقول العُلماء من تقوقع الإنسان على نفسه ، فلا يُمد يده بالخير لأحد ، ولا يتعاون مع غيره فى عمل صالح يخدم جماعة من الناس ، يظن أن الخير هو ما يُساق إليه هو وحده دون سائر الناس ، حتى وإن كان هذا الخير الذى يظنه فيه شقاء وتعاسة للآخرين ، ولقد رأينا من يجمع الملايين ، بل المليارات من مُقدرات هذا الشعب دون نظر لحوائج الناس وما يعيشون فيه من فقر وضيق وتعب.

وهذا خُلق وسلوك واعتقاد فاسد يُخالف دين الإسلام الذى وسع البشرية بأسرها.

عموم رسالة الإسلام :

فرسالة الإسلام رسالة للناس كافة ، دون تفرقة بين جنس أو لون أو منزلة.

قال ﷻ : ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾[2]

جاءت دعوة الإسلام والعرب قبائل مُتناحرة مُتقاتلة ، والعالم بأسره تحكمه إمبراطوريات ونُظم حُكم ظالمة فاسدة.

القوى يـأكل الـضعيف ، والغنى يـبغى على الفقير ، فجاءت رسالة الإسلام بالهداية والرحمة للناس كافة.

---

[1] ـ ألقيت هذه الخطبة بمسجد التوحيد ـ بحدائق القبة بتاريخ ٢٠١١/٩/٢

[2] ـ الأعراف ـ ١٥٨

قال ﷻ : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾(١)

ولم تقف الرحمة فى الإسلام عند كافة الناس ، بل تعدت ذلك إلى الحيوانات فيذكر لنا الحبيب المُصطفى ﷺ أن رجلاً دخل الجنة لأنه سقى كلبًا وجده يلهث من العطش ، وأن امرأة دخلت النار فى هرة حبستها ، فلا هى أطعمتها ، ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض.

رسالة الإسلام عامة للبشرية جميعًا ، تدعو الناس إلى عبادة الله وحده ، دعوة لإقامة الحق والعدل بين الناس ، منهج ينبذ الفساد ويدعو لما فيه صلاح الإنسانية جميعًا. قال ﷻ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾(٢)

وقال ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴾(٣)

لذلك تجد حقيقة الإيمان فى قلوب المؤمنين تفيض بحُب الخير لعامة الناس يتمنى المؤمن للناس الهداية والرحمة كما أراد الله ﷻ لخلقه جميعًا ، أما الأنانية فهى خلق أبعد ما يكون عن مكارم الأخلاق التى دعا إليها الإسلام.

الأنانية بداية الانحراف :

ويُبين لنا المولى ﷻ أن الظلم والفساد يأتى من نظرة الإنسان لنفسه هو فقط دون سائر الناس.

إنها الأنانية التى لا يرى فيها المرء إلا مصلحته ومنفعته هو فقط ، ويغفل أو يتغافل عن مصلحة المُجتمع الذى يعيش فيه.

---

١ ـ الأنبياء ـ ١٠٧

٢ ـ البقرة ـ ٢١

٣ ـ البقرة ـ ١٦٨

ففى بداية الخلق حينما أمر الحق ﷻ الملائكة بالسجود لأبى البشر آدم عليه السلام رفض أبليس وتمرد : ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴾(١)

ثم يعرض لنا المولى ﷻ أول جريمة للإنسان على وجه الأرض بسبب الأنانية وحُب الذات ، ففقتل الأخ أخاه ظُلمًا وعدوانًا. قال ﷻ :

﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّۘ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِۚ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾(٢)

جاء الإسلام ينبذ هذه الأنانية المقيتة المُخربة المُدمرة ، فجعل العبد يُناجى ربه فى خمس صلوات كُل يوم وليلة ، وهى الركن الأول من أركان الإسلام بعد النُطق بالشهادتين فيقول :

﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾

نقول إياك نعبد ، ولا نقول اعبد ، وإياك نستعين ، لا استعين ، اهدنا لا اهدنى. أمل ورجاء ودُعاء من القلب فى كل وقت وحين للناس جميعًا بالهداية والتوفيق.

ويذكر الحق ﷻ فى كتابه الكريم من فضائل الأنصار ، فيقول ﷻ :

﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾(٣)

---

١ ـ الأعراف ـ ١٢

٢ ـ المائدة ـ ٢٧

٣ ـ الحشر ـ ٩ ، ١٠

التعصب للرأى :

ومن صفات الأنانى أنه يتعصب لرأيه ولايقبل رأى الآخرين ، لأنه لا يثق إلا فى نفسه هو ، لا يرجو للناس الخير فكذلك لا يظن منهم خيرًا ومن هؤلاء فرعون الذى بغى وتكبر ، حتى ادعى الألوهية ، فقال :

﴿ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾(١)

وهذا هو حال الحُكام والحُكومات الفاسدة الظالمة ، لا رأى إلا رأيهم ، ولا شرع إلا ما فيه مصلحتهم ، حُكام يُبددون ثروات شعوبهم فى مُقابل أن يتمسكوا بالحُكم ، ويورثوه لأبنائهم من بعدهم.

وتعصب الأنانى لرأيه يدل أيضًا على الكبر والغرور والعجب ، وهى من الأخلاق المذمومة. يقول ﷻ : ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾(٢)

بيد أن الأنانى يظن أنه أعقل الناس ، وأتقى الناس ، بل يصل به الأمر إلى أن يصف شعبه الذى يُطالب بحياة كريمة بالقلة المُنحرفة.

ووصل بهم الحال إلى وصف شعوبهم بالحشرات ، كما سمعنا وشاهدنا.

إنها الأنانية فى أحط وأخس صورها ، أنانى لا يرى فى الكون كُله إلا نفسه هو لا يسمع لنُصح الآخرين ، ولا يتعظ أو يعتبر بما يجرى حوله.

وصدق فيهم قوله ﷻ : ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾(٣)

وقوله ﷻ : ﴿ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾(٤)

---

١ ـ غافر ـ ٢٩

٢ ـ النجم ـ ٣٢

٣ ـ البقرة ـ ٧

٤ ـ الحج ـ ٤٦

الهوى :

ومن صفات الأنانى أنه يُحكم هواه فى كل أمر وحال ، فلا يقبل من الشرع إلا ما وافق هواه ، لا يمتثل لحُكم ، ولا لأمر ، إلا ما كان فيه نفع له دون غيره.

قال ﷻ : ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾(١)

وفى وصف هؤلاء المُنافقين يقول الحبيب المُصطفى ﷺ :

{ لا يعرف معروفًا ، ولا ينكر مُنكرًا ، إلا ما أُشرب من هواه }(٢)

المعروف ما رضى به ، والمُنكر ما أنكره هواه.

الهوى إلهه ووجهته ، دينه وغايته ، لا يؤمن إلا به. قال ﷻ :

﴿ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ۝ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ۝ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(٣)

عداوة الناس :

والأنانى فى سبيل مصالحه الضيقة يُعادى الناس ، ولا يتورع عن انتهاك حُرماتهم وحقوقهم بلا وازع من عقل أو دين ، كما ذكر المولى ﷻ فى قول فرعون :

---

١ ـ الجاثية ـ ٢٣

٢ ـ أخرجه مسلم ـ ك الإيمان ـ ب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا ، من رواية حذيفة بن اليمان ﷺ

٣ ـ النور ـ ٤٧ : ٥١

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾(١)

نبى الله موسى عليه السلام يُفسد فى الأرض ! هكذا يرى فرعون وأعوانه ، وهكذا يرى كُل أنانى ظالم وفاسد ، فى كل عصر وحين ، فلا يتورع عن قتل وإبادة الناس جميعًا ، فى مُقابل تحقيق طموحاته ومأربه ، هو ومن حوله من المُفسدين.

قسوة القلب :

ويصل الأنانى إلى أحط دركات البغى والفساد بقسوة القلب ، الذى لا مكان فيه للرحمة ، ونتعجب مما نرى من حُكام يُبيدون شعوبهم بالقتل والتخريب ويتركون الناس لا يجدون حتى شربة الماء ، أو سبيل لعلاج المُصابين.

يقول عز وجل فى وصف هؤلاء الذين تمكنت الأنانية من قُلوبهم واستحكمت.

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾(٢)

الخُطبة الثانية :

فى هذه الأيام التى يتبارى فيها المُتنافسون على الحُكم يجب علينا أن ننتبه جيدًا لمن يُريدون أن يستولوا على المناصب لتحقيق مصالحهم الشخصية ، ومآربهم الذاتية دون فكر أو رأى أو نظر سديد ، يُتاجرون بدين الله عز وجل ، فى تجارة وضيعة خسيسة ، فالمولى عز وجل يؤكد لنا أن صلاح الدُنيا والدين يكون بالعمل الصالح الخالص لوجه الله عز وجل :

---

١ ـ الأعراف ـ ١٢٧

٢ ـ البقرة ـ ٧٤

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾(١)

ويقول ﷻ : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾(٢)

وفى الحديث يقول أسعد الخلق ﷺ :{ ما ذئبان جائعان أرسلا فى غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه }(٣)

إن الصراعات القائمة الآن على المناصب هى أبعد ما تكون عن حقيقة الإسلام الذى يأمرنا بالترفع والتنزه عن طلب المناصب الدُنيوية وأن يكون عمل الإنسان خالصًا لوجهه ﷻ مصداقًا لقوله ﷻ :

﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ۝ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾(٤)

والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل

---

١ ـ ختام سورة الكهف

٢ ـ الأنعام ـ ١٦٢ ، ١٦٣

٣ ـ أخرجه أحمد ـ ج ٣ ص ٤٥٦ ، ٤٦٠ ، والترمذى ـ ك الزهد ـ ب ٤٣ ح ٢٣٧٦ ، من رواية كعب بن مالك ﷺ بسند صحيح

٤ ـ الإسراء ـ ١٨ ، ١٩

الجدال[1]

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ أما بعد ،،،

فمن سنن الله ﷻ فى خلقه الاختلاف والتنوع ، فلم يخلقنا المولى ﷻ على لون أو شكل أو لسان واحد.

قال ﷻ : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾[2]

كذلك فلم يخلقنا ﷻ بعقلية أو فكر ورأى واحد ، قال ﷻ :

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾[3]

وقال ﷻ : ﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴾[4]

وإذا كان اختلاف الناس من سُنن الله ﷻ فى الخلق فإن ذلك يستوجب أن يتعارف الناس فيما بينهم ، وينقلون لبعضهم البعض العلوم والمعارف والخبرات عن طريق مُدارسة العلم أو المُناقشة والمُجادلة.

معنى الجدال :

والجدال هو طريقة فى المُناقشة والمُعارضة والاستدلال بين طرفين يختلفان فى الرأى ، فيُحاول كُل طرف أن يُثبت للآخر صحة رأيه.

وفى نفس الوقت صرف الآخر عن رأيه بإثبات عدم صحته.

وأصل الكلمة من جدل الحبل ، بمعنى الجمع بين حبلين فى حبل واحد ، كأن كلاً من المُتجادلين يريد أن يضم رأى من يُجادله إلى رأيه فيتوحد رأيهما معًا.

---

[1] ـ ألقيت هذه الخطبة بمسجد الشيخ / صديق المنشاوى ـ بحدائق القبة ـ بتاريخ ٢٠١٢/٥/١١

[2] ـ الروم ـ ٢٢

[3] ـ هود ـ ١١٨ ، ١١٩

[4] ـ الشعراء ـ ٤

والجدال يقوم على مُقارعة الحُجة بالحُجة ، فكُل طرف يأتى بما يؤيد رأيه ويُثبت عدم صحة رأى الآخر.

من ذلك يتبين لنا أن الجدال من الأمور الواجبة التى لا ينفك عنها الإنسان فى واقع حياته ومعاشه ، فلا تستقيم الحياة إلا بنقل المعارف والعلوم بين الناس وغالبًا ما يكون ذلك بتصحيح مفاهيم الغير ، مما يستوجب ضرورة إقامة الحُجة والبُرهان على صحة ما نريد أن نقنع به غيرنا ، ولا ننتظر من الغير أن يُسلم لنا بما نقوله ، بل الغالب فى ذلك المُناقشة والمُعارضة ، ومن هنا يكون الجدل من الأمور الواجبة ، بل الحتمية فى حياتنا.

الجدال فى القُرآن :

والناظر فى آيات الله ﷻ يجد أن الجدل من الأساليب التى اتبعها القُرآن لإثبات الحُجة والبُرهان على مُراد الله ﷻ من خلقه ، ففى العقيدة نجد أن الله ﷻ يأتى بالحُجة البالغة والبُرهان الساطع على التوحيد مثلاً ، ويعرض لنا حُجج المُشركين ويُفندها ويُبين فسادها.

يقول ﷻ : ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾(١)

وفى كتاب الله ﷻ يعرض لنا الكثير من دعوة الرسل ـ عليهم جمعيًا وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى السلام ـ

فهذا نبى الله نوح عليه السلام يُجادل قومه فى دعوته لهم. يقول ﷻ :

﴿ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾(٢)

---

١ ـ المؤمنون ـ ٩١

٢ ـ هود ـ ٣٢

وهذا نبى الله إبراهيم عليه السلام يُجادل النمرود بالحُجة البينة ، قال ﷻ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(١)

كذلك فقد أمر المولى ﷻ المُصطفى ﷺ بمُجادلة المُشركين فقال :

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾(٢)

الجدل المحمود والمذموم :

وعلى الرغم من أن الجدل من الأمور اللازمة فى حياتنا ومن أساليب القُرآن فى الرد على المُشركين ودحض حُججهم ، إلا أن منـه ما هو محمود ، ومنه ما هو مذموم.

أما الجدل المحمود فهو الجدل الذى يُراد به الحق وإيصال الخير ، وعلى خلاف ذلك نجد النوع الآخر من الجدل لا يبتغى به وجه الله ﷻ ، وإنما يبتغى به المُجادل تزيين الباطل وتزييف الحق ، كما قال ﷻ فى شأن المُشركين :

﴿ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾(٣)

وكما فى قول رسول الله ﷺ :

{ ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل }(٤)

كذلك فمن الجدل المذموم ما لا يُراعى أدب الجدال التى أوصانا بها الحق ﷻ فى كتابه الكريم ، وأوصانا بها الحبيب المُصطفى ﷺ فى هديه الشريف.

---

١ ـ البقرة ـ ٢٥٨

٢ ـ النحل ـ ١٢٥

٣ ـ غافر ـ ٥

٤ ـ أخرجه الترمذى ـ ك تفسير القرآن ـ ب سورة الزخرف ، من رواية أبى أمامة رضي الله عنه

أدب الجدال :

١ ـ تصحيح النية :

وأول ما نقف عنده من أدب الجدال هو تصحيح النية ، فالجدال لا يؤتى بثماره إلا إذا صحت نية المُجادل فى إيصال علم أو معرفة إلى من يُجادله والوصول إلى الحق حتى وإن لم يكن فى جانبه. ولا يبتغى من جداله أن ينتصر لرأيه ويُثبت للناس علمه الذى لا يُخطئ.

قال ﷻ يذكر من دعوة نبيه شُعيب عليه السلام لقومه : ﴿ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾(١)

وفى ذلك يقول المُصطفى ﷺ : { من تعلم العلم ليُجارى به العُلماء ، ويُمارى به السفهاء ، ويصرف به وجوه الناس ، أدخله الله النار }(٢)

فإن صحت نية المُجادل وفقه الله ﷻ للوصول إلى الحق ، وإن انتهى الجدال إلى الخصومة والشقاق فليُراجع نيته أولاً ، بدلاً من أن يتهم من يُجادله ، ويظل يُسفه عقله ورأيه.

٢ ـ التواضع :

ومن الأخلاق الواجب على المُجادل أن يتحلى بها خُلق التواضع فلا يستنكف أن يرجع إلى الحق وينزل عن رأيه إن كان الحق مع من يُجادله ، ولنتخلق فى ذلك بخلق القُرآن كما تخلق به رسول الله ﷺ.

فالوحى ينزل من السماء ليُسطر لنا قصة المرأة التى جادلت رسول الله ﷺ فيما كان من زوجها فى حُكم الظهار ، وقضى فيها رسول الله ﷺ بما كان عليه قضاء قومه ، ينزل القُرآن الكريم ليُبطل هذا القضاء ، ويقضى بكفارة اليمين ويُسطر هذه الواقعة بلا لوم أو تأنيب لهذه المرأة التى لم تجد حرجًا فى مُجادلة رسول الله ﷺ.

---

١ ـ هود ـ ٨٨

٢ ـ أخرجه ابن ماجة ـ المقدمة ـ ب الانتفاع بالعلم والعمل به ، من رواية أبى هريرة رضي الله عنه

قال ﷻ : ﴿ قَد سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴾(١)

٣ ـ حُسن الاستماع :

ومن الأمور التى يجب على المُجادل أن يتحلى بها ، حُسن الاستماع لمن يجادله ، فالسماع من أجل وأعظم النعم التى منّ بها المولى ﷻ على الإنسان ، بل إن الله ﷻ يُقدم السمع على البصر وعلى العقل أيضًا إذ كيف يعقل بغير سمع ، قال ﷻ : ﴿ قُلۡ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمۡ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۖ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴾(٢)

بيد أن الناظر لما يجرى من حوارات ومُجادلات فى أجهزة الإعلام يجد أن المُتحاورين لا يُصغون ولا يُنصتون لبعضهم ، فيوصف هذا الحوار كما يقال بأنه " حوار الطرشان " ولو صحت نية المُتجادلين لأصغى وأنصت كل منهما إلى الآخر ، فإن كان ما يقوله حقًا أخذ به ، وإن كان غير ذلك بين له وصحح له بالحكمة والموعظة الحسنة ، كما أمرنا الحق ﷻ.

٤ ـ التوقير :

كما يجب علينا أن نتحلى بأدب الحديث فى الجدال فلا نسخر ولا نستهزئ ولا نُسفه من رأى من نُجادله ، بل نُناقش ونُحاور ونختلف ، ويأتى كل منا بما يؤيد رأيه بكل أدب واحترام ، حتى وإن كنا نختلف معه فى الدين. يقول ﷻ :

﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾(٣)

---

١ ـ المجادلة ـ ١

٢ ـ الملك ـ ٢٣

٣ ـ العنكبوت ـ ٤٦

ولنتأمل حينما أمر الله ﷻ نبيه موسى وأخاه هارون ـ عليهما السلام ـ بدعوة فرعون إلى عبادة الله. فمن فرعون ؟ فرعون الذى قال : ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾[1]

فرعون الذى قال : ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾[2]

فرعون المُتكبر المُتجبر ، يوصى الحق ﷻ فى دعوته فيقول ﷻ :

﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾[3]

فهل لنا أن نعتبر ونتعظ ، فمن منا أعلم من نبى الله موسى عليه السلام ، وهل من تُجادله عدو لله ﷻ كما كان حال فرعون ؟ فكيف بنا لا نلين فى حوارنا ونتجادل ونتبادل الرأى بالحكمة والموعظة الحسنة ، كما أمرنا الحق ﷻ.

الإعراض عن الجدال :

وعلى الرغم من أهمية الجدال التى ذكرناها ، إلا أنه فى بعض الأحوال يجب على المُجادل أن يُعرض عن الجدال ، وينصرف عنه إذا ما وجد أنه لا فائدة تُرجى من الجدال ، أو ربما ينتهى الجدال بخصومة أو بتجاوز لحدود الأدب فالزارع لا يغرس زرعه إلا فى الأرض الصالحة للزراعة ، والذى يريد أن يرتفع بالبناء ينظر أولاً فى أساس هذا البناء ، هل يتحمل المزيد ؟

لذلك قال ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[4]

وحينما سُئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية ، وكأن السائل التبس عليه الأمر بين ظاهر ما تدعو إليه الآية وبين فريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المُنكر.

---

[1] ـ النازعات ـ ٢٤

[2] ـ القصص ـ ٣٨

[3] ـ طه ـ ٤٣ ، ٤٤

[4] ـ المائدة ـ ١٠٥

فقال له الحبيب المُصطفى ﷺ : { بل ائتمروا بالمعرف وتناهوا عن المُنكر حتى إذا رأيت شُحًا مُطاعًا وهوى مُتبعًا ودُنيا مؤثرة وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع العوام ، فإن من ورائكم أيامًا الصابر فيها على دينه كالقابض على الجمر ، للعامل فيهن مثل أجر خمسين منكم }(١)

ويقول ﷺ : { أنا زعيم بيت بربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًا }(٢)

الخُطبة الثانية :

الاختلاف هو طبيعة البشر التى أرادها الحق ﷻ فى خلقه كما بينا فى الخُطبة الأولى ، وإذا كانت تلك إرادة الله حتى فى الإيمان به والإقرار بألوهيته وربوبيته فكيف بنا نغضب ونُخاصم من اختلف معنا فى الرأى.

إن ذلك يُعد خروجًا على سُنة الله ﷻ التى أرادها فى خلقه.

ومن الأمور التى فطرنا الله ﷻ عليها أيضًا أن الإنسان بطبعه يعتز برأيه وهل هناك أغلى من العقل حتى يدافع الإنسان عنه ، ويُظهره بالعلم والمعرفة وينفى عنه الجهل والخطأ.

وفى ذلك يقول بعض العُلماء إن أشد عورة على الإنسان يبغى سترها ولا يقبل اطلاع الناس عليها ، عورة الجهل ، فكُل يتظاهر بين الناس بالعلم والمعرفة وينفى عن نفسه الجهل وسوء الفهم ، لذلك علينا أن نضع هذا الأمر نُصب أعيننا فلا نظن ولا نتوقع ممن نُجادله أن يتنازل عن رأيه ويتوافق مع رأينا بسهولة ويسر ، فليعذر بعضنا بعضًا فى تمسكه برأيه.

فالإنسان يجادل دائمًا وأبدًا ليثبت صحة رأيه. قال ﷻ :

﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴾(٣)

---

١ ـ أخرجه أبو داود ك الملاحم ب الأمر والنهى والترمذى ك التفسير ب سورة المائدة من رواية ثعلبة الخشنى ﷺ

٢ ـ أخرجه أبو داود ـ ك الأدب ـ ب حسن خلق ، من رواية أبى أمامة ﷺ

٣ ـ الكهف ـ ٥٤

الوحدة سبيل البناء[1]

مُقدمة :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ أما بعد ،،،

فقد أرسل المولى ﷻ رسوله المُصطفى ﷺ برسالة الإسلام ، فبدأ بدعوة أقرب المُقربين إليه ، واستمرت الدعوة سرًا حتى أُمر ﷺ بالجهر بالدعوة فقال له الحق ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[2]

واحد فقط يدعو قومه ، بلا مُلك ولا سُلطان يفرض به على الناس دعوته ولا مال يُنفقه لكى يستميل به الفُقراء ، ويستغل حاجتهم.

إنها دعوة حق إلى عبادة الله ﷻ وحده ، دعوة إلى مكارم الأخلاق ، وإقامة الحق والعدل والمُساواة بين الناس ، ودرء الظُلم والبغى والطُغيان.

يقول ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾[3]

فدخل الإسلام كل من أراد أن يخرج من عبادة الإنسان إلى عبادة الواحد الديان ، كل من رغب فى أن يعيش حرًا عزيزًا كريمًا ، لا يخضع إلا لأمر خالقه ومولاه. أما سادة العبيد وزعماء القبائل وأصحاب الثروات فقابلوا دعوة الإسلام بعداء مُستحكم ، يتعجبون من دعوة الإسلام ويتساءلون فيما بينهم أى دين هذا الذى يُساوى بين الناس. لا فرق فيه بين حاكم ومحكوم ، ولا سادة وعبيد ولا غنى وفقير.

---

[1] ـ ألقيت هذه الخطبة بمسجد الشيخ صديق المنشاوى بحدائق القبة بتاريخ ٢٠١٢/٥/٢٥

[2] ـ المائدة ـ ٦٧

[3] ـ النحل ـ ٩٠

يقول ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾(١)

ويُعلن رسول الله ﷺ ميثاق هذه الأمة ودستورها الذى عليه قامت وأُسست رسالة الإسلام ، فيقول ﷺ : { أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد لا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا لأسود على أحمر ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى. آلا هل بلغت ؟ قالوا : بلى قال ﷺ : فليُبلغ الشاهد الغائب}(٢)

واشتد العداء والإيذاء والحصار برسول الله ﷺ وأصحابه ، حتى فى الصلاة يُضيق عليه ﷺ. ﴿ أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ۝ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴾

إلى أن أُمر رسول الله ﷺ بالهجرة من مكة إلى المدينة ، فخرج مُهاجرًا سرًا ثم عاد إليها بعد ثمانية أعوام فقط فاتحًا سلمًا ! فكيف تم ذلك ؟

وحدة المُسلمين :

أسس المُصطفى ﷺ دولة الإسلام بوحى من الحق ﷻ على الوحدة والإخاء ونبذ الفرقة والخلاف ، ألف الله ﷻ بين القلوب ، أخوة فى الإنسانية وأخوة فى الدين ، فأصلح رسول الله ﷺ بين الأوس والخزرج ، وآخى بين المُهاجرين والأنصار ، فاجتمعوا على المودة والإخاء والتآلف والتراحم ونبذ العداوة والبغضاء. وفى سورة الحشر تصوير جميل للإيمان يصوره المولى ﷻ بالمكان والمنزل الذى يجتمع الناس فيه فيصير الإيمان لهم مأوى وسكنًا وملاذًا.

يقول ﷻ : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾(٣)

---

١ ـ الحجرات ـ ١٣

٢ ـ أخرجه البيهقى فى الشعب ـ ك حفظ اللسان ـ ب الفخر بالآباء

٣ ـ الحشر ـ ٩

يعنى بذلك الأنصار ، والدار هى المدينة ، وصور الإيمان على أنه منزل ودار ووطن لهم ، جمعهم جميعًا فصاروا أمة واحدة ، أمة إيمان وإسلام.

بالائتلاف والمودة والإيثار تُبنى الأمم ، ائتلاف يبنى ولا يهدم يجمع ولا يفرق.

يقول ﷻ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِى ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(١)

ويقول ﷻ : ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾(٢)

غير المُسلمين :

ولم يقف الأمر فى بداية تأسيس دولة الإسلام على المؤاخاة والإصلاح بين المُسلمين ، بل امتد لغير المُسلمين ، فالكُل يعيش فى وطن واحد حتى وإن اختلفت الديانات ، فالإسلام يريد للناس جميعًا أن يعيشوا فى أمن وسلام ووئام فعاهد رسول الله ﷺ اليهود مُعاهدة لم يعرف التاريخ قبل ذلك مثيلاً لها ، فأقر لهم ما للمُسلمين وأقام العلاقة بينهم على البر والنصح وأن ينصر بعضهم بعضًا على من بغى وظلم. وقد سطر القُرآن هذا الدستور قُرآنًا يُتلى إلى أن تقوم الساعة.

قال ﷻ : ﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِى ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴾(٣)

---

١ ـ الأنفال ـ ٦٣

٢ ـ آل عمران ـ ١٠٣

٣ ـ الممتحنة ـ ٨

وجعل الله ﷻ قوة المُسلمين وعزهم وكرامتهم فى وحدتهم ، وعلى العكس من ذلك نجد أن الضعف والهوان فى الاختلاف والفرقة.

قال ﷻ : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ﴾(١)

وقال ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِى شَىۡءٍ ﴾(٢)

الإسلام يجمع أتباعه بالإيمان ، كلنا يؤمن بالله ﷻ وملائكته وكُتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، تلك هى أركان الإيمان التى بينها لنا الحبيب المُصطفى ﷺ فى الحديث الصحيح ، حينما سأله جبريل عليه السلام عن الإيمان.

وفى ذلك يقول المولى ﷻ : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾(٣)

وكما يجمعنا الإيمان تجمعنا أيضًا العبادات ، من صلاة وصيام وزكاة وحج وغير ذلك من عبادات شرعها المولى ﷻ.

نجتمع فى الصلاة وفى الصيام وفى الحج ، ونتراحم بالزكاة ، نتفق جميعًا فى قواعد العبادات وأصولها ، ونتحلق حول كتاب واحد ، كتاب الله ﷻ ، فالعقيدة الصحيحة والعبادات الخالصة والأخلاق الكريمة نتفق جميعًا عليها بلا خلاف ، فلا مجال للإقصاء ، ولا للتكفير ، ولا للشحناء ، والبغضاء.

الأمور الدُنيوية :

أما الأمور والأحكام والتشريعات الدُنيوية فإن مجال الرأى والفكر والنظر فيها مُتسع ، فسُنة الله فى خلقه اختلاف العقول والأفهام.

---

١ ـ الشورى ـ ١٣

٢ ـ الأنعام ـ ١٥٩

٣ ـ البقرة ـ ٢٨٥

فلا عجب أن يختلف الناس فى الرؤى والأفكار والأحكام أيضًا ، ما دام الأمر فيه سعة من الفكر والنظر.

وهذا ما يقرره المولى ﷻ فى كتابه الكريم فى العديد من المواقف.

فيذكر لنا الحق ﷻ خصومة عُرضت على نبى الله داود عليه السلام ، وهى أن غنمًا لرجل أفسدت زرع رجل آخر ، فقضى نبى الله داود عليه السلام أن يأخذ صاحب الزرع الغنم عوضًا له على إفساد زرعه.

ثم عرض الخصمان الخصومة على ابنه نبى الله سُليمان عليه السلام. فقضى بأن يأخذ صاحب الزرع الغنم ينتفع بها ، حتى يُصلح صاحب الغنم الزرع الذى فسد ثم يأخذ صاحب الغنم غنمه ، وصاحب الزرع زرعه. يقول ﷻ :

﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ۝ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾(١)

هذا حُكم وهذا حُكم آخر ، ولا عيب على الحكمين.

ومثل آخر بين نبى الله موسى وأخيه هارون ـ عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى السلام ـ لما خرج نبى الله موسى عليه السلام للقاء ربه وصنع لهم السامرى العجل ، وقال لهم إنه رب موسى فعبدوه ، فلما عاد موسى عليه السلام وحطم العجل أخذ على أخيه هارون عليه السلام تركه لهم ، بيد أن نبى الله هارون عليه السلام رأى أن ينتظر منعًا للفتنة ، يقول ﷻ :

﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ۝ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ۝ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴾(٢)

---

١ ـ الأنبياء ـ ٧٨ ، ٧٩

٢ ـ طه ـ ٩٢ : ٩٤

وفى عتابه ﷻ لرسوله ﷺ أيضًا لما أعرض عن عبد الله بن أم مكتوم ﷺ لانشغاله بدعوة بعض كبار أهل مكة ، يقول ﷻ :

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ﴾

القُرآن الكريم يُسطر لنا تلك المواقف قرآنًا يتلى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ليؤكد لنا على حقيقة واضحة جلية وهى أن اختلاف الآراء لا يعنى أن يطعن بعضنا فى بعض ، ونُثير الخلاف والفُرقة.

الشورى منهج للحُكم :

وأسس الإسلام نظامًا للحُكم يقوم على الشورى ، وهذا دليل واضح أيضًا على أن مجال الرأى مُتسع فى الأمور الدُنيوية.

فأمر رسوله المُصطفى ﷺ سيد الأولين والآخرين المُؤيد بالوحى من السماء أمره ﷻ بمُشاورة أصحابه ﷺ.

فقال ﷻ : ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴾(١)

وقال ﷻ فى وصف المؤمنين : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾(٢)

وفى سيرة الحبيب المُصطفى ﷺ الكثير والعديد من المواقف التى تؤكد على احترام رأى الآخرين ومُشاورتهم بلا كبر ولا عجب.

ففى غزوة بدر الكبرى يشاور ﷺ أصحابه ﷺ فيقول : { أشيروا على أيها الناس }

---

١ ـ آل عمران ـ ١٥٩

٢ ـ الشورى ـ ٣٨

فلما رأى العزم منهم على القتال توكل على الله ﷻ ، ومضى فى سبيل إعلاء كلمة الحق.

وفى غزوة أحد شاور النبى أصحابه ﷺ أيضًا كما فعل فى غزوة بدر ، فكان هناك رأيان ، رأى يرى استدراج المُشركين لقتالهم بطرق وأزقة المدينة ، ورأى يرى الخروج لقتالهم ، وكان النبى ﷺ يرى الرأى الأول ، بيد أن من لم يُقاتلوا فى غزوة بدر تحمسوا للخروج ، وساندهم شباب الصحابة ، فكانوا هم الأغلبية فنزل رسول الله ﷺ على رأيهم ، على الرغم من أنه يُخالف رأيه.

وفى غزوة الأحزاب حينما اجتمعت قبائل العرب من كل صوب وحدب لقتال المُسلمين أخذ ﷺ برأى سلمان الفارسى ﷺ وحفر الخندق.

وجاء من بعد رسول الله ﷺ أصحابه ﷺعلى هديه وسنته ، فلما تولى أبو بكر الصديق ﷺ الخلافة خطب فى الناس ، فكان مما قال : " أيها الناس إنى وليت عليكم ولست بخيركم فإن رأيتمونى على حق فأعينونى وإن رأيتمونى على باطل فقومونى ، أطيعونى ما أطعت الله فيكم فإن عصيته فلا طاعة لى عليكم "

وهناك الكثير من المواقف والأحاديث من سيرة وهدى رسول الله ﷺ تؤكد على أهمية وضرورة أن نفصل بين الدين الذى يجمعنا بعقيدة وعبادات وأخلاق لا نختلف فيها ، وبين الأمور الدُنيوية التى يتسع فيها مجال الفكر والرأى.

يجب علينا أن ننتبه لمن يريدون اغتنام المناصب باسم الدين ، فالذى يرفع لواء الدين ويدعى أنه هو مُمثل العناية الإلهية ، وأنه هو المُتحدث الرسمى باسم الدين ، إنما يعنى بذلك التشكيك فى دين من يُنافسه.

إن السعى فى طلب المناصب الدنيوية والوصول إليها أمر مشروع ومُباح ولكن كُل يعرض فكره ورأيه وبضاعته والناس تختار الأصلح والأفضل لها ، دون إقحام الدين فى ذلك ، ودون أن نرفع المصاحف فى وجوه بعضنا البعض ، وكل يدعى الإيمان والإسلام ، يدعى أنه على الحق وغيره على الباطل.

وآخر يدعى أن الإسلام يوجب إعطاء صوتك لفلان دون غيره.

إنه أمر خطير يؤدى لا محالة إلى فتنة لا تُحمد عواقبها ، نريد أن نتفق ونتوافق فيما بيننا ، ونختلف بأدب واحترام فى الرؤى ووجهات النظر ، بلا تكفير ولا تخوين ولا إقصاء.

فى ختام الأمر يذكر لنا المولى ﷻ دعوة نبيه وخليله إبراهيم عليه السلام :

﴿ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(١)

أمة مُسلمة لله ﷻ ، أمة أسلمت وجهها وفوضت أمرها لله ﷻ ، أمة جمعها الإسلام والإيمان ووحدها فصاروا أمة واحدة ، شريعة واحدة ، وجهة واحدة.

قال ﷻ : ﴿ فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ﴾(٢)

ويقول أسعد الخلق ﷺ : { ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ؟ قالوا بلى يا رسول الله ﷺ.

قال ﷺ : إصلاح ذات البين ، فإن فساد ذات البين هى الحالقة ، لا أقول تحلق الشعر ، ولكن تحلق الدين }(٣)

والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل

---

١ ـ البقرة ـ ١٢٨

٢ ـ آل عمران ـ ٢٠

٣ ـ أخرجه الترمذى ـ ك صفة القيامة والرقائق ـ ب ٥٦ ح ٢٥٠٩ ، من رواية ابى الدرداء رضي الله عنه

سُنة الاختلاف

مُقدمة :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ، أما بعد ،،،

فمن سنن الله ﷻ وآياته فى خلقه ومخلوقاته التنوع والاختلاف. قال ﷻ :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۝ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾(١)

وقال ﷻ : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾(٢)

كذلك فقد فطرنا المولى على اختلاف العقول والأفهام فقال : ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾(٣)

قال العُلماء خلقنا للاختلاف فمنا المؤمن والكافر والطائع والعاصى والسابق بالخيرات ، والمُقتصد فى الطاعات ، ولو أرادنا على شاكلة واحدة لما كان هناك معنى لأمانة التكليف التى ميز المولى ﷻ بها الإنسان على سائر المخلوقات.

قال ﷻ : ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا ﴾(٤)

قال العُلماء فى تفسير الآية : إن الله ﷻ ضرب مثلاً لما ينزل به الوحى لهداية الناس بالمطر ينزل من السماء ، فكُل واد يأخذ من المطر على قدر سعته ، كذلك العقول ، كُل يأخذ ويفهم من الوحى على قدر ما أراده الله ﷻ لها وفطرها عليه.

---

١ ـ فاطر ـ ٢٧ ، ٢٨

٢ ـ الروم ـ ٢٢

٣ ـ هود ـ ١١٨ ، ١١٩

٤ ـ الرعد ـ ١٧

حُرية الاعتقاد :

لذلك جاء الإسلام برسالة تدعو إلى حُرية الاعتقاد ، وتأبى الجبر والإكراه رسالة تتوافق مع سُنة الله فى خلقه ، وفطرة المولى ﷻ التى فطرنا عليها.

قال ﷻ : ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ﴾(١)

وقال ﷻ : ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ۝ إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴾(٢)

وقال ﷻ : ﴿ لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ ﴾(٣)

إنها سُنة الله ﷻ فى خلقه ، وإرادته للبشرية أن تؤمن طواعيةً واختيارًا فالله ﷻ يريد قلوبًا تُشرق بالإيمان ، لا أعناقًا تخضع بالقسر والقهر والإجبار.

اختلاف الأفهام :

وإذا كان الإسلام يؤسس على مبدأ حُرية الاعتقاد فمن باب أولى تكون حُرية الاجتهاد فى فهم الأحكام والأوامر والنواهى وفق الضوابط والمقاصد الشرعية والمصالح التى جاءت الشريعة الإسلامية لتُقررها للعباد.

والقُرآن الكريم المُنزل بالوحى من رب العالمين ﷻ يعرض لنا أمثلة للاختلاف فى الفهم والرأى ، حتى بين أنبيائه ورسله ، عليهم جميعًا الصلاة وأزكى السلام.

وقد سبق أن ذكرنا قصة الخصومة التى عرضت على نبى الله داود عليه السلام واختلاف حكمه عن حكم ابنه نبى الله سُليمان عليه السلام.(٤)

كما ذكرنا أيضًا اختلاف نبى الله موسى وأخيه هارون ـ عليهما السلام ـ لما خرج نبى الله موسى عليه السلام للقاء ربه وصنع لهم السامرى العجل.

وفى هذا المقام أيضًا نذكر مؤاخذة الحق ﷻ لنبيه يونس عليه السلام لما رأى أن يخرج ويترك قومه مُغاضبًا ، قال ﷻ :

---

١ ـ البقرة ـ ٢٥٦

٢ ـ الشعراء ـ ٣ ، ٤

٣ ـ البقرة ـ ٢٧٢

٤ ـ خطبة الوحدة أساس البناء

﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1]

وفى عتاب المولى ﷻ لنبيه نوح عليه السلام لما سأل ربه بغير علم ، قال ﷻ :

﴿ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ۝ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾[2]

ويضرب لنا المولى ﷻ مثلاً آخر بحبيبه ومُصطفاه ﷺ حينما جاءته امرأة ظاهر منها زوجها ، فقضى فيها رسول الله ﷺ بما كان عليه قضاء قومه ، فلم ينزل فيها حُكم فى الإسلام ، فكان ذلك رأى رأه رسول الله ﷺ ، لذلك قال لها ﷺ :

{ ما أراك إلا حرمت عليه }[3]

فنزل القُرآن يُبطل هذا القضاء ، ويقضى بكفارة اليمين ، قال ﷻ :

﴿ قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ۝ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَيَقُولُونَ مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ وَزُورٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ﴾[4]

القُرآن الكريم يُسطر لنا تلك المواقف قُرآنًا يُتلى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ليؤكد لنا على حقيقة واضحة جلية ، وهى أن اختلاف الآراء لا يعنى أن يطعن بعضنا فى بعض ، ونُثير الخلافات والفُرقة.

---

[1] ـ الأنبياء ـ ٨٧

[2] ـ هود ـ ٤٥ : ٤٧

[3] ـ أخرجه الطبرى فى تفسيره ، البيهقى فى سننه ـ ك الظهار ـ ب المظاهر الذى تلزمه الكفارة

[4] ـ المجادلة ـ ١ ، ٢

الشورى منهج للحُكم :

وتأكيدًا لهذه السنة الكونية والحقيقة التى فطرنا الله عليها يأمر المولى ﷻ حبيبه ﷺ أن يُشاور أصحابه ﷺ ، فيقول ﷻ : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾(١)

لذلك أسس الإسلام نظامًا للحكم يقوم على الشورى ، وهذا دليل واضح على أن مجال الرأى مُتسع فى الأمور الدُنيوية ، قال ﷻ فى وصف المؤمنين : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾(٢)

والناظر فى سيرة الحبيب المُصطفى ﷺ يجد فيه دائمًا وأبدًا الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة ، والتطبيق العملى لكتاب الله ﷻ.

ففى غزوة بدر يشاور ﷺ أصحابه ﷺ فيقول : { أشيروا على أيها الناس } فلما رأى العزم منهم توكل على الله ﷻ ومضى فى سبيل إعلاء كلمة الحق.

بل إن الصحابة ﷺ لم يتحرجوا من مُراجعة رسول الله ﷺ فى رأيه ، ففى غزوة الأحزاب لما اشتد حصار المشركين للمدينة فاوض رسول الله ﷺ بعض قبائل العرب على أن يتركوا حصارهم للمدينة ، فاشترطوا أن يأخذوا ثُلث ثمار المدينة وكتبوا بذلك كتابًا وأرسلوه إلى رسول الله ﷺ ليمضيه ويشهد عليه. فأرسل ﷺ لسعد بن معاذ ، وسعد بن عبيدة ، سيدىْ الأنصار وشاورهما فى هذا الأمر. فقالا يا رسول الله : أمرًا تُحبه فنصنعه ، أم شيئًا أمرك الله به أم شيئًا تصنعه لنا ؟ قال ﷺ : بل شىء أصنعه لكم والله ما أصنع ذلك إلا أنى رأيت العرب رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما. فقال سعد بن معاذ : يا رسول الله ﷺ قد كنا وهؤلاء على الشرك بالله وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون أن يأكلوا منا ثمرة واحدة ، إلا قرى.

---

١ - آل عمران - ١٥٩

٢ - الشورى - ٣٨

أو بيعًا ، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نُعطيهم من أموالنا ؟ ما لنا بهذا من حاجة ، والله لا نُعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم. فقال ﷺ : أنت وذاك. فأخذ سعد الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب.([1])

اختلاف الصحابة ﷺ فى حياة الرسول ﷺ :

من هنا يتبين لنا أن اختلاف الآراء والمفاهيم سُنة من سنن الله فى خلقه ، سُنة لا تتبدل ولا تتغير ، فمن أراد أن يقهر الناس على رأى واحد خالف إرادة الله وسُنته ، فالصحابة ﷺ اختلفت آراؤهم حتى فى عهد رسول الله ﷺ ولم يجد النبى ﷺ عليهم حرج فى ذلك. فيروى أبو سعيد الخدرى ﷺ قال :

{ لما أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى من تلك العطايا فى قريش وقبائل العرب ولم يكن للأنصار منها شىء ، دخل عليه سعد بن عبادة ﷺ فقال : يا رسول الله ﷺ إن هذا الحى قد وجدوا عليك فى أنفسهم لما صنعت فى هذا الفىء الذى أصبت قسمت فى قومك وأعطيت العطايا عظامًا فى قبائل العرب ، قال ﷺ : فأين أنت من ذلك يا سعد ؟ قال : يا رسول الله ﷺ ما أنا إلا امرؤ من قومى. قال ﷺ : فاجمع لى قومك فى هذه الحظيرة. قال فجاء رجال من المُهاجرين فتركهم فدخلوا وجاء آخرون فردهم ، فلما اجتمعوا أتاه سعد فقال : قد اجتمع لك هذا الحى من الأنصار. قال فأتاهم رسول الله ﷺ ، فحمد الله وأثنى عليه بالذى هو له أهل ، ثم قال : يا معشر الأنصار ما قالة بلغتنى عنكم ، وجدة وجدتموها فى أنفسكم ؟ ألم آتكم ضلالاً فهداكم الله ، وعالة فأغناكم الله ، وأعداء فألف الله بين قلوبكم ؟

قالوا : بل الله ورسوله أمن وأفضل. قال ﷺ : ألا تُجيبوننى يا معشر الأنصار؟

قالوا : وبماذا نُجيبك يا رسول الله ، ولله ولرسوله المنِّ والفضل ؟

قال ﷺ : أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم وصُدقتم : اتيتنا مُكذبًا فصدقناك ومخذولاً فنصرناك وطريدًا فآويناك وعائلاً فأغنيناك أوجدتم فى أنفسكم يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعون أنتم برسول الله فى رحالكم ؟

---

[1] ـ سيرة ابن هشام ـ باب غزوة الخندق

فوالذى نفس مُحمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار ، ولو سلك الناس شعبًا وسلك الأنصار شعبًا لسلكت شعب الأنصار. اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار. قال : فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم ، وقالوا رضينا برسول الله قسمًا وحظًا ، ثم انصرف رسول الله ﷺ وتفرقنا }(١)

وفى أعقاب غزوة الأحزاب والتى نقضت فيها بنو قريظة عهدهم مع رسول الله ﷺ قال ﷺ لأصاحبه : { لا يُصلين أحدكم العصر إلا فى بنى قريظة }

فخرج من خرج مع رسول الله ﷺ ، وتأخر من تأخر حتى كادت الشمس أن تغرب وهم فى الطريق ، فقال البعض نُصلى العصر قبل فوات وقتها ، وقال آخرون بل نلتزم بأمر رسول الله ﷺ ولا نُصلى العصر إلا فى بنى قريظة ، ولما بلغ ذلك رسول الله ﷺ لم يزك أحد على أحد ، ولم يلُم على أحد منهم.(٢)

وعن أبى سعيد الخدرى ﷺ قال : خرج رجلان فى سفر فحضرت الصلاة وليس معهما ماء فتيمما صعيدًا طيبا فصليا ، ثم وجدا الماء فى الوقت ، فأعاد أحدهما الصلاة والوضوء ، ولم يُعد الآخر ، ثم أتيا رسول الله ﷺ فذكرا ذلك له.

فقال ﷺ للذى لم يُعد : أصبت السُنة وأجزأتك صلاتك ، وقال ﷺ للذى توضأ وأعاد : لك الأجر مرتين.(٣)

وعن أبى سعيد الخدرى وأنس بن مالك قالا : { كنا نُسافر مع رسول الله ﷺ فى رمضان فمنا الصائم ومنا المُفطر ، فلم يعب على الصائم ولا المُفطر }(٤)

وعن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت : { اعتمرت مع رسول الله ﷺ من المدينة إلى مكة حتى إذا قدمت مكة قلت يا رسول الله ﷺ : بأبى أنت وأمى قصرتَ وأتممتُ وأفطرتَ وصمتُ. قال ﷺ : أحسنتِ يا عائشة. قالت : وما عاب علىَّ }(٥)

---

١ ـ أخرجه أحمد فى مسنده ـ ج ٣ ص ٧٦ ، وصححه العلامة أحمد شاكر برقم ١١٦٧٠

٢ ـ أخرجه الحاكم فى المستدرك وصححه على شرط الشيخين من رواية السيدة عائشة رضى الله عنها ـ ك المغازى والسرايا ـ ح رقم ٤٣٩٢ ج ٣ ص ٣٩ ، ٤٠

٣ ـ أخرجه أبو داود ـ ك الطهارة ـ ب المتيمم يجد الماء بعدما يصلى الوقت ، النسائى ـ ك الغسل والتيمم ـ ب التيمم لمن يجد الماء بعد الصلاة ، وصححه الحاكم ك الطهارة.

٤ ـ متفق عليه ، البخارى ك الصوم ب لم يعب أصحاب النبى ﷺ... ، مسلم ك الصيام ب جواز الصوم والفطر ..

٥ ـ أخرجه النسائى ـ ك تقصير الصلاة فى السفر ـ ب المقام الذى يقصر بمثله الصلاة.

وفى حجة الوداع سُئل رسول الله ﷺ عن الكثير من المناسك ، البعض يُقدم منسكًا على الآخر ، فسائل يقول حلقت قبل أن أذبح ، فيقول له ﷺ : اذبح ولا حرج ، وآخر يقول نحرت قبل أن ارم ، فيقول له النبى ﷺ : ارم ولا حرج.(١)

اختلاف الصحابة ﷺ بعد وفاة الرسول ﷺ :

وبعد وفاة رسول الله ﷺ اختلف الصحابة ﷺ فيمن يكون الخليفة من بعده ﷺ ثم اتفقوا على أبى بكر الصديق ﷺ ، اختلاف لا يخرج عن خُلق الإسلام القويم وأدبه الكريم ، لا تكفير ولا تخوين ولا إقصاء ، لم يُقرب أبو بكر ﷺ من اختاره وقدمه أولاً ، ولم يُقص ويُبعد من اختار غيره ولكنه يُقدم مصلحة الأمة بأسرها.

واختلف الصحابة ﷺ بعد وفاة رسول الله ﷺ فى جمع القرآن. وتحرج بعضهم أن يفعل أمرًا لم يفعله رسول الله ﷺ ، ثم اتفقوا على أن المصلحة تقتضى جمعه.

واختلفوا فى أمر مانعى الزكاة ، ورسول الله ﷺ لم يقتل من منع الزكاة فى عهده ، والقُرآن الكريم توعد مانعى الزكاة بالعذاب الأليم فى الآخرة ، ولم يأمر بقتالهم ، بيد أن أبا بكر الصديق ﷺ رأى أن تركهم سيؤدى إلى انفصام عرى الإسلام وانهيار الدولة ، فقال قولته المشهورة : " والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال ، والله لو منعونى عناقًا (أو قال عقالاً) كانوا يؤدونها لرسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها "(٢)

آراء وروئ تختلف وتتابين ، هكذا فطرنا الله ﷻ ، ولكنهم لا يُكفرون ولا يُخونون ، ولا يُقصون. الفرق كبير بين اختلاف الآراء فيما فيه المصلحة العامة للبلاد والعباد ، وبين الاختلافات والصراعات على المناصب والمصالح الشخصية فتلك هى الطامة الكبرى التى حذرنا المولى ﷻ منها ، فقال ﷻ :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍ ﴾(٣)

---

١ ـ البخارى ـ ك الحج ـ ب إذا رمى بعدما أمسى ... ، مسلم ـ ك الحج ـ ب من حلق قبل النحر أو نحر قبل الرمى.
٢ ـ أخرجه البخارى ـ ك الزكاة ـ ب وجوب الزكاة ، من رواية أبى هريرة ﷺ
٣ ـ الأنعام ـ ١٥٩

الفصل الثاني

الفقه وأصوله

١ـ شرع الله فهمًا وتطبيقًا

٢ ـ مقاصد الشريعة

٣ ـ فقه الأولويات

٤ ـ الحقوق قبل الصدقات

٥ ـ منزلة العقل

٦ ـ بين العقل والنقل

٧ ـ فقه الواقع

٨ ـ النظام

٩ ـ القوانين الوضعية

١٠ ـ درء المفاسد وجلب المنافع

١١ ـ فروض الكفاية

١٢ ـ الوقاية من الأمراض

شرع الله تعالى فهماً وتطبيقاً [1]

مُقدمة :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ أما بعد ،،،

فمنذ سنوات مضت تنطلق دعوات تُطالب بتطبيق الشريعة الإسلامية ، وقد كان لهذا الدعوات وقعها الطيب فى قلوب الناس حينما كانت تأتى من عُلماء أجلاء كانوا مثلاً أعلى فى الورع والتقوى والخُلق الحسن ، وكان الشباب يلتف حول أصحاب تلك الدعوات مؤيدين ومُباركين لها.

أما فى هذه الأيام وللأسف الشديد فقد وجدنا هذه الدعوات يُنادى بها فصيل مُعين لينتصر بها على فصيل آخر ، واسُتخدمت تلك الدعوى لتنتصر بها جماعة مُعينة ضد إرادة ورغبة المُجتمع بأسره ، بل وجدنا من هم أبعد ما يكون عن آداب الإسلام وأخلاقه الكريمة يُنادون بشرع الله ﷻ ، وهم فى حقيقة الأمر يُتاجرون بدين الله ﷻ ابتغاء المال أو المناصب الدُنيوية ، حتى صار الكثير من الناس فى حيرة من أمرهم ، هل ما يُنادى به هؤلاء الأدعياء حقًا هو دين الله ﷻ وشرعه الحكيم ؟!

معنى الشريعة :

وأريد أن نستجلى فى هذه الدقائق المعدودة حقيقة الشريعة الإسلامية والتى جاءت فى كتاب الله ﷻ بمعنى عام وشامل للدين كُله بما يشمله الدين من عقيدة وعبادات وأخلاق ومُعاملات ، قال ﷻ :

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ﴾[2]

---

[1] ـ ألقيت هذه الخطبة بمسجد الشيخ / صديق المنشاوى بحدائق القبة بتاريخ ٢٠١٣/١/١١

[2] ـ الشورى ـ ١٣

وقد عرف العُلماء الشريعة بمعناها العام بأنها :

{ ما سنه الله ﷻ لعباده من الدين وافترضه عليهم }

وقيل أيضًا : { هى ما جاءت به الرسُل من عند الله ﷻ بقصد هداية البشر إلى الحق فى الاعتقاد ، وإلى الخير فى السلوك والمُعاملات }

أما المعنى الخاص وهو المشهور والمُتداول فتعنى الأحكام الشرعية العملية التى تختص بالعبادات والمُعاملات ، وتنحصر فى خمسة أحكام هى :

{ الفرض والمُستحب ، والمُباح ، والحرام ، والمكروه }

وتُستنبط الأحكام الشرعية من الأدلة التفصيلية ، وعلى رأس تلك الأدلة القُرآن والسُنة. قال ﷻ : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾[1]

ثم يأتى بعد ذلك الإجماع والقياس ، وغير ذلك من أدلة أخرى استفاض الفُقهاء والعُلماء فى شرحها فى علم أصول الفقه.

الفقه :

وقد تأتى الأحكام بنصوص قطعية الثبوت قطعية الدلالة ، لا مجال للرأى فيها مثال ذلك : فرض الصلاة والصيام والزكاة والحج ، وتحريم القتل ، والسرقة وشُرب الخمر ، وغير ذلك من أحكام ثابتة قطعية.

ولكننا حينما نُطبق هذه الأحكام على الواقع الذى نعيش فيه بتفصيلاته ومُتغيراته يحتاج ذلك إلى الاجتهاد بالفكر والنظر والتأمل.

وهنا يأتى علم الفقه لاستنباط الأحكام الشرعية من أدلتها الكُلية.

فالصلاة فرض عين على كل مُسلم بلا خلاف ، ولكن فى التطبيق العملى تثور الكثير من المسائل التى تحتاج إلى اجتهاد العُلماء والفُقهاء ليستنبطوا لنا الأحكام.

مثال ذلك : حُكم صلاة الفائتة ، فمن فاتته صلاة هل يجوز قضاؤها.

جمهور العُلماء على وجوب القضاء لمن فاتته صلاة ، وهناك رأى آخر بعدم الجواز وعلى من قصر فى أداء الصلاة أن يُكثر من النوافل لأنها تُجبر الفروض.

---

[1] - آل عمران - ١٣٢

وكم من الفوائت يجوز قضاؤها ، اختلف الفُقهاء فى هذه المسألة أيضًا ، إلى غير ذلك من المسائل التفصيلية العديدة التى اختلف فيها العُلماء.

فحينما نقول إن شرع الله ﷻ يفرض الصلاة على كل مُسلم بالغ عاقل ، فهذا حق لا خلاف فيه ، ولكن فى التطبيق العملى تأتى الكثير من المسائل الخلافية التى تحتاج إلى اجتهاد العُلماء والفُقهاء.

وقد حدث هذا الخلاف فى عهد رسول الله ﷺ ، فى أعقاب غزوة الأحزاب والتى نقضت فيها بنو قُريظة عهدهم مع رسول الله ﷺ فقال ﷺ لأصحابه : { لا يُصلين أحدكم العصر إلا فى بنى قُريظة } ، كما بينا فى لقاء سابق(١)

فلا يجوز لأى من العُلماء مهما بلغ علمه أن يجتهد فى استنباط حُكم ثم يدعى أن هذا هو شرع الله. فهذا ادعاء كاذب. بل يقول هذا رأيى يحتمل الخطأ والصواب ، كما قال الإمام الشافعى : { رأيى صواب يحتمل الخطأ ، ورأى غيرى خطأ يحتمل الصواب } ، وكما قال الإمام مالك : { كل الكلام يؤخذ منه ويرد ، إلا كلام صاحب هذا المقام } وأشار إلى قبر رسول الله ﷺ.

فمن أراد أن يُلزم الناس برأيه فلا يُعد عالمًا أو فقيهًا ، وإنما هو مُدع مُتجرؤ مُتطاول على حُكم الله ﷻ وشرعه.

<u>حُكم الله ﷻ :</u>

وفى صحيح الإمام مُسلم حديث عظيم الشأن يجب أن نقف عنده طويلاً بالفكر والنظر والتأمل ، وأن نضع هذا الحديث منهجًا لنا فى فهم حُكم الله ﷻ وشرعه.

فعن بُريدة ﷺ قال : كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميرًا على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله. ثم عدد بعض الوصايا الأخرى ثم قال ﷺ :

{ وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تُنزلهم على حُكم الله فلا تُنزلهم على حُكم الله ، ولكن أنزلهم على حُكمك أنت ، فإنك لا تدرى أتُصيب حُكم الله فيهم أم لا }(٢)

---

١ ـ خطبة سنة الاختلاف

٢ ـ ك الجهاد والسير ـ ب تأمير الإمام على البعوث.

إن النبى ﷺ يؤكد لنا على أن من اجتهد فى استنباط حُكم من الأحكام لا يجوز له بأى حال أن يدعى أن هذا الحُكم هو شرع الله ﷻ.

أمثلة من الواقع :

والأمثلة من الواقع الذى نعيش فيه الآن كثيرة ، نقتبس بعضًا منها.

فوائد البُنوك :

فتخرج علينا الفتاوى بتحريم فوائد البُنوك ، فيقولون إنها عين الربا الذى حرمه الله ﷻ فى كتابه الكريم ، فقال ﷻ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾[1]

ولا يذكر أصحاب تلك الفتاوى رأيًا آخر للعديد من العُلماء والفُقهاء الأجلاء ومنذ عشرات السنين بإباحة فوائد البُنوك.[2] ويستند أصحاب هذا الرأى فى ذلك إلى أن الربا الذى حرمه الله ﷻ وتوعد من عمل به كان لعلة استغلال الغنى للفقير ، فالغنى يزداد غنى والفقير يزداد فقرًا فيعُم البُغض والكراهية بين الناس بما يُخالف مُراد الحق ﷻ من التواد والتراحم والتكافل بين الناس ، وهذا يختلف عن المُعاملات البنكية فى العصر الحالى ، فالبُنوك تُقرض فى الغالب الأعم المُستثمرين وتُشارك فى مشروعات وشركات تُحقق أرباحًا تفوق ما يتقاضاه المودعون ، لذلك يرون أن الاستثمار فى المُعاملات البنكية لا علاقة له بالربا الذى حرمه الله ﷻ. ويجوز للمُسلم أن يأخذ بأى من الرأيين وما يطمئن له قلبه ولا حرج عليه فى ذلك ، لكن الذى لا يجوز أبدًا هو أن يخرج علينا من يُفتى بالتحريم ، ويدعى أن هذا هو شرع الله ﷻ ، ويتوعد المُتعاملين مع البُنوك بالفوائد المُحددة سلفًا بالويل والثبور وعظائم الأمور. قل هذا الرأى الذى أطمئن إليه ، وهذا اجتهادى الذى أُلزم به نفسى ولا أُلزم به غيرى.

---

[1] ـ البقرة ـ ٢٧٨ ، ٢٧٩

[2] ـ راجع مُعاملات البنوك وأحكامها الشرعية ، للدكتور / محمد سيد طنطاوى ـ شيخ الأزهر ـ رحمة الله عليه ـ

ما لم يرد فى شرع الله ﷻ :

ومن الفتاوى الغريبة والعجيبة فى هذه الأيام التى يستند أصحابها إلى أن ما لم يرد فى كتاب الله وسُنة رسول الله ﷺ لا يجوز لنا أن نوجبه وأن نفرضه فى القوانين الوضعية.

فاستمعنا لمن يقول إن تحديد سن مُعين للزواج مُخالف لشرع الله ﷻ ، لأن القُرآن والسُنة لم يرد بهما هذا التحديد. وبهذا المفهوم الغريب يكون توثيق عقود الزواج مُخالفًا لشرع الله ﷻ ، واستخراج بطاقة شخصية أو ما يسمى الآن بالرقم القومى هو مُخالف لشرع الله ﷻ ، وغاب عن هؤلاء أن مصالح العباد هى من أجل وأعظم مقاصد الشريعة الإسلامية. قال ﷻ عن حبيبه وصفيه ﷺ :

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾(١)

فالرحمة تشمل كل ما فيه صلاح ونفع للناس. قال ﷻ على لسان نبيه شُعيب عليه السلام : ﴿ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾(٢)

يقول الإمام ابن القيم رحمة الله عليه : " إن الشريعة مبناها وأساسها على الحكمة ومصالح العباد فى المعاش والمعاد ، وهى عدل كُلها ، ورحمة كُلها ومصالح كُلها وحكمة كُلها ، فكُل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور ، وعن الرحمة إلى ضدها ، وعن المصلحة إلى المفسدة ، وعن الحكمة إلى العبث فليست من الشريعة ، وإن دخلت فيه بالتأويل"(٣)

مواقيت الصلاة ورؤيا الهلال :

من الغريب والعجيب فى هذا المقام أننا نأخذ بالمصلحة فى أمر ونرفضه فى أمر آخر ، على الرغم من أنهما بالقياس سواء ، لا فرق بينهما.

---

١ ـ الأنبياء ـ ١٠٧

٢ ـ هود ـ ٨٨

٣ ـ إعلام الموقعين ـ ج ٣ ص ٣ ـ طبعة دار النهضة الجديدة ـ القاهرة

مثال ذلك مواقيت الصلاة ، فقد كان فى عهد رسول الله ﷺ يُحددون مواقيت الصلاة برؤية البصر ، فوقت الظهر حين زوال الشمس من كبد السماء ، والعصر حين يصير ظل كُل شىء مثله ، ووقت المغرب حين غروب الشمس ، والعشاء حينما يغيب الشفق ، ووقت الفجر ببزوغه وسطوعه. أما فى هذا العصر فالكُل مُجمع على تحديد مواقيت الصلاة بعلم الفلك الذى يُحدد لنا بدقة وقت كُل صلاة لكننا نختلف فى الأخذ بعلم الفلك فى تحديد أوائل الشهور ، ويأتى من يرفض علم الفلك ، ويتمسك برؤيا العين على الرغم أنهما فى الحُكم سواء ، ويُحققان ما فيه مصلحة الناس فى الاجتماع والتوافق على بداية الشهور.

الخضاب للمرأة :

من الأمثلة التى توضح لنا فساد رأى من يأخذ بظاهر النصوص ويُعد ذلك بفهمه السقيم وعقله الضعيف شرع الله ﷻ ، ما روى أن امرأة دخلت على رسول الله ﷺ فقال لها ﷺ : { اختضبى ، تترك إحداكن الخضاب حتى تكون يدها كيد رجل}([1])

والخضاب يعنى تغيير لون الشىء ، والمقصود استخدام الحناء للعناية ببشرة اليد. والسؤال الذى يطرح نفسه هنا هل استخدام الحناء هو شرع الله ﷻ والمُستحضرات الحديثة للعناية بالبشرة يُخالف شرع الله ﷻ ؟!

وهل نساء هؤلاء الأدعياء يستخدمن الحناء الآن فى العناية بأيديهن أم يستخدمن أحدث وسائل العناية بالبشرة والشعر وسائر مُستحضرات التجميل الحديثة ؟

الكُحل للرجل والمرأة :

وفى نفس المقام نقف مع حديث رسول الله ﷺ الذى يوصى فيه الرجال والنساء على حد سواء باستخدام الكُحل للعناية بالبصر ، فيقول ﷺ :

{ اكتحلوا بالإثمد ، فإنه يجلو البصر ، ويُنبت الشعر }([2])

---

[1] ـ أخرجه أحمد ـ ج ٤ ـ ص ٧٠ ، وصححه العلامة أحمد شاكر فى تحقيقه ج ١٣ ص ١٠٦

[2] ـ أخرجه أحمد ج ٣ ص ٤٧٦ ، والترمذى ـ ك اللباس ـ ب ما جاء فى الاكتحال ، من رواية ابن عباس ﷺ ، والإثمد حجر يستخرج منه أجود أنواع الكحل ، وقيل هو ذاته الكُحل.

فهل يأثم الرجال فى هذا العصر لأنهم لا يستعملون الكُحل الذى يُعد بفهمهم السقيم هو شرع الله واستخدام غير ذلك من الأدوية لعلاج البصر مُخالف لشرع الله.

فى ختام الأمر أقول يجب أن نأخذ ديننا الصحيح ونفهم شرع الله الحكيم من العُلماء الأجلاء ، الذى افردوا لمقاصد التشريع فهمًا وتطبيقًا أبوابًا ومؤلفات من قرون مضت ، ونتجنب هؤلاء الأدعياء الجاهلين ، الذين يُتاجرون بدين الله ﷻ ولا يتعدى علمهم وفهمهم ظواهر النصوص. يقول أسعد الخلق ﷺ فى الحديث :

{ يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المُبطلين ، وتأولين الجاهلين }([1])

الخُطبة الثانية :

الأحكام الفقهية المُتعلقة بالعبادات والمُعاملات والتى اتفق العُلماء بلا خلاف على أنها قطعية الثبوت قطعية الدلالة هى من شرع الله ﷻ. كذلك فإن مقاصد التشريع المُتفق عليها بلا خلاف هى من شرع الله ﷻ.

ومقاصد التشريع تعنى ما أراده الله من شرعه الحكيم ، أراد إقامة الحق والعدل أراد بنا اليُسر والتخفيف ، أراد بنا الصلاح وحرم علينا ما فيه فساد وإفساد.

قال ﷻ : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾([2])

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾([3])

﴿ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴾([4])

فكل حكم يُحقق مقصدًا أو أكثر من مقاصد التشريع هو من شرع الله ، ولا يدعى المُتاجرون بالدين أنه لم يرد فى شرع الله ، فشرع الله مقاصد وغايات وليس نصوصًا حرفية نعبدها ونطبقها بلا فهم ، فذلك أبعد ما يكون عن حقيقة الإسلام.

---

[1] - أخرجه البيهقى فى السنن والبزار وغيرهما بروايات مختلفة (جمع الجوامع ج ١٣ ص ١١٥)
[2] - البقرة - ١٨٥
[3] - النساء - ٢٧
[4] - غافر - ٣١

مقاصد التشريع

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ أما بعد ،،،

فقد خلقنا الله ﷻ وفطرنا على توحيده ﷻ والإقرار لـه بـالألـوهيـة والربوبية والوحدانية ، قال ﷻ :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴾(١)

فطرنا الله ﷻ على حُب الحق والعمل على إعلائه ، وبُغض الباطل والسعى فى دحضـه وإزهـاقه ، فطرنا على حُب الخير وبُغض الشر ، على حُب العدل وكُره الظُلم والبغى والعدوان. قال ﷻ :

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٢)

بيد أن الإنسان قد أغواه الشيطان بتزييف الحق وتزيين الباطل ، فحاد عن فطرة الله ﷻ وخرج عن صراطه المُستقيم. يقول ﷻ فى الحديث القدسى :

{ إنى خلقت عبادى حنفاء كُلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فأضلتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم ، وأمرتهم أن يُشركوا بى ما لم أُنزل به سُلطانا }(٣)

فبعث الله ﷻ أنبياءه ورسُله ، وأنزل كُتبه الكريمة ووحيه العظيم ليرد الناس إلى الفطرة السليمة التى خلقهم عليها ، وإلى صراطه المستقيم.

فيبدأ الأنبياء جميعًا دعوة أقوامهم إلـى عبـادة الله ﷻ والإقـرار لـه بالألوهية والربـوبيـة والتوحيد.

---

١ ـ الأعراف ـ ١٧٢

٢ ـ الروم ـ ٣٠

٣ ـ أخرجه مسلم ـ ك الجنة وصفة نعيمها ـ ب الصفات التى يعرف بها..... ، من رواية قتادة ﷺ

قال ﷻ : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾[1]

دعوة تقوم وتؤسس على الدليل والبرُهان ، وحث الناس على إعمال العقل بالفكر والنظر والتأمل فى خلق الله ﷻ ومخلوقاته.

﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[2]

آيات وآيات فى كتاب الله ﷻ تدعونا إلى التفكير والنظر والتأمل ، فالعقل مناط التكليف والسبيل الوحيد للإيمان الصحيح ، وهو ما كرم الله ﷻ به الإنسان على سائر المخلوقات.

قال ﷻ : ﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴾[3]

بل إن الله ﷻ يبين لنا أن التوحيد يقوم على علم ، يجب علينا أن نتعلمه حتى نصل إلى مرتبة اليقين.

يقول ﷻ : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴾[4]

ثم تأتى بعد ذلك التشريعات من عبادات ومُعاملات وأخلاق ، بكل ما فيها من خير وعدل للإنسان.

---

[1] ـ الأنبياء ـ ٢٥

[2] ـ آل عمران ـ ١٩٠ ، ١٩١

[3] ـ الإسراء ـ ٧٠

[4] ـ محمد ـ ١٩

يقول ﷻ : ﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِ ﴾(١)

من ذلك يتبين لنا أن شرع الله ﷻ إنما أراد به إقامة الحق والعدل والخير والصلاح ، قال ﷻ : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ ﴾(٢)

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴾(٣)

﴿ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴾(٤)

مقاصد التشريع :

وقد أمرنا الله ﷻ بالتدبر والتفكر فى كتابه الكريم فى آيات كثيرة تؤكد على أن الفكر والنظر ، والتأمل والتدبر فريضة إسلامية. قال ﷻ :

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾(٥)

لذلك فقد استنبط العُلماء مقاصد التشريع وما يهدف إليه الحق ﷻ من شرعه الحكيم ، فوقفوا على خمسة مقاصد هى :

{ حفظ الدين ، والنفس ، والعقل ، والنسل ، والمال }

ومعنى ذلك أنك تجد فى أى تشريع لله ﷻ مقصدًا أو أكثر من تلك المقاصد الخمسة ، فمثلاً نجد فى تحريم القتل حفظًا للنفس ، وفى تحريم الخمر حفظًا للعقل وفى تحريم الزنا حفظًا للنسل ، وفى تحريم السرقة حفظًا للمال ، وفى فرض الجهاد حفظًا للمقاصد الخمسة التى ذكرناها.

---

١ ـ الحديد ـ ٢٥

٢ ـ البقرة ـ ١٨٥

٣ ـ النساء ـ ٢٧

٤ ـ غافر ـ ٣١

٥ ـ ص ـ ٢٩

ومما يؤسف له أن الكثير ممن يدعون العلم يُلقون بالأحكام جزافًا بلا فقه ولا نظر ، ويذكرون نصوصًا من كتاب الله ﷻ وأحاديث رسول الله ﷺ بلا فهم لمقاصد التشريع ، والناس يستمعون لتلك الأحكام فيتحرجون مما يسمعونه من نصوص ويتهيبون أن يسألوا عنها ، لما حرم هذا ومنع ذاك ؟ مع أن الإسلام كما ذكرنا يفرض علينا أن نعى ونفهم ونُعمل عقولنا فى شرعه الله ﷻ من أحكام ، لنقف على مُراد الله ﷻ وحكمته ، وما تهدف إليه تلك الأحكام من إقامة الحق والعدل ومصالح العباد.

فقه النصوص :

فمن الواجب علينا أن نقف مع أوامر الله ﷻ وتشريعاته فى كتابه الكريم وسُنة رسول الله ﷺ بالتدبر والتفكر فى مُراد الله ﷻ وما يُحققه من مصالح للعباد ، ولا نأخذ النصوص بحرفيتها ونُغيب عقولنا عما يهدف إليه الشارع الحكيم.

ونضرب لذلك بعض الأمثلة :

المثل الأول : فحينما يأمرنا المولى ﷻ بإعداد ما نستطيع من القوة لمُجابهة العدو ورد كيده وبغيه وعدوانه. فهذا هو الأصل المفروض علينا والذى نُحاسب إن قصرنا فيه. قال ﷻ : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾(١)

أما ما هى أنواع تلك القوة فهذا الأمر متروك لكل عصر ، ولا يُقبل ولا يُعقل أن يُقال إن الله ﷻ أمرنا بإعداد الخيول لكى نواجه بها الآن ما يمتلكه العدو من طائرات ، ودبابات ، وأسلحة كيميائية ونووية.

كما أن ما ورد فى سُنة رسول الله ﷺ فى فضل الرمى والسهم وكيف كان النبى ﷺ يُنظم جيشه ، نأخذ ونفهم منه أنه من الواجب علينا تحصيل كُل أسباب القوة لكى يُكتب لنا النصر.

---

١ ـ الأنفال ـ ٦٠

ولا يجب علينا أن نُحارب بما حارب به رسول الله ﷺ ، فهذا كان يصلح فى عهده وعصره ﷺ لا فى واقعنا المُعاصر. أما الدارس والباحث فى العلوم العسكرية فيدرس غزوات رسول الله ﷺ باعتبارها تاريخًا للعسكرية ، ليمر بمراحل تطور تلك العلوم والمعارف.

المثل الثانى : ومن الأمثلة الأخرى على وجوب إعمال العقل فى شرع الله ﷻ للوقوف على مقاصد الشارع الحكيم ، ما روى عن على بن أبى طالب ﷺ قال :

{ بعث النبى ﷺ سرية فاستعمل رجلاً من الأنصار وأمرهم أن يطيعوه. فغضب فقال : أليس أمركم النبى ﷺ أن تُطيعونى ؟ ، قالوا بلى. قال : فاجمعوا لى حطبًا. فجمعوا. فقال : أوقدوا نارًا. فأوقدوها. فقال : ادخلوها. فهموا. وجعل بعضهم يُمسك بعضًا ويقولون : فررنا إلى النبى ﷺ من النار. فما زالوا حتى خمدت النار. فسكن غضبه. فبلغ ذلك النبى ﷺ فقال : لو دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة. إنما الطاعة فى المعروف }

وفى رواية أخرى : { لا طاعة فى معصية }(١)

فيبين لنا الحبيب المُصطفى ﷺ أن الطاعة العمياء ، والانقياد المُطلق بلا عقل ليس من الإسلام فى شىء ، بل يجب على المُسلم أن يوطن نفسه على الفكر والنظر للوقوف على ما فيه مرضاة المولى ﷻ.

المثل الثالث : ومن أحكام الميراث التى نص عليها القُرآن الكريم فرض الثُلث للأخوة لأم ، إن لم يكن للمُتوفى ولد ذكر أو أب ، قال ﷻ :

﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾(٢)

---

١ ـ أخرجه البخارى ـ ك المغازى ـ ب سرية عبد الله بن حذافة ﷺ

٢ ـ النساء ـ ١٢

وقد حدثت واقعة فى عهد أمير المؤمنين عُمر بن الخطاب ﷺ حيث توفيت امرأة عن زوجًا وأمًا واثنين من الأخوة لأم وأخوة أشقاء ، فيكون الميراث للزوج النصف ، وللأم السُدس ، والثُلث للأخوين لأم ، ولا يبقى شىء للأخوة الأشقاء.

فقالوا لعُمر بن الخطاب : هب أن أبانا حجر ، أو حمار ، ألسنا من أم واحدة.

فقسم عمر ﷺ الثُلث بين الأخوة جميعًا.(١)

المثل الرابع : ومن الأمثلة الواضحة أيضًا على وجوب إعمال العقل للوقوف على مراد الشارع الحكيم ، أمر رسول الله ﷺ استئذان البكر فى الزواج ، يقول ﷺ :

{ لا تُنكح البكر حتى تُستأذن ، قالوا : وكيف إذنها قال ﷺ : أن تسكت }(٢)

والسؤل الذى يطرحه العُلماء لبيان وجوب إعمال العقل ونقض فكر من يأخذ بظاهر النصوص ، إذا قالت البكر إذا سئلت أوافق.

فهل لا يقبل منها ذلك ، ولا تنعقد موافقتها إلا بالسكوت ؟!!

أمثلة من واقعنا المُعاصر :

المثل الأول : ورد عن رسول الله ﷺ الكثير من الأحاديث تحث على تقصير الثوب وتنهى عن إطالته ، وحينما ينظر ويتفكر المُطالع لتلك الأحاديث لفهم فقه الأمر والنهى فيها يجد أنها تربط ذلك بمن يجر ثوبه فخرًا وخُيلاء ، وكان ذلك شائعًا ومعروفًا قبل الإسلام ، فجاءت السُنة النبوية لتنهى عن هذا الخلق البغيض وهو الكبر والعجب. قال ﷺ : { لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر ثوبه خُيلاء }(٣)

وقال أيضًا ﷺ { من جر ثوبه خُيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة.

فقال أبو بكر ﷺ : يا رسول الله إن إزارى يسترخى إلا أن أتعاهده.

فقال ﷺ : إنك لست ممن يفعله خُيلاء }(٤)

---

١ ـ تفسير ابن كثير

٢ ـ البخارى ـ ك النكاح ـ ب لا ينكح الأب وغيره الأيم والبكر إلا برضاها ، مسلم ك الزواج ب استئذان الثيب ....

٣ ـ متفق عليه من رواية ابن عمر ﷺ ، البخارى ك اللباس ب ١ ،مسلم ك اللباس والزينة ب تحريم من جر ثوبه

٤ ـ أخرجه البخارى ـ ك اللباس ـ ب ٢ ، من رواية ابن عمر ﷺ

المثل الثانى : إخراج زكاة الفطر عينًا أم نقدًا ؟

عن ابن عُمر ﷺ قال : { فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر من رمضان صاعًا من تمر أو شعير ، على كل حُر أو عبد ، ذكر أو أنثى من المُسلمين }

وفى رواية لأبى سعيد الخُدرى ﷺ قال :

{ صاعًا من طعام أو تمر أو شعير أو زبيب أو أقط }[1]

وقد أجاز الإمام أبو حنيفة وغيره من الفُقهاء إخراج الزكاة نقدًا منذ أكثر من ألف عام ، ومازلنا حتى الآن نُجادل فى تلك المسألة ، مع أن العقل والمنطق يوجب فى هذا العصر إخراجها نقدًا لما فيه مصلحة للفقير.

والغريب والعجيب فيمن يتمسك بحرفية النص دون إعمال العقل ، وقد شاهدنا الأغنياء يشترون الصاع من القمح بعشر ريالات فيُعطونه للفقير ، فيبيعه الفقير للتاجر بثمانية ريالات ، ويكسب التاجر ريالَيْن ، فتقول للمُزكى لو أعطيت الريالات العشرة للفقير أليس ذلك خير له ؟ يقول لا هذا مُخالف لسُنة النبى ﷺ !!!

فتأمل فى حال هؤلاء الناس وكيف وصل الجمود بهم إلى إيقاع الضرر بالفقراء بزعم أنهم يلتزمون بسُنة النبى ﷺ ، والنبى من هذا الجمود براء.

مثل ثالث : من سُنة النبى ﷺ وهديه يحثنا على السواك ، ويبين لنا المقصد والغرض من استعمال السواك. فيقول ﷺ : { السواك مطهرة للفم مرضاة للرب }[2]

والسواك هو الوسيلة التى كانت معروفة فى عهد رسول الله ﷺ لتطهير الفم وتنظيف الأسنان ، فإذا جاء العلم بعد بحوث واجتهادات ليكتشف لنا معجونًا للأسنان يكون أكثر تطهيرًا وحمايَّة للأسنان فإن استعمال هذا المعجون بفرشاة الأسنان المعروفة هو من هدى رسول الله ﷺ ، ويؤجر المرء على استعماله كما يؤجر على استعمال السواك ، لأن الأمور يجب أن تؤخذ بمقاصدها وغايتها ، ولا نأخذ النص بظاهره ، كما ذكرنا فى إعداد العدة للقتال.

---

[1] ـ متفق على صحته من رواية ابن عمر ﷺ (البخارى ك الزكاة ب صدقة الفطر ، مسلم ك الزكاة ب زكاة الفطر)

[2] ـ أخرجه النسائى ـ ك الطهارة ـ ب الترغيب فى السواك ، وابن حبان فى صحيحه ـ ك الطهارة ح رقم ١٠٦٧ ، من رواية السيدة عائشة رضى الله عنها

مثل رابع : ما نراه فى بعض المساجد من التمسك بأن يخرج المؤذن خارج المسجد ولا يؤذن داخله ، بزعم أن الآذان داخل المسجد مُخالف لهدى رسول الله ﷺ فقد كان المؤذن فى عهد رسول الله ﷺ يعلوا سطح المسجد ليؤذن فى الناس ، لكى يصل صوته إلى الغالب الأعم من الناس ، ولو أذن وهو داخل المسجد ما سمعه أحد من خارجه ، أما فى العصر الذى نعيش فيه فمدى الصوت يبلغ بمُكبرات الصوت الحديثة ، والسماعات التى توضع أعلى سطح المسجد ويتم توجيهها بالكيفية التى تعم وتصل إلى أغلب الناس. فأى منطق وأى عقل يزعم أن السُنة فى أن يؤذن خارج المسجد ، وأن الآذان داخل المسجد مُخالف لهدى رسول الله.

مثل خامس : حديث { تناكحوا تناسلوا تكاثروا فإنى مُباه بكم الأمم يوم القيامة } هل المقصود بالحديث العدد ، وإن كان جاهلاً ضعيفًا ؟ أم المقصود العدد القوى الذى يُباهى به ؟ ، وفى ذلك يقول ﷺ فى الحديث :

{ توشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها. قالوا : أومن قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ قال ﷺ : بل من كثرة ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من قلوب أعدائكم المهابة ، وليقذفن فى قلوبكم الوهن.

قالوا : وما الوهن يا رسول الله ﷺ ؟ قال ﷺ : حُب الدنيا وكراهية الموت }(١)

فى ختام الأمر أقول إنه لا سبيل لنا للتقدم والرقى والنهوض بالأمة مما حل بها من ضعف وهوان إلا بالتمسك بكتاب الله ﷻ وسُنة رسوله ﷺ ، وذلك بإعمال العقل والفكر والنظر لتحقيق مُراد الله ﷻ فى أن نكون بحق خير أُمة أُخرجت للناس.

والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل

---

١ ـ أخرجه أبو داود ـ ك الملاحم ـ ب تداعى الأمم وأحمد ج ٥ ص ٢٧٨ من رواية ثوبان ﷺ

فقه الأولويات[1]

مُقدمة :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ أما بعد ،،،

فكل منا يُفاضل ويوازن فى أحواله وأعماله ، نرتب أمورنا فنُقدم عملاً على عمل آخر ، نشترى هذا ونؤجل شراء ذاك ، ونسلك هذا الطريق فى سيرنا ونُعرض عن طريق آخر ، ونظن أن ما اخترناه هو الأولى والأفضل بالنسبة لنا فكُل منا يوازن ويُفاضل ويُقارن ويختار الأولى الذى هو بالنسبة له الأفضل ، نُقدم هذا ونؤخر ذاك ، ونبدأ بعمل ونُرجئ عملاً آخر ، وفى كل ذلك نبتغى الأفضل والأولى لنا.

وربما يعيب بعضنا على بعض أو يلوم الصاحب صاحبه أو قد يؤنب الواحد منا نفسه ، لما بدأت بهذا وأخرت ذاك ، ولما شُغلت بهذا الأمر ونسيت ما هو أهم وأولى ، ولما قدمت هذا وأخرت ذاك.

إذا كان هذا حالنا فى أمور الدُنيا فمن الواجب أن نجد ونجتهد أكثر من ذلك فى أمور الآخرة ، فنختار أعظم الأعمال وأفضل العبادات التى تُقربنا إلى الله ﷻ.

فقه الأولويات :

وأولويات العمل فى الإسلام فقه وعلم يجب علينا أن نتعلمه ونعمل به ، فقه له أصول وقواعد من كتاب الله ﷻ ومن هدى رسوله المُصطفى ﷺ تحدث العُلماء عنه طويلاً وكتبوا فيه أبوابًا وفصولاً.

بل أُلفت فيه كتب خُصصت لهذا الفقه والعلم العظيم الذى لا يصلح عمل العبد إلا بتعلمه والعمل به.[2]

---

[1] ـ ألقيت هذه الخطبة بمسجد شرف الدين بحدائق القبة بتاريخ ٢٠١٣/٣/٢٩

[2] ـ راجع : قواعد الأحكام فى إصلاح الأنام لشيخ الإسلام العز بن عبد السلام ، فقه الأولويات للدكتور / يوسف القرضاوى.

من هذه الأصول والقواعد أن العلم مُقدم على العمل ، و أن الفرائض مُقدمة على النوافل ، ومصلحة الجماعة مُقدمة على مصلحة الفرد ، وأن الراجح مُقدم على المرجوح ، إلى غير ذلك من أصول وقواعد لهذا العلم العظيم استنبطها العُلماء من كتاب الله ﷻ وهدى رسوله المُصطفى ﷺ يقول ﷻ :

﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴾(١)

فكُل شيء له ميزان يُقدر به ، فلا يجوز لنا أن نُؤخر ما حقه التقديم ، أو نُقدم ما يجب علينا أن نُؤخره.

يقول ﷻ : ﴿ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾(٢)

وقال ﷻ : ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَجَـٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾(٣)

أمثلة من فقه الأولويات :

والأمثلة التى تبين لنا هذا الفقه العظيم كثيرة ، نقف مع بعض منها من كتاب الله ﷻ وهدى رسول الله ﷺ.

فحينما ظن بعض المُنافقين وضعاف الإيمان أن حضورهم لمجالس رسول الله ﷺ وتقربهم منه يُغنيهم عن الجهاد فى سبيل الله ﷻ ، نزل القُرآن يُكذب هذه المزاعم الزائفة.

---

١ ـ الرحمن ـ ٧ : ٩

٢ ـ القيامة ـ ١٣

٣ ـ التوبة ـ ١٩ ، ٢٠

يقول ﷻ : ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ۝ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾(١)

وفى قصة سلمان الفارسى وأبى الدرداء ـ رضى الله عنهما ـ بعد أن آخى بينهما رسول الله ﷺ فوجد سلمان من إهمال أبى الدرداء لزوجته ولنفسه وانشغاله بالعبادة فقال له سلمان : إن لربك عليك حقًا ، ولنفسك عليك حقًا ولأهلك عليك حقًا ، فأعط كل ذى حق حقه.

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فقال : صدق سلمان.(٢)

وعن أبى قلابة ﷺ قال : { إن ناسًا من أصحاب النبى ﷺ قدموا يُثنون على صاحب لهم خيرًا. قالوا : ما رأينا مثل فلان هذا قط ، ما كان فى مسير إلا كان فى قراءة ، ولا نزلنا فى منزل إلا كان فى صلاة.

قال ﷺ : فمن كان يكفيه ضيعته ، حتى ذكر ومن كان يعلف جمله ، أو دابته ؟ قالوا : نحن. قال ﷺ : فكُلكم خير منه }(٣)

ويروى أنس بن مالك ﷺ فى الحديث المُتفق على صحته قال :

{ كنا مع النبى ﷺ فى سفر ، فمنا الصائم ومنا المُفطر ، فنزلنا منزلاً فى يوم حار ، أكثرنا ظلاً الذى يستظل بكسائه ، ومنا من يتقى الشمس بيده ، فأما الذين صاموا فلم يعملوا شيئًا ، وأما الذين أفطروا فضربوا الأخبية وسقوا الركاب وامتهنوا وعالجوا. فقال النبى ﷺ : ذهب المُفطرون اليوم بالأجر }(٤)

---

١ ـ التوبة ـ ٨١ ، ٨٢

٢ ـ أخرجه البخارى ـ ك الصوم ـ ب من أقسم على أخيه ليفطر.

٣ ـ رواه أبو داود فى مراسيله ـ ك الجهاد ـ ب فى فضل الجهاد.

٤ ـ البخارى ـ ك الجهاد ـ ب الخدمة فى الغزو ، مسلم ـ ك الصوم ـ ب أجر المُفطر فى السفر.

ويروى معاذ بن أنس ﷺ قال : { أمر رسول الله ﷺ أصحابه بالغزو ، فتخلف رجل وقال لأهله : أتخلف حتى أُصلى مع رسول الله ﷺ الظهر ، ثم أُسلم عليه وأودعه فيدعو لى بدعوة تكون شافعة يوم القيامة ، فلما صلى النبى ﷺ أقبل الرجل مسلمًا عليه ، فقال له رسول الله ﷺ : أتدرى بكم سبقك أصحابك ؟

قال : نعم سبقونى بغدوتهم. قال ﷺ : والذى نفسى بيده لقد سبقوك بأبعد ما بين المشرقين والمغربين فى الفضيلة }(١)

لقد ظن الرجل أن الصلاة مع رسول الله ﷺ ودعاءه له خير من التبكير إلى الجهاد ، فصحح له النبى ﷺ فهمه الخاطئ ، وبين له أن فضل التبكير لا يعدله شىء.

وروى أن عبد الله بن عباس ﷺ كان مُعتكفًا فى مسجد رسول الله ﷺ فجاءه رجل يطلب منه قضاء حاجة له ، فقطع ابن عباس اعتكافه وخرج من المسجد مع الرجل ، فاستوقفه رجل آخر مُستنكرًا أن يقطع اعتكافه لأجل هذا الرجل ، فقال له ابن عباس ﷺ : إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول :

{ من مشى فى حاجة أخيه ساعة من ليل أو نهار ، قضاها أو لم يقضها ، كان خيرًا له من اعتكاف شهرين فى مسجدى هذا }(٢)

قصور فى فقه الأولويات :

وحينما ننظر إلى أحوالنا فى هذه الأيام نجد أننا أبعد ما نكون عن فقه أولويات العمل الصالح ، فكل يعمل بهوى من نفسه ، والغالب الأعم فينا أننا نتظاهر بالإيمان والتدين ونغفل عن حقيقة الدين وأولوياته. والأمثلة على ذلك كثيرة.

فنجد الإهمال والتقاعس والتراخى فى العمل ، من الطبيب فى المُستشفى والمُعلم فى مدرسته ، والموظف فى عمله الذى وكل له قضاء مصالح الناس فإذا به يتفنن فى تعقيد الأمور ووقف حال الناس.

---

١ ـ أخرجه أحمد فى مسنده ـ ج ٣ ص ٤٣٨

٢ ـ أخرجه الحاكم فى مستدركه ـ ك الأدب ـ رقم ٧٧٨٧

ومع ذلك نجد أنهم جميعًا يتظاهرون بالتدين ، فهذا يواظب على قراءة القُرآن وآخر له أذكار كُل صباح ومساء ، وثالث لا يكتفى بصلاة الفريضة وإنما يؤدى السنن أيضًا بانتظام ، ويتحدثون فى أدق أمور الدين ، وكأن التقوى والورع قد بلغ بهم مبلغًا عظيمًا ، وهم يغفلون عن فريضة العمل المُكلفون به ، والذى يأخذون عليه راتبًا ، قل أو كثر.

هو مال حرام إن لم يؤدوا ما عليهم من عمل بجد واجتهاد.

وفى الحديث يقول سعد بن أبى وقاص ﷺ لرسول الله ﷺ : ادع الله أن يجعلنى مُستجاب الدعوة.

قال ﷺ : يا سعد أطب مطعمك تكن مُستجاب الدعوة ، والذى نفس مُحمد بيده إن العبد ليقذف اللقمة الحرام فى جوفه ما يتقبل الله منه عمل أربعين يومًا ، وأيما عبد نبت لحمه من سُحت فالنار أولى به.([1])

ويروى أبو هريرة ﷺ : { أن رسول الله ﷺ ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء ، يا رب يا رب ، ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغُذى بالحرام ، فأنى يُستجاب لذلك }([2])

ومن الأمور التى يجهلها الكثير من الناس أو يتجاهلونها أن الله ﷻ يريد من عبده أن يشكره على نعمه من جنس النعمة ذاتها أولاً ، لا من غيرها ، يقول ﷻ :

﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾([3])

ويقول رسول الله ﷺ فيما يروى عن رب العزة : { وما تقرب إلىّ عبدى بشىء أحب إلىّ مما افترضته عليه ، ولا يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أُحبه }([4])

---

[1] ـ أخرجه الطبرانى فى الأوسط ـ ج ٦ ص ٣١٠ ، ٣١١ ـ ح رقم ٦٤٩٥

[2] ـ أخرجه مسلم ـ ك الزكاة ـ ب قبول الصدقة من الكسب الطيب

[3] ـ سبأ ـ ١٣

[4] ـ أخرجه البخارى ، من رواية أبى هريرة ﷺ ، ك الرقاق ـ ب التواضع.

فأحب النوافل إلى الله ﷻ أن تكون من جنس العمل المُكلف به العبد ، فإذا أرد المُدرس أو الطبيب أو غير هؤلاء من أصحاب المهن أن يتقرب إلى الله بأكثر من الفرائض فعليه أن يجد ويجتهد بأكثر وأعظم مما يُطلب منه فى عمله.

ومن هؤلاء الذين يتظاهرون بالعمل الصالح والتقوى والورع من يسكت عن الظلم والفساد والإهمال ، ويتقاعسون عن كلمة حق فى وجه الظلم والفساد ويركنون إلى الظلمة والمُفسدين ، والله ﷻ يقول :

﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾(١)

والمُصطفى ﷺ يتعجب من حال هؤلاء الذين يخشون أن يأتوا بالشهادة على وجهها ، يخافون الناس ولا يخافون ربهم ﷻ.

قال ﷺ : { لا يُحقر أحدكم نفسه ، قالوا : يا رسول الله كيفُ يحقر أحدنا نفسه ؟ قال ﷺ : يرى أمرًا لله عليه فيه مقال ، ثم لا يقول فيه.

فيقول الله ﷻ له يوم القيامة : ما منعك أن تقول فىّ كذا وكذا ؟

فيقول : خشية الناس. فيقول له الحق ﷻ : فإياى كنتَ أحقَ أن تخشى }(٢)

وصدق فى هؤلاء قوله ﷻ : ﴿ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ﴾(٣)

الخُطبة الثانية :

من فقه الأولويات الواجب مُراعاته والعمل بموجبه أن نبدأ بلم الشمل والتوافق على ما فيه صلاح البلاد والعباد ، بيد أننا نرى الأمور تسير على خلاف ذلك تمامًا ، فالصراعات تزداد وتشتعل بين الأحزاب والجماعات والتيارات ، كل يظن أنه يحتكر الحق المُطلق وأن من يُخالفه على الباطل.

---

١ ـ هود ـ ١١٣

٢ ـ أخرجه ابن ماجة ـ ك الفتن ـ ب الأمر بالمعروف ، من رواية ابن مسعود ﷺ

٣ ـ النساء ـ ٧٧

أحزاب ترفع شعارات إسلامية وأخرى ثورية وثالثة تدعى الوطنية ، إلى غير ذلك من تيارات وصلت بنا لما نراه من فقر وإهمال وفساد ، ولو صدقت نواياهم وصلحت أعمالهم لوفقهم الله ﷻ لما فيه خير البلاد والعباد. قال ﷻ :

﴿ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا ﴾(١)

ويضرب لنا المولى ﷻ المثل الأعلى فى حبيبه المُصطفى ﷺ سيد الأولين والآخرين المؤيد بالوحى ينزل من السماء ، يأمره ربه ﷻ بأن يُشاور أصحابه فيقول ﷻ : ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴾(٢)

وقال ﷻ فى وصف المؤمنين : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾(٣)

إن اختلاف الآراء والأفكار سُنة من سنن الله ﷻ فى خلقه ، إن خلصت وصلحت النوايا كانت سُنة حميدة فيها الخير للبلاد والعباد ، أما إذا فسدت النوايا بالحرص على المناصب والمصالح الشخصية فثم الشقاق والشحناء التى حذرنا المولى ﷻ منها ، فقال ﷻ : ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ۝ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾(٤)

---

١ ـ النساء ـ ٣٥
٢ ـ آل عمران ـ ١٥٩
٣ ـ الشورى ـ ٣٨
٤ ـ آل عمران ـ ١٠٣ : ١٠٥

الحقوق قبل الصدقات

مُقدمة :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ أما بعد ،،،

منذ سنوات مضت انتشرت فى وسائل الإعلام موجة من الإعلانات ما زالت تتواصل حتى الآن تدعو الناس للتبرع لجمعيات خيرية تقوم على إعانة الفقراء وعلى الأخص المرضى الذين لا يجدون تكاليف العلاج.

ويؤتى بهؤلاء المرضى فى مشاهد يعُدُها الكثير من الناس مُتاجرة بآلام هؤلاء المرضى الفقراء ، حتى شاع فى المُجتمع ثقافة التسول التى تدعو للتبرع للفقراء ، فى حين غفل المُجتمع عن حقوق هؤلاء الفقراء وكيف تم إهدارها حتى وصل بهم العجز إلى التسول ومد أيديهم طلبًا للمُساعدة.

وعلى الرغم من فضيلة الصدقة وأجرها العظيم وكذا السعى فى قضاء حوائج الفقراء إلا أننا اليوم نُريد أن نُنبه على ضرورة تقديم حقوق الفقراء التى أُهدرت وغاب من يدعو إلى المُطالبة بها على التصدق عليهم.

الحق :

وبداية نقول إن الحق هو الشىء الثابت بيقين لا يتبدل ولا يتغير ، ولا مجال لاختلاف وجهات النظر والرأى فيه.

ومن أسمائه الحسنى ﷻ الحق ، حق مُطلق بلا أغيار ولا أطوار ، قال ﷻ :

﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾(١)

وبالحق أرسل المولى ﷻ حبيبه المُصطفى ﷺ ، قال ﷻ :

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴾(٢)

وبالحق أنزل الله ﷻ كتابه الكريم ، قال ﷻ :

---

١ - يونس - ٣٢

٢ - البقرة - ١١٩

﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾[1]

والحق هو ما أراده الله لنا بدينه الحنيف ، وشرعه القويم ، قال ﷻ :

﴿ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾[2]

صيانة الحقوق :

وقد أمرنا المولى ﷻ بإقامة الحق والعدل بيننا فقال ﷻ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾[3]

وقال ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[4]

وقال ﷺ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾[5]

حق العاملين :

ومن أجل وأعظم الحُقوق التى يجب على المُسلم أن يؤديها ، حُقوق العاملين حتى أن رسول الله ﷺ شدد على وجوب أدائها ، فقال ﷺ :

---

[1] ـ الإسراء ـ ١٠٥

[2] ـ الأنفال ـ ٧ ، ٨

[3] ـ النساء ـ ١٣٥

[4] ـ المائدة ـ ٨

[5] ـ النساء ـ ٥٨

{ أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه }([1])

ويقول أيضًا ﷺ فيما يروى عن رب العزة ﷻ : { قال تعالى : ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ، رجل أعطى بى ثم غدر ، ورجل باع حرًا فأكل ثمنه ورجل استأجر أجيرًا فاستوفى حقه منه ولم يُعطه أجره }([2])

الله ﷻ خصيم من ظلم عاملاً فهضمه حقه ، ونصير العامل حتى يرد إليه حقه فى الدُنيا أو الأخرة.

حقوق العبيد :

وحينما بُعث المُصطفى ﷺ كان نظام الرق والعبودية مُنتشرًا وشائعًا فى سائر بقاع الأرض ، وليس بين العرب فقط ، فجاء الإسلام بنظام مُحكم لتحرير العبيد وجعل منه أعظم القُربات لله ﷻ ، قال ﷻ :

﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴾([3])

ولم يدع الإسلام حُقوق العبيد تُهدر ، أو أن يظلم ويبغى السادة على من تحت أيديهم من العبيد ، بل أمر بحسن مُعاملتهم والإحسان إليهم.

فقال ﷻ : ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾([4])

فقرن المولى ﷻ بين توحيده ﷻ والإحسان لمن ذكرهم فى الآية الكريمة ومنهم العبيد.

---

[1] ـ أخرجه ابن ماجة ـ ك الرهون ـ ب أجر الأجراء ، من رواية ابن عمر ﷺ

[2] ـ أخرجه البخارى ـ ك الإجارة ـ ب إثم منع أجر الأجير ، من رواية أبى هريرة ﷺ

[3] ـ البلد ـ ١١ : ١٤

[4] ـ النساء ـ ٣٦

والإحسان منزلة أجل وأعظم من العدل ، فالعدل إعطاء كل ذى حق حقه ، أما الإحسان فيعنى العطاء السخى الجزيل بما يزيد عن الحُقوق.

وفى هذا المقام يقول المُصطفى ﷺ فى الحديث : { إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليُطعمه مما يأكل وليُلبسه مما يلبس ، ولا تُكلفوهم ما يغلبهم ، فإن كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم }(١)

بين حُقوق العمال وحُقوق العبيد :

وحينما نُقارن بين حُقوق العبيد وكيف أمرنا المولى ﷻ أن نُحسن إليهم وأكد على ذلك المُصطفى ﷺ ، حتى كان صحابة رسول الله ﷺ يسيرون مع عبيدهم فلا يُعرف السيد من العبد.

أقول إذا ما قارنا بين حُقوق العبيد فى الإسلام وأحوال العمال فى هذا الزمان نتعجب ممن يربحون الملايين ، بل المليارات من كد وعرق من يعملون لديهم ثم لا يراعون حُقوق هؤلاء العمال.

ونجد الغالب الأعم من أصحاب الأعمال يستغلون مُشكلة البطالة المُزمنة وقلة فرص العمل وحاجة الشباب لأى وظيفة ، فيفرضون عليهم أبخس وأدنى الأجور ، بما لا يكفى حاجاتهم الأساسية. وإذا مرض العامل أو ألمت به أو بأحد من أهله مُصيبة لم يجد من صاحب العمل إلا كل الجحود والإهمال.

وفى مقابل ذلك نجد من أصحاب الأعمال من يُنفق الملايين على اللهو واللعب فهذا يتبرع بالملايين لأحد الأندية ليشترى بها لاعبين ، وآخر يُنفق الملايين على القنوات الفضائية ويشكو من الخسائر التى يتكبدها من تلك القنوات التى تبث الكثير من الأفلام والمُسلسلات التى تُفسد عقول الشباب ، فإذا ما سألت عن أحوال العمال لديه وجدتهم فى أشد الحاجة للمُساعدة ، شباب لا يجد تكاليف الزواج ، ومرضى لا يجدون العلاج ، وأصحاب الأعمال فى لهوهم يلعبون.

---

١ ـ أخرجه البخارى ـ ك العتق ـ ب العبيد إخوانكم ، من حديث أبى ذر ﷺ

ثم يأتى من أصحاب الأعمال من يتبرع بالملايين لدعم الاقتصاد ، ما أراد بذلك إلا الرياء والشهرة ، وما تبرع إلا بما اقتطعه ظلمًا وجورًا من حُقوق من يعملون لديه ، وفى أمثال هؤلاء يقول المولى ﷻ :

﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(١)

ومن أصحاب الأعمال من يتظاهر بأعمال البر والتقوى ، ولو كان يتقى الله حقًا لدفع لمن يعمل لديه من الأجر ما يكفيه ويكفل له حياة كريمة.

إن المُطالبة بحقوق العمال ، وتأكيد الخطاب الدينى على وجوب توفير حياة كريمة لهم أولى وأعظم من ثقافة التسول التى شاعت وانتشرت فى هذه الأيام وأصبحت مجالاً للتجارة الرخيصة بآلام الفقراء والمُحتاجين ، وبدلاً من أن يُطالب عُلماء الدين ليل نهار ولا يكلوا ولا يملوا بحقوق العمال إذا ببعضهم يأتى فى إعلانات ليروج لجمعيات تُنفق الملايين على تلك الإعلانات ، والله أعلم بمدى أمانتهم وصدقهم.

وفى الأثر عن على بن أبى طالب ﷺ قال : { إن الله جعل فى أموال الأغنياء حق للفقراء ، فما جاع فقير إلا بظلم من غنى }

فى أموال الأغنياء حق لمن يعمل لديهم ، فما انتشر الفقر وشاعت ثقافة التسول إلا بظُلم هؤلاء الأغنياء.

فى ختام الأمر يقول أسعد الخلق ﷺ : { من لم يهتم بأمر المُسلمين فليس منهم. ومن لم يُصبح ويُمس ناصحًا لله ، ولرسوله ، ولكتابه ، ولإمامه ، ولعامة المُسلمين فليس منهم }(٢)

---

١ ـ البقرة ـ ١٨٨

٢ ـ أخرجه الطبرانى فى الأوسط ، من رواية حذيفة ﷺ ج ٧ ص ٢٧٠ رقم ٧٤٧٣

منـزلـة الـعـقـل

مُقدمة :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ أما بعد ،،،

فالعقل هو الجوهر الربانى الذى أودعه المولى ﷻ فى الإنسان وكرمه وميزه به على سائر المخلوقات ، قال ﷻ :

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾(١)

وقال ﷻ أيضًا : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾(٢)

وبالعقل يُفكر الإنسان ويتدبر ويستدل على الأشياء ويُدرك حقائقها ويميز بين الحق والباطل ، والخير والشر ، والطيب والخبيث.

وأصل كلمة العقل فى اللغة تعنى المنع أو الحبس والتقييد ، ومنه عقال البعير الذى يمنعه من الانفلات ، وسُمى العقل بذلك لأنه الذى يمنع الإنسان عن ورود المهالك وإتيان الفواحش ، ومن هذا المعنى سمى العقل حجر ، لأنه يحجر على صاحبه ويحجزه عن السوء ، قال ﷻ : ﴿ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ﴾(٣)

وسمى أيضاً النُهى لأنه ينهى صاحبه عن السوء قال ﷻ :

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴾(٤)

---

١ ـ الإسراء ـ ٧٠

٢ ـ الأعراف ـ ١٧٩

٣ ـ الفجر ـ ٥

٤ ـ طه ـ ٥٤

حال العرب قبل الإسلام :

جاء الإسلام ونزل الوحى الكريم من الحق ﷻ على رسول الله ﷺ برسالة التوحيد ونبذ الشرك والإلحاد ، رسالة تدعو إلى إعمال العقل بالفكر والنظر والتأمل لإدراك الحقائق الإلهية العظمى ، قال ﷻ :

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾(٢)

بيد أن الإسلام واجه منذ بداية الدعوة من يرفضون إعمال عقولهم بالنظر فيما يأتى به الوحى من الأدلة والبراهين ، يعيشون كالقطيع يتبعون ما وجدوا عليه أباءهم وأجدادهم ، دون نظر أو فكر ، قال ﷻ :

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ۝ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾(١)

تكريم الإسلام للعقل :

جاء الإسلام يُحرر العقول من قيود التبعية والتقليد الأعمى ، ويجعل الإيمان والعقيدة علمًا واجبًا على المُسلم تعلمه ، علمًا يقوم على الاستدلال بالنظر والفكر فيما يأتى به الوحى من الأدلة والبراهين.

قال ﷻ : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴾(٣)

---

١ - آل عمران - ١٩٠ ، ١٩١

٢ - البقرة - ١٧٠ ، ١٧١

٣ - محمد - ١٩

ومما يؤكد منزلة العقل فى الإيمان والاعتقاد أن الله ﷻ نهانا عن إكراه أحد على دخول الإسلام ، بل أوجب أن يكون الإسلام عن اقتناع عقلى بالحُجة والبُرهان.

قال ﷻ : ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ﴾(١)

وبين المولى ﷻ أن العبد سيُسأل يوم القيامة عن عقله ، لما عطله واتبع ما لا علم له به ولا حجة ولا برهان ، قال ﷻ : ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴾(٢)

ومن تكريم الإسلام للعقل أيضًا أمر المولى ﷻ رسوله ﷺ بمُشاورة أصحابه ﷺ على الرغم من أن الوحى ينزل من السماء ، إلا أن ذلك لا يُعطل العقل ولا يجور على منزلته ومكانته ، قال ﷻ : ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴾(٣)

وقال ﷻ فى وصف المؤمنين : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾(٤)

<u>حُرية الفكر ، وحقوق الإنسان :</u>

ولم يقف الإسلام عند دعوة العقل للفكر والنظر ونبذ التقليد الأعمى ، بل أسس دعائم حُرية الفكر بلا قيود أو شروط ، فنزل الوحى يذكر كل حُجج المُشركين والمُكذبين ، فلم يُصادر على رأى أو فكر بل عرضه كما قيل بلا زيادة أو نُقصان ورد عليه بالحُجة والبُرهان. حتى من طعنوا فى صدق رسول الله ﷺ وصدق دعوته.

---

١ ـ البقرة ـ ٢٥٦

٢ ـ الإسراء ـ ٣٦

٣ ـ آل عمران ـ ١٥٩

٤ ـ الشورى ـ ٣٨

بل ذكر من تجرؤوا على المولى ﷻ. قال ﷻ : ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾(١)

ومن أنكر البعث ذكر القُرآن قوله ورد عليه بالحُجة الداحضة والدليل البين.

قال ﷻ : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ۝ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ۝ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ۝ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾(٢)

كُل ما قيل من حُجج المُشركين والمُنافقين ذكره القُرآن ولم يخفِ منه شيء بل يدعوهم أيضًا لكى يأتوا بما عندهم من علم أو حُجة أو بُرهان. قال ﷻ :

﴿ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾(٣)

وقال ﷻ : ﴿ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾(٤)

---

١ ـ آل عمران ـ ١٨١ : ١٨٣

٢ ـ يس ـ ٧٧ : ٨٣

٣ ـ النمل ـ ٦٤

٤ ـ الأنعام ـ ١٤٨

أين هذا الرقى والمنزلة العالية الرفيعة مما نراه من حجر على الآراء ومنع للأفكار والتضييق على المُعارضين ، وتوسيد الأمر للمُنافقين والمُتزلفين.

بل أين تلك الثقافة الإسلامية فى تربيتنا لأبنائنا ، نربى أبناءنا على الطاعة العمياء بلا مُناقشة أو حوار يتواصل به الآباء مع أبنائهم ، فإذا ما شب الفتى أو الفتاة تمردوا على والديهم أيما تمرد ورفضوا حتى الحوار معهم لأنهم لم يربوهم على ذلك ، بل ربيناهم على القهر فى صغرهم ، فجاء الجزاء من جنس العمل.

وفى أعمالنا وما نراه من المسئولين من عدم قبول أى مُناقشة لأوامرهم يريدون من مرؤوسيهم السمع والطاعة ، ولا يُقربون ولا يُغدقون إلا على المُنكسر لهم ، الذليل لأوامرهم.

حتى فيما بين الأصدقاء ، ومن يعدون أنفسهم النُخبة والمُثقفين فى حواراتهم فى أجهزة الإعلام المُختلفة ، ما أن يثور خلاف فى الرأى حتى تجد الأصوات تعلو ونبرة الحديث تحتد ، وقد يصل الأمر إلى المُشاحنة والتشاجر والقطيعة بسبب خلاف فى الرأى. ثقافة أبعد ما تكون عن حقائق الدين ومعانيه الجليلة التى تأمرنا بأن نجادل ونحاور بالتى هى أحسن حتى مع من نختلف معهم فى العقيدة.

قال ﷻ : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾[1]

العقل مناط الإيمان والتكليف :

وكما جعل الإسلام العقل أساس الإيمان الذى تقوم عليه العقيدة جعله أيضًا مناط التكليف فلا يُكلف إلا العاقل. وإذا ما اعترى العقل مانع من أداء وظيفته رفع عنه التكليف ، يقول الحبيب المُصطفى ﷺ فى الحديث : { رُفع القلم عن ثلاث : الصبى حتى يبلغ ، والنائم حتى يستيقظ والمجنون حتى يبرأ }[2]

---

[1] ـ النحل ـ ١٢٥

[2] ـ أخرجه أحمد ـ ج ٦ ص ١٠٠ ، ، وأصحاب السنن ، وصححه الحاكم ـ ك البيوع رقم ٢٣٥١ ، من رواية عمر وعلى وعائشة ﷺ (فيض القدير ج ٣ ص ٣٥)

كذلك رُفع القلم أيضًا عن الناسى ، والمُكره ، ومن فعل الشىء مُخطئًا من غير قصد منه. قال ﷺ : { رفع عن أمتى الخطأ ، والنسيان ، وما استكرهوا عليه }(١)

حماية العقل :

ومما يؤكد المنزلة العالية الرفيعة للعقل فى الإسلام التى جعلته مناط الإيمان والتكليف أيضًا ، أن العُلماء جعلوا من حماية العقل والمُحافظة عليه ووقايته مقصدًا أسمى من مقاصد التشريع ، واستدلوا على ذلك بالعديد من الأدلة.

من تلك الأدلة الواضحة تحريم الخمر وجعلها من أكبر الكبائر ، لأنها تُذهب العقل فإذا ما ذهب عقل الإنسان فلا قيمة له ولا كرامة ، قال ﷻ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾(٢)

كذلك نهى رسول الله ﷺ عن الغضب الذى يُذهب بالعقل ، ويجعل الإنسان يتصرف فى غير وعى وإدراك ، فإذا ما عاد إلى رشده وسكن غضبه يندم على ما اقترف ، وربما لا ينفعه حينئذ الندم. يقول المُصطفى ﷺ :

{ إن الغضب من الشيطان ، وإن الشيطان خُلق من النار ، وإنما تُطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ }(٣)

وقال ﷺ لمن طلب منه وصية جامعة تدخله الجنة : { لا تغضب }

فتعجب السائل وكرر سؤاله لرسول الله ﷺ ، والنبى ﷺ يكرر له الإجابة.

ثم قال له ﷺ : { لا تغضب تدخل الجنة }(٤)

---

١ ـ أخرجه الطبرانى فى الأوسط برقم ٢١٣٧ ، من رواية ثوبان بسند صحيح (فيض القدير ج ٣ ص ٣٤)

٢ ـ المائدة ـ ٩٠ ، ٩١

٣ ـ أخرجه أبو داود فى سننه ـ ك الأدب ـ ب ما يقال عند الغضب.

٤ ـ أخرجه البخارى ـ ك الأدب ـ ب الحذر من الغضب ، من رواية أبى هريرة ﷺ ، والزيادة للطبرانى فى الأوسط برقم ٢٣٥٣ من رواية أبى الدرداء ﷺ

كذلك نهى النبى ﷺ عن كل ما من شأنه أن يُعطل العقل ، فنهى عن التطير ، أى التشاؤم ، ونهى عن تعليق التمائم والذهاب للعرافين والمُنجمين. بل إن النبى ﷺ ينهى أيضًا عن قول { لو } التى تعنى الندم على ما فات وتمنع العقل من التفكر والتدبر فى أسباب ما أصابه ، فيقول ﷺ : { وإن أصابك شىء فلا تقل لو أنى فعلت كذا لكان كذا ، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان }(١)

كذلك فمن حماية العقل والحفاظ عليه تحريم الكبر ، فالمُتكبر لا يرى إلا نفسه ولا يسمع لغيره يظن أنه دائمًا وأبدًا على صواب ، فلا يُنصت للنصيحة ولا يعمل بالمشورة. يقول ﷺ : { لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر }(٢)

علة التشريع وحكمته :

ومن أعظم مظاهر تكريم المولى ﷻ للعقل أن تأتى الفرائض والأوامر والنواهى مُقترنة بعلة التشريع وحكمته والمقاصد التى شُرع لأجلها الحُكم ، لكى يتدبر الإنسان ويتفكر فى عدل الله ﷻ وحكمته.

والأمثلة على ذلك كثير نقتبس بعضًا منها :

ففى الصلاة يبين لنا المولى ﷻ كيف أن ارتباط العبد بربه ﷻ خمس مرات فى اليوم والليلة تمنعه عن إتيان الفواحش والمُنكرات ، يقول ﷻ :

﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾(٣)

وفى الصيام يقول ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(٤)

---

١ ـ أخرجه مسلم ـ ك القدر ـ ب الأمر بالقوة ، من رواية أبى هريرة ﷺ

٢ ـ أخرجه مسلم ـ ك الإيمان ـ ب تحريم الكبر ، من رواية عبد الله بن مسعود ﷺ

٣ ـ العنكبوت ـ ٤٥

٤ ـ البقرة ـ ١٨٣

وفى الزكاة يقول المولى ﷻ : ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(١)

وفى الحج يقول ﷻ : ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ۝ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ..... ﴾(٢)

وفى القصاص أيضًا يبين لنا المولى ﷻ علة التشريع فيه وحكمته ، فيقول ﷻ :

﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾(٣)

ويدعونا الحق ﷻ لإعمال العقل لاستنباط الأحكام التى تغيب عنا.

قال ﷻ : ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾(٤)

أين هذا المنهج الربانى فى تكريم الإنسان بالعقل من تلك الدعاوى الباطلة التى تُسفه من قيمة العقل ، وتُقدس النص دون فكر أو نظر أو تدبر ، بدعوى تقديم النص على العقل ، وأن الدين لا مجال للعقل فيه ، كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا.

والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل

---

١ ـ التوبة ـ ١٠٣

٢ ـ الحج ـ ٢٧ ، ٢٨

٣ ـ البقرة ـ ١٧٩

٤ ـ النساء ـ ٨٣

بيـن الـعـقـل والنـقـل

مُقدمة :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ أما بعد ،،،

فقد تحدثنا فى اللقاء السابق عن العقل ومنزلته ومكانته فى الإسلام ، وبينا أن الله ﷻ كرم الإنسان على سائر المخلوقات بالعقل ، وجعله ﷻ مناط الإيمان والتكليف ، وشرع لنا ﷻ ما يكفل للعقل حمايته والمُحافظة عليه ، فوقف العُلماء على مقاصد التشريع فى الإسلام فعدوا منها حماية العقل وصيانته.

ويتواصل بنا الحديث عن العقل فنقول إن الغرب قد جند العديد من عُلمائه وباحثيه لدراسة الإسلام وحضارته والذين لُقبوا بالمُستشرقين ، فمنهم من قدم خدمات جليلة للإسلام بتحقيق العديد من كُتب التراث وطبعها ، بعدما كانت مخطوطات لا يطلع عليها إلا المُتخصصون من العُلماء والباحثين ، وقاموا بفهرسة وتحقيق كُتب الحديث وغيرها من الكُتب فى عُلوم الإسلام المُختلفة.

وكان من هؤلاء المُستشرقين من خبُثت نيته فقصد بدراسته الطعن فى الإسلام والتشكيك فى صدق رسالته ، بيد أن الله ﷻ وفق العديد من عُلماء الإسلام للرد على مطاعن هؤلاء المُستشرقين وبيان فسادها ودحضها بالحُجة والبُرهان الواضح ، وكشف نواياهم الخبيثة ، تحقيقًا لقول المصطفى ﷺ :

{ يحمل هذا العلم من كل خلف عدُوُلُه ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المُبطلين ، وتأويل الجاهلين }([1])

ومن أهم ما كان يسعى إليه أعداء الإسلام فى الطعن عليه أنه يُخالف العقل فإذا وقفوا على نص استطاعوا أن يُظهروه على غير حقيقته فيزعمون أنه يُخالف العقل فقد حققوا بالنسبة لهم مآربهم ، وظفروا بمُرادهم الخبيث.

---

[1] ـ أخرجه ابن عدى وأبو نعيم وابن عساكر { جمع الجوامع ج ١٣ ص ١١٥ برقم ٢٧٨١٠ }

العقل بين التقديم والتأخير :

والغريب والعجيب فى هذا الأمر أن تخرج علينا فرقة أو جماعة يزعمون أنهم عُلماء الأمة وحُراس العقيدة ، يُثيرون قضية فى غاية العجب وهى دعوى أنه لا يجوز تقديم العقل على النقل ، وهذا يعنى بالنسبة لهم وللأسف الشديد وجود تعارض بين العقل ونصوص القُرآن الكريم ، أو السُنة النبوية المُطهرة ، وكأنهم بذلك قد منحوا أعداء الإسلام ما يبتغون ويتمنون من غير مشقة منهم ولا جهد.

واستفاض أصحاب هذا الرأى الغريب فى تبرير مبدأهم العجيب وذلك بتسفيه العقل والادعاء بقصوره عن الوصول إلى ما ينفع الناس ، وهو ما يخالف منهج الإسلام فى تكريم الإنسان على سائر المخلوقات بالعقل.

وانتشرت هذه الدعوى الغريبة بين الكثير من أتباع تلك الفرقة فصارت مبدًأ لهم وشعارًا يرفعونه بجهل وغير وعى ، فحققوا لأعداء الإسلام ما لم يظفروا به على مر عقود من الزمان تصدى لهم عُلماء الأمة وأفسدوا ما خططوا له من طعن فى الإسلام بدعوى أنه يُخالف العقل ، فإذا بهذه الفرقة أو الجماعة تتبنى تلك الدعوى بجهل مطبق. وقد حقق الإمام ابن تيمية ـ رحمة الله عليه ـ هذه الموضوع فى كتاب أفرده للرد على تلك الدعوى الباطلة باسم :

{ درء تعارض العقل والنقل }([1])

فى عشرة مُجلدات كاملة خصصها لهذا الموضوع ليؤكد على أنه لا يوجد أى تعارض بين العقل والنصوص المنقولة لنا ، سواء فى القُرآن الكريم أو السُنة النبوية الشريفة.

وبين الإمام ابن تيمية ـ رحمة الله عليه ـ فى هذا الكتاب القيم أن تقديم النصوص على العقل يعنى إبطال تلك النصوص ، لأن النص لا يثبت صحته إلا بالعقل ، ولا يُفهم مُراده ومعناه إلا بالعقل ، فكيف يُقال بعد ذلك إن النص مُقدم على العقل ؟ !!!

---

[1] ـ طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود بالمملكة العربية السعودية عام ١٩٩١ تحقيق الدكتور / محمد رشاد سالم

كما ألف الأستاذ / عباس محمود العقاد كتابًا فى الرد على من زعم أن الإسلام يُخالف العقل تحت عنوان : { التفكير فريضة إسلامية } بين فيه العديد والعديد من الآيات التى يأمرنا فيها المولى ﷻ بوجوب إعمال العقل بالفكر والنظر والتأمل.

العقل أساس فهم النصوص :

وما ذهب إليه ابن تيمية ـ رحمة الله عليه ـ هو الحق الذى لا يمارى فيه إلا صديق جاهل أو عدو ماكر ، والأدلة على ذلك كثيرة ، نقتبس بإيجاز بعضًا منها :

فيروى وابصة بن معبد ﷺ قال : أتيت رسول الله ﷺ وأنا أريد أن لا أدع شيئًا من البر والأثم إلا سألته عنه ، وإذا عنده جمع ، فذهبت أتخطى الناس ، فقالوا إليك يا وابصة عن رسول الله ﷺ ، إليك يا وابصة.

فقلت أنا وابصة دعونى أدنو منه فإنه من أحب الناس إلىَّ.

فقال ﷺ : ادن يا وابصة ، ادن يا وابصة. قال : فدنوت منه حتى مست ركبتى ركبته. فقال ﷺ : يا وابصة أخبرك ما جئت تسألنى عنه.

فقلت : فأخبرنى. قال ﷺ : جئت تسألنى عن البر والإثم. قلت : نعم.

فجمع ﷺ أصابعه الثلاث فجعل ينكُتُ بها فى صدرى ويقول ﷺ : يا وابصة استفت نفسك ، البر ما اطمأن إليه القلب ، واطمأنت إليه النفس ، والإثم ما حاك فى القلب ، وتردد فى الصدر ، وإن أفتاك الناس وأفتوك.(١)

إن هذا الحديث يؤكد لنا بما لا يدع مجالاً للجدل أن العقل هو الأساس فى التكليف ، فيجب على الإنسان أن يتفكر فى كل ما يُعرض عليه من آراء وفتاوى ويزنها بعقله السليم وفطرته النقية التى فطره الله ﷻ عليها ، فالإسلام هو دين الفطرة التى تُنير للإنسان طريقه فيُميز بين الحق والباطل ، والطيب والخبيث والبر والإثم.

---

١ ـ أخرجه أحمد ج ٤ ص ٢٢٨ ، وحسنه السيوطى { فيض القدير ج ١ ص ٤٩٥ } والنووى فى رياض الصالحين ـ ب الورع وترك الشبهات.

قال ﷻ : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(١)

وقد ذكرنا فى لقاء سابق قصة الصحابى الذى أمره النبى ﷺ على سرية فأمرهم أن يلقوا بأنفسهم فى النار فقال ﷺ : { لا طاعة فى معصية }(٢)

والحديث يؤكد لنا وجوب إعمال العقل فى النصوص للوقوف على مُراد الشارع منها ، حتى وإن كان النص قد بلغ السامع صراحة ومُشافهة من رسول الله ﷺ ، بل إن النبى ﷺ يبين لنا أن من أخذ بظاهر النص فألقى بنفسه فى النار كان ذلك مصيره يوم القيامة. فهل يُجادل أحد بعد ذلك ويدعى إلغاء العقل وتقديم النص ، وإن كان فى ظاهره التعارض مع العقل.

ومن الأدلة الواضحة على وجوب إعمال العقل لفهم النص ما حدث بعد وفاة رسول الله ﷺ من امتناع بعض قبائل العرب عن أداء الزكاة ، فعقد أبو بكر الصديق ﷺ العزم على قتالهم ، فقال له عُمر بن الخطاب ﷺ : كيف تُقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ : أمرت أن أُقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فمن قالها فقد عصم منى ماله ونفسه إلا بحقه ، وحسابه على الله.

فقال أبو بكر ﷺ : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال ، والله لو منعونى عناقًا (أو قال عقالاً) كانوا يؤدونها لرسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها. قال عُمر ﷺ : فو الله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبى بكر ﷺ فعرفت أنه الحق.(٣)

إن عُمر بن الخطاب ﷺ يحتج على أبى بكر الصديق ﷺ بنص حديث لرسول الله ﷺ ، ولم ينكر أبو بكر الحديث ، ولكنه رأى أن ترك هؤلاء المُمتنعين عن أداء الزكاة يفصم عرى الأمة الإسلامية ، عروة بعد أخرى.

---

١ ـ الروم ـ ٣٠

٢ ـ خطبة مقاصد التشريع

٣ ـ أخرجه البخارى ـ ك الزكاة ـ ب وجوب الزكاة ، من رواية أبى هريرة ﷺ

ويُغرى المنافقين وضعاف الإيمان على النيل من الإسلام ، فكيف يكون هذا النص سبيلاً لحماية هؤلاء المُنافقين لهدم دولة الإسلام التى جاهد فى سبيل إقامتها رسول الله ﷺ وصحابته الأبرار ﷺ.

وعلى الرغم من أن عُمر بن الخطاب ﷺ قد احتج بالنص على أبى بكر ﷺ فى واقعة مانعى الزكاة إلا أننا نجده فى مواقف كثيرة يُعمل العقل بالفكر والنظر فى النصوص ليقف على مُراد الشارع الحكيم منها. فبعد وفاة رسول الله ﷺ جاء المؤلفة قلوبهم ليأخذوا نصيبهم من الزكاة المذكور فى قوله ﷻ :

﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ ﴾(١)

فقال لهم عُمر بن الخطاب ﷺ : إن رسول الله ﷺ كان يتألفكم والإسلام يومئذ ذليل ، وإن الله ﷻ قد أعز الإسلام فاذهبا فاجهدا جهدكما.(٢)

وذكر الإمام الكاسانى فى بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع(٣) رواية أخرى :

قال عُمر ﷺ : إن رسول الله ﷺ كان يُعطيكم ليؤلفكم على الإسلام ، فأما اليوم فقد أعز الله ﷻ دينه ، فإن ثبتم على الإسلام وإلا فليس بيننا وبينكم إلا السيف.

وبلغ ذلك الصحابة ﷺ فلم ينكروا ، فيكون إجماعًا منهم على ذلك.

كذلك اجتهد عُمر ﷺ فى أرض العراق والشام ومصر بعد فتحها وشاور الصحابة ﷺ فى طلب المُجاهدين أن يأخذوا أربعة أخماسها عملاً بقول الله ﷻ :

﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٤)

---

١ ـ التوبة ـ ٦٠

٢ ـ السنن الكبرى للبيهقى ـ ك الصدقات ـ ب سقوط سهم المؤلفة قلوبهم وترك إعطائهم عند ظهور الإسلام والاستغناء عن التألف عليه (ج ٧ ص ٣٢)

٣ ـ ك الزكاة ـ فصل فى الذى يرجع للمؤدى إليه ـ ج ٢ ص ٤٧٠

٤ ـ الأنفال ٤١

وكان عُمر ﷺ يرى أن مصلحة المُسلمين فى أن يترك الأرض لأصحابها ويأخذ منهم ما يصالحهم عليه من خراج لبيت مال المُسلمين ليستعين به فى الإنفاق على بناء جيش قوى يحمى أمة الإسلام مما يحيق بها من مطامع المُعتدين. فوافق الصحابة ﷺ عُمر ﷺ على رأيه.(١)

ومن الأمثلة على اجتهاد الصحابة ﷺ فى فهم النصوص ما روى عن رسول الله ﷺ أنه ﷺ سُئل عن ضالة الإبل ، فقال ﷺ للسائل : { مالك ولها ؟ معها حذاؤها وسقاؤها ، ترد الماء وتأكل الشجر فذرها حتى يلقاها ربها }(٢)

واستمر الحال فى خلافة أبى بكر ، وعُمر ، حتى خلافة عُثمان بن عفان ﷺ جميعًا ، فلما رأى عُثمان ﷺ فساد بعض الناس وسرقتهم للإبل الضالة أمر بتعريفها ثم تباع ، فإذا جاء صاحبها أُعطى ثمنها.(٣)

وفى خلافة على بن أبى طالب ﷺ رأى التقاطها والإنفاق عليها من بيت المال حتى إذا جاء صاحبها أُعطيت له.(٤)

إن الأدلة على وجوب إعمال العقل بالفكر والنظر والتأمل لفهم مقاصد الشارع الحكيم من نصوص القُرآن الكريم والسُنة النبوية المُشرفة كثيرة بما لا يسع المقام لذكرها ، وفى ما عرضناه كفاية تؤكد على بطلان وفساد دعوى تعارض العقل والنقل ، وما يتبعها من تقديم النقل على العقل.

والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل

---

١ - راجع منهج عمر بن الخطاب ﷺ فى التشريع ، للدكتور / محمد البلتاجى ، الأستاذ بكلية دار العلوم جامعة القاهرة ، ص ١٣١ : ١٧٤

٢ - البخارى - ك العلم - ب الغضب فى الموعظة ، مسلم - ك اللقطة ، من رواية خالد الجهنى ﷺ

٣ - أخرجه الإمام مالك فى الموطأ - ك الأقضية - ب القضاء فى الضوال.

٤ - أوجز المسالك لموطأ الإمام مالك ، للكاندهلوى ج ١٤ ص ٢٥٩

فـقـه الـواقـع

مقدمة :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ أما بعد ،،،

فقد تحدثنا فى لقاء سابق عن مفهوم الشريعة الإسلامية ، وضربنا لذلك بعض الأمثلة من هدى رسول الله ﷺ ، ومن هذه الأمثلة يمتد بنا الحديث إلى أمر أحسبه على جانب كبير من الأهمية وهو فقه الواقع.

ونعنى بذلك أن الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان ، ولا يجوز لمن يتصدى للإفتاء أن يتمسك بأحكام تخص زمانًا ومكانًا معينًا قد لا تتلاءم بأى حال من الأحوال مع الزمن الذى نعيش فيه الآن ، فيُضيق على الناس ما فيه سعة ، ويُعسر على الناس ما يسره الله ﷻ عليهم. والأدلة على تغيير الفتوى بتغير الزمان والمكان كثيرة نقتبس بعضًا منها فى هذه الدقائق المعدودة.

أمثلة من سيرة رسول الله ﷺ :

ففى بداية بعثة رسول الله ﷺ أُمر فى بادئ الدعوة بأن يدعو لدين الله ﷻ سرًا ولو جهر بالدعوة فربما وئدت الدعوة فى مهدها ، وظل ﷺ يدعوا قومه سرًا ثلاث سنوات ، حتى إذا ما آمن برسول الله ﷻ جمع من الناس وصار لهم منعة أُمر بأن يجهر بالدعوة ، قال ﷻ : ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[1]

وظل النبى ﷺ يدعوا قومه جهرًا عشر سنوات فى مكة فتمت دعوته منذ بعثته إلى أن هاجر إلى المدينة ثلاث عشرة سنة. ولاقى النبى ﷺ وأصحابه ﷺ أشد أنواع الأذى ، فلم يؤمر ﷺ برد الأذى وإنما أُمر بالصبر والصفح والعفو.

قال ﷻ : ﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴾[2]

---

[1] ـ الحجر ـ ٦٤ ، ٦٥

[2] ـ الحجر ـ ٨٥

وبعد أن هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ، وصار للمُسلمين دولة ، أُمر ﷺ برد الأذى وقتال المُشركين الباغين ، فقال ﷻ :

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾(١)

وأمر الحق ﷻ حبيبه المُصطفى ﷺ بإعداد العدة والأخذ بكل أسباب القوى فى مُقاتلة المُشركين ، فقال ﷺ : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ ﴾(٢)

فهل نأخذ بظاهر النص ونُقاتل اليهود اليوم بالخيول والسيوف والنبال ، أم أن الأحكام تختلف باختلاف الزمان والمكان.

مما سبق يتبين لنا أن الأحكام تتغير بتغير الظروف والأحوال ، فالحُكم يأتى بما يوافق أحوال الناس فى زمن مُعين ومكان مُحدد.

وفى بداية الدعوة نهى رسول الله ﷺ عن زيارة القبور لما كان يحدث فيها من عادات الجاهلية التى نهى عنها الإسلام ، فلما وقر الإيمان فى القلوب ، وصار المُسلمون بعيدين عن تلك العادات البغيضة ، قال ﷺ :

{ كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها }(٣)

وزاد ابن ماجة فى رواية له : { فإنها تُزهد فى الدنيا ، وتُذكر بالآخرة }(٤)

---

١ ـ الحج ـ ٣٩ ، ٤٠

٢ ـ الأنفال ـ ٦٠

٣ ـ أخرجه مسلم ـ ك الأضاحى ـ ب النهى عن أكل لحوم الأضاحى بعد ثلاث ونسخه.

٤ ـ ك الجنائز ـ ب ما جاء فى زيارة القبور ، من رواية عبد الله بن مسعود ﷺ ، وصححه الحاكم ك الجنائز.

من هدى صحابة رسول الله ﷺ :

ومن هدى صحابة رسول الله ﷺ الكثير من المواقف التى تؤكد لنا وجوب النظر فى الأحكام بما يتوافق مع الزمان والمكان ، والظروف والأحوال.

فبعد وفاة المصطفى ﷺ وارتد من ارتد من قبائل العرب خاض المُسلمون حُروب الردة الشهيرة وكان أشدها موقعة اليمامة ، وكان النصر بإذن الله ﷻ للمسلمين ، وقُتل فى الموقعة مُسيلمة الكذاب عليه لعنة الله ﷻ ، وفى تلك الموقعة استُشهد الكثير من الصحابة ﷺ من حفظة القُرآن الكريم ، فاقترح عُمر بن الخطاب(١) ﷺ على أبى بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ أن يجمع القُرآن من صدور الرجال ، ورقاع الجلود ، وسعف النخل والألواح ، وغير ذلك مما كان يُكتب عليه القُرآن فى حياة رسول الله ﷺ ، فى كتاب واحد ، فتردد أبو بكر الصديق ﷺ فى بادئ الأمر وقال : { كيف أفعل ما لم يفعله ﷺ }

ثم أخذ برأى عُمر ﷺ لما وجد فيه من مصلحة للمُسلمين. فكان جمع القُرآن تحقيقًا لقول المولى ﷻ : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾(٢)

ولو تمسك الصحابة ﷺ بالامتناع عما لم يفعله رسول الله ﷺ لما كان القُرآن فى أيدينا الآن نقرأ فيه آيات الله ﷻ بكل يُسر وسهولة تحقيقًا لقول المولى ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾(٣)

أمثلة من واقعنا المُعاصر :

المثل الأول : تطهير الآنية بالتراب :

فمن هدى رسول الله ﷺ يحُثنا على تطهير الآنية والأوعية ، فيقول ﷺ :

{ إذا ولغ الكلب فى الإناء فاغسلوه سبع مرات وعفروه فى الثامنة بالتراب }(٤)

---

١ ـ القرطبى ج ١ ص ٦٧

٢ ـ الحجر ـ ٩

٣ ـ القمر ـ ١٧

٤ ـ أخرجه مسلم ـ ك الوضوء ـ ب حكم ولوغ الكلب.

وفى رواية لأبى داود : { أولهن بالتراب ، وفى رواية السابعة بالتراب }([1])

فهل نلتزم بظاهر النص وننظف آنيتنا بالتراب ، أم نستخدم مساحيق الغسيل الحديثة ، وما فيها من مواد تُيسر وتُسهل وتُطهر الآنية بصورة صحية.

المثل الثانى : كذلك ما ورد فى هدى رسول الله ﷺ من علاج لبعض الأمراض فذلك من عادات قومه ﷺ ومن تجارب الناس ، ولا يُعد ذلك وحيًا من المولى ﷻ يجب علينا أن نلتزم به. مثال ذلك ما روى عن رسول الله ﷺ فى علاج الحُمى.

قال ﷺ : { الحُمى من فيح جهنم ، فأطفئوها بالماء }([2])

والحُمى ارتفاع درجة حرارة الجسم ، وكانت تُعد فى عصر رسول الله ﷺ مرض يودى بحياة الكثير من الناس ، أما بعد التطور الكبير فى علم الطب فقد تبين أن الحُمى عرض وليست مرضًا ، فيجب على المريض أن يذهب للطبيب ليُحدد له المرض الذى سبب له ارتفاع درجة الحرارة ، ويأخذ العلاج المناسب لهذا المرض ولا يكتفى بما ورد فى الحديث من علاج الحُمى بالماء.

مثل ثالث : أجمع الفُقهاء على جواز الاستنجاء بالحجارة ، لما روى عن رسول الله ﷺ فى هذا الأمر ، واختلفوا فى جواز الاستنجاء بالماء فمنهم من أجازه ومنهم من منعه ، أو كرهه لنُدرة الماء فى عصرهم.([3]) أما فى عصرنا الحاضر وبعد اكتشاف أنواع عديدة من الميكروبات فمن الواجب على العُلماء أن يبينوا للناس حُرمة الاستنجاء بالحجارة ، لما قد يسببه تلوثها من أمراض للإنسان.

مثل رابع : كذلك ما روى عن رسول الله ﷺ فى طهارة الماء ما لم يتغير لونه أو طعمه أو رائحته([4]) ، فذلك مما يوافق عصره ﷺ ، أما فى عصرنا الحاضر فهناك تحاليل تُجرى للوقوف على مدى صلاحية الماء للاستخدام الآدمى ، ويُضاف مواد مثل الكلور لتطهيره.

---

[1] ـ ك الطهارة ـ ب الوضوء بسؤر الكلب.

[2] ـ أخرجه البخارى ـ ك الطب ـ ب الحمى من فيح جهنم ، من رواية عبد الله بن عمر ﷺ

[3] ـ راجع الأحاديث واختلاف الفقهاء فى فتح البارى ـ ك الطهارة ـ ب الاستنجاء بالماء ، ب الاستنجاء بالحجارة

[4] ـ أخرجه ابن ماجة ـ ك الطهارة ـ ب الحياض ، من رواية أبى أمامة الباهلى ﷺ

النظام

مُقدمة :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ أما بعد ،،،

فسبحانه وتعالى خلق الكون كله بقدرته وعظمته ، وأبدع فى خلقه ومخلوقاته آيات وآيات لا تُعد ولا تُحصى ، ورحم الله من قال فأحسن :

فيا عجبًا كيف يُعصى الإله أم كيف يجحده الجاحدُ

وفـى كـل شىء لـه آيـة تدل علـى أنـه الواحـدُ

آيات وآيات فى نظام مُحكم بديع يدل بما لا يدع مجال للشك على طلاقة القدرة وكمال العظمة والحكمة. يقول ﷻ فى مُحكم آياته الكريمة :

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ۝ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِى لِمُسۡتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ۝ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ ﴾[1]

وأمرنا المولى ﷻ أن ننظم حياتنا وسائر شئوننا ، فالحياة بلا نظام فوضى وعبث لا يرضاه الحق ﷻ ، يقول ﷻ :

﴿ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثًا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ﴾[2]

وأصل كلمة النظام من انتظام الشىء ، بمعنى تآلفه واتساقه واستقامته وخلاف ذلك تكون الفوضى والعبث.

وقيل إن النظام هو ترتيب أمور الفرد والجماعة بتآلف وتناسق لا تناقض فيه ولا نفور ، فيتقدم ما حقه التقديم ، ويتأخر ما حقه التأخير.

---

[1] ـ يس ـ ٣٧ : ٤٠

[2] ـ المؤمنون ـ ١١٥

وفى الاصطلاحات الحديثة يعنى النظام مجموعة القواعد التى تضبط السلوك والعمل وتُراقبه بقوانين وقرارات يلتزم بها جميع أفراد المُجتمع.(١)

وقد بدأ الإسلام دعوته فى مُجتمع لا يعرف للنظام معنى ولا قيمة ، مُجتمع أقرب إلى الهمجية فى سائر شئونه وأحواله ، فجاء الإسلام ليُعلمنا كيف نحيا فى نظام مُتكامل يقوم على الحق والعدل ، نظام لا يبغى فيه القوى على الضعيف ولا الغنى على الفقير ، ولا الحاكم على المحكوم.

فى العبادات :

وبداية ننظر فى العبادات التى شرعها الإسلام فنجد فيها أعظم وأجل الأدلة على منهجية النظام فى الإسلام ، فكل عبادة جعلها الحق ﷻ ركنًا من أركان الإسلام الخمس ، لها وقت مُحدد ، وأركان وواجبات وسُنن تؤدى بترتيب يلتزم به المُسلم ، ترتيب فى غُسل الأعضاء فى الوضوء ، وترتيب فى أداء أركان الصلاة ، فتبطل الصلاة بتقديم ركن على ركن ، أو تأخير ركن عن ركن آخر وفى تسوية الصفوف والتأكيد على ذلك من هدى رسول الله ﷺ فى مُجتمع لم يكن يعرف للصف معنى ولا قيمة ، كذلك فى الصيام نلمح النظام فى أداء هذا الركن العظيم ، وفى الحج ترتيب وتنظيم يجب الالتزام به.

ويضع الحبيب ﷺ نظامًا للإمامة فى الصلاة فيقول ﷺ : { يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله ، فإن كانوا فى القراءة سواء فأعلمهم بالسُنة ، فإن كانوا فى السُنة سواء فأقدمهم هجرة ، فإن كانوا فى الهجرة سواء فأكبرهم سنًا }(٢)

فى الجهاد :

أُمة قال عنها العُلماء إنها أُمة الصف ، يعنون بذلك النظام والانتظام الذى هو على نقيض الفوضى والعبث ، ففى الجهاد يقول ﷻ :

---

١ ـ موسوعة نضرة النعيم فى أخلاق الرسول الكريم ﷺ ص ٣٥٠٩

٢ ـ أخرجه الترمذى ـ ك المواقيت ـ ب من أحق بالإمامة ، من رواية أبى مسعود الأنصارى ﷺ

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾[1]

هذه الآية نزلت فى سورة سُميت بسورة الصف لذلك قال العُلماء إننا أُمة الصف أُمة النظام ، فى وقت لم تكن البشرية بأسرها تعرف أى معنى ولا قيمة للنظام.

ونظم النبى ﷺ جيشه تنظيمًا دقيقًا لم يعرف التاريخ قبل الإسلام مثيلاً له فاختار ﷺ من يكون فى مُقدمة الصفوف ، ومن يكون فى الميمنة والميسرة ، ومن يكون فى قلب الصفوف ، ومن يحمى ظهر الجيش.

وفى غزوة أحد حينما خالف الرماة أوامر المُصطفى ﷺ كانت الهزيمة ، ولو انتصر المُسلمون لما كان هناك قيمة لطاعة رسول الله ﷺ ، ولا للأخذ بأسباب النصر ـ ومنها تنظيم الجيش ـ فيتعجب بعض الصحابة كيف نُهزم وفينا رسول الله ﷺ. فينزل القرآن يؤكد على أن النصر لا يكون بالإهمال ولا بالفوضى ، وإنما بالالتزام وبالنظام والأخذ بكل أسباب القوة.

يقول ﷻ : ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[2]

نظام الحُكم يقوم على الحق والعدل :

وشرع الإسلام نظامًا للحكم يقوم على الحق والعدل ، لا فرق بين غنى وفقير وقوى وضعيف ، وحاكم ومحكوم ، قال ﷻ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾[3]

---

[1] ـ الصف ـ ٤

[2] ـ آل عمران ـ ١٦٥

[3] ـ النساء ـ ١٣٥

نظام يُقيم الحق والعدل ، لا يُفرق بين حبيب وبغيض ، ولا عدو وصديق ، الكُل أمام الله سواء ، قال ﷻ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾(١)

فمنزلة الإنسان ليست بمنصبه ولا بحسبه ونسبه ، وإنما بعمله. قال ﷺ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾(٢)

ويُعلن النبى ﷺ ميثاق هذه الأمة ودستورها الذى عليه قامت وأسست فيقول ﷺ : { أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ، لا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ، ولا لأسود على أحمر ، ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى.

آلا هل بلغت ؟ قالوا : بلى يا رسول الله. قال ﷺ : فليُبلغ الشاهد الغائب }(٣)

وعلى هذا المنهج القويم ونظام الحُكم الرشيد سار الخُلفاء الراشدون ﷺ فقال أبو بكر الصديق ﷺ فى خُطبته بعد أن تولى الخلافة : { أيها الناس إنى وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأطيعونى ، وإن أسأت فقومونى القوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه ، والضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ الحق له ، أطيعونى ما أطعت الله فيكم ، فإن عصيته فلا طاعة لىّ عليكم }

<u>من أخلاق النظام فى الإسلام :</u>

والناظر فى مكارم الأخلاق التى بُعث بها المُصطفى ﷺ يلمح النظام فى كل خُلق كريم ، فالحق ﷻ يُعلم الصحابة أدب الحوار مع الحبيب المُصطفى.

---

١ ـ المائدة ـ ٨

٢ ـ الحجرات ـ ١٣

٣ ـ أخرجه البيهقى فى الشعب ـ ك حفظ اللسان ـ ب الفخر بالآباء

فيقول ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ۝ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾(١)

ويُعلمنا أدب وخُلق النظام ، حتى فى بيوتنا ومع أبنائنا ، فيقول ﷻ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝ وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾(٢)

والحبيب المُصطفى يُعلمنا أدب وخُلق النظام ، فيبدأ من الطفل الصغير يُربى على النظام ، فلا مجال للعبث والفوضى بدعوى صغر السن ، فمن شب على شىء شاب عليه. فيُروى عن عُمر بن أبى سلمة ﷺ ، قال :

{ كنت غلامًا فى حجر رسول الله ﷺ ، وكانت يدى تطيش فى الصحفة ، فقال لىّ رسول الله ﷺ : يا غلام سم الله ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك }(٣)

ويروى أن قومًا جاءوا لرسول الله ﷺ فى خصومة ، فهم أصغرهم أن يتكلم فقال لهم رسول الله ﷺ كبروا كبروا.(٤)

---

١ ـ الحجرات ـ ٢ : ٥

٢ ـ النور ـ ٥٨ ، ٥٩

٣ ـ أخرجه البخارى ـ ك الأطعمة ـ ب التسمية.

٤ ـ أخرجه البخارى ـ ك الأدب ـ ب إكرام الكبير

بمعنى أن يبدأ الأكبر بالكلام ، احترامًا وتوقيرًا ونظامًا للأدب والخُلق الكريم.

الإسلام دين يدعونا إلى النظام فى سائر شئوننا وأحوالنا ، فى العبادات المُعاملات والآداب والأخلاق. فأين نحن من هذا المنهج القويم والنظام الحكيم.

إن الناظر فى أحوالنا يجد الفوضى والعبث والتكالب والتناحر والصراعات تنشب على أتفه الأسباب ، ولو تخلقنا بخلق الإسلام فى النظام لكان لنا شأن آخر بين الأمم الأخرى التى نتحدث طويلاً عنها ، وننبهر بما يعيشون فيه من نُظم مُحكمة ، يلتزمون بها ولا يحيدون أبدًا عنها ، ونغفل عن أننا أُمة الصف والنظام.

أُمة أشرقت على العالم بأسره بهذا الخُلق الكريم والنُظم المُحكمة البديعة.

الخُطبة الثانية :

خلق الإيثار :

لم يكتفِ الإسلام بوضع نُظم مُحكمة لحياة المُسلم بأسرها ولكنه ترقى بأخلاق الإسلام إلى خلق ربما يتعجب الكثير منه ، ولم تعرف البشرية قبله مثيلاً ، إنه خلق الإيثار. فلا تقف أخلاق الإسلام عند وجوب الالتزام بالنظام بل يحُثنا ويُرغبنا فى أن نؤثر غيرنا على أنفسنا ، فيقول ﷻ فى وصف عباده المؤمنين :

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1]

وهذه الآية نزلت فى الأنصار بعدما قاسموا إخوانهم المُهاجرين أموالهم وديارهم.

أين هذا الخلق الكريم مما نراه من تكالب على المناصب بحق وبغير حق وصراع على المال من حله وحرامه ، ومحسوبية فى قضاء الحوائج كُل يريد أن يقضى حاجته أولاً بدون حق ، فيلجأ لقريب أو صاحب له ، أو إلى الرشوة والعياذ بالله تعالى ، ثم ندعى أننا خير أُمة أُخرجت للناس ، والإسلام من تلك الأخلاق براء.

---

[1] ـ الحشر ـ ٩

القوانين الوضعية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ، أما بعد ،،،

فمن المفاهيم الخاطئة والعقائد الفاسدة التى تنتشر بين الكثير من الناس أننا مُكلفون بما ورد فى كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ من فرائض يجب أن نؤديها وحُرمات يجب أن نجتنبها ، وما يلحق بذلك من نوافل يحرص الكثير منا على أدائها طلبًا للمزيد من الأجر والثواب.

فنحرص جميعًا على أداء الصلوات فى وقتها ، وصيام رمضان ، وما تيسر لنا من النوافل ، وإخراج الزكاة ... ، إلى غير ذلك من عبادات.

أما القوانين التى تُسمى بالوضعية وما يلحق بها من لوائح وقرارات صادرة من السُلطات المُختصة على تنوعها فالغالب الأعم منا لا يعبأ بالالتزام بها اعتقادًا منا بأن العُقوبة على مُخالفتها هى عُقوبات دُنيوية وليست دينية ، فالله ﷻ لن يُحاسبنا على ما لم نلتزم به من قوانين وقرارات وضعها البشر ، وهذا كما قلنا فهم خاطئ واعتقاد فاسد يوقع الإنسان فى كبائر وعظائم ربما أشد وأعظم من الكثير من الفرائض والحُرمات التى نحرص جميعًا على تعظيمها.

نظام المُجتمع عهد يجب الوفاء به :

وبدايَة نقول إن النظام العام للمُجتمع يقوم على اتفاق والتزام وتعاهد بين أفراد المُجتمع بأسره على المُحافظة على هذا النظام والالتزام به ، لأن فى ذلك صلاح البلاد والعباد ، وما بعث الله ﷻ أنبياءه ورسله وأنزل رسالاته وشرائعه إلا لصلاح البلاد والعباد. قال ﷻ على لسان نبيه شعيب عليه السلام :

﴿ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾[1]

الله ﷻ يريد لنا الصلاح ، ويُبين ويُشرع لنا سُبله ووسائله.

---

[1] - هود - ٨٨

وينهانا عن الفساد ويُسد لنا طرقه وذرائعه. قال ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾(١)

شريعة الله ﷻ تحقق المصالح والمقاصد التى أرادها الله لأمة الإسلام ، من قوة وعز ومجد وكرامة ، ولا يكون ذلك إلا بإقامة الحق والعدل والخير والرحمة.

يقول الإمام ابن القيم : " إن الشريعة مبناها وأساسها على الحكمة ومصالح العباد فى المعاش والمعاد ، وهى عدل كُلها ، ورحمة كُلها ، ومصالح كُلها ، وحكمة كُلها ، فكُل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور ، وعن الرحمة إلى ضدها ، وعن المصلحة إلى المفسدة ، وعن الحكمة إلى العبث ، فليست من الشريعة ، وإن دخلت فيه بالتأويل "(٢)

والمُتأمل فى كتاب الله ﷻ يجد دائمًا اقتران العمل بالصلاح ، وخلاف ذلك يكون عملاً فاسدًا ينهانا المولى ﷻ عنه يقول ﷻ : ﴿ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ ﴾(٣)

ووعد الله ﷻ عباده الصالحين بالاستخلاف والتمكين فى الأرض. فقال ﷻ :

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾(٤)

---

١ ـ النحل ـ ٩٠

٢ ـ إعلام الموقعين ـ ج ٣ ص ٣ ـ طبعة دار النهضة الجديدة ـ القاهرة

٣ ـ ص ـ ٢٨

٤ ـ النور ٥٥

وقال ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾(١)

فالقوانين الوضعية وما يلحق بها من لوائح وقرارات إنما شُرعت لما فيه صلاح البلاد والعباد ، وهى عهود ومواثيق يجب أن يلتزم بها جميع أفراد المُجتمع لتنتظم أحوال الناس ويعرف كل فرد وجماعة ما له وما لها من حقوق وما عليه وما عليها من واجبات والتزامات. وقد أمرنا الله ﷻ بالوفاء بالعهود والعقود ، فقال ﷻ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ﴾(٢)

وقال ﷻ : ﴿ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾(٣)

وقال ﷻ فى وصف عباده المؤمنين :

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴾(٤)

وقال ﷻ : ﴿ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾(٥)

<u>النهى عن اتباع الأهواء :</u>

وقد يتعلل البعض فى مُخالفة القوانين واللوائح بأنها لا تُحقق مصلحته ومُبتغاه ، فنقول إن الله ﷻ قد بين لنا فى كتابه الكريم أن المؤمن يجب عليه أن يلتزم بأوامر المولى ﷻ ولا يتبع أهواء نفسه ، فاتباع الأهواء فساد وإفساد للمُجتمع بأسره ، قال ﷻ :

---

١ ـ الأنبياء ـ ١٠٥

٢ ـ المائدة ـ ١

٣ ـ الإسراء ـ ٢٤

٤ ـ المؤمنون ـ ٨ ، المعارج ـ ٣٢

٥ ـ البقرة ـ ١٧٧

﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ ﴾(١)

وفى سورة التوبة حديث طويل عن المُنافقين وأحوالهم ، وكيف أنهم اتبعوا أهواءهم وتخلفوا عن الجهاد مع رسول الله ﷺ فباءوا بغضب من الله ﷻ ولعنته.

مظالم العباد :

والناظر فى شرع الله ﷻ يجد أن ظلم الإنسان لنفسه فيما بينه وبين ربه إن تاب من ظلمه وأناب غفر الله ﷻ له ، وهو الغفور الرحيم ، أما ظلم الإنسان لغيره فهو ذنب لا يقبل الله ﷻ توبة من العبد حتى يرد الحق لأصحابه ، فإذا كان هذا هو حال من يظلم غيره وإن كان فرد واحد ، فكيف بمن ينتهك نظام المُجتمع بأسره ويحتال على القوانين التى شُرعت لمصالح العباد والبلاد.

يقول المُصطفى ﷺ : { الدواوين ثلاثة ، فديوان لا يغفر الله منه شيئًا وديوان لا يعبأ الله به شيئًا ، وديوان لا يترك الله منه شيئًا. فأما الديوان الذى لا يغفر الله منه شيئًا فالإشراك بالله ، قال ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾(٢)

وأما الديوان الذى لا يعبأ الله به شيئًا ، فظُلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه من صوم يوم ، أو صلاة تركها ، فإن الله يغفر ذلك إن شاء ويتجاوز.

وأما الديوان الذى لا يترك الله منه شيئًا فمظالم العباد بينهم ، القصاص لا محالة }(٣)

وفى هذا المقام أيضًا نقف مع حديث لرسول الله ﷺ من أجل وأعظم ما روى عنه ﷺ فى الحُرمات التى يجب على العبد أن يتجنبها.

---

١ ـ المؤمنون ـ ٧١

٢ ـ النساء ـ ١١٦

٣ ـ أخرجه أحمد من رواية السيدة عائشة ج ٦ ص ٢٤٠ وصححه الحاكم ج ٤ ص ٦١٩ ح رقم ٨٧١٧

فعن عبد الله بن عُمر ﷺ قال : رأيت رسول الله ﷺ يطوف بالكعبة ويقول :

{ ما أطيبك وأطيب ريحك. ما أعظمك وأعظم حرمتك. والذى نفس مُحمد بيده لحُرمة المؤمن عند الله أعظم من حُرمتك ، دمه ، وماله ، وعرضه ، وأن نظن به إلا خيرًا }(١)

حتى الظن بالمُسلم إن كان بالسوء فقد انتهكت حُرمة أعظم من حُرمة بيت الله الحرام ، فكيف بمن ينتهكون قوانين تُنظم أحوال المُجتمع بأسره ، ويعيثون فسادًا بالرشوة والمحسوبية.

وصدق فيهم قول المولى ﷻ : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ۝ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۚ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴾(٢)

ومن باب تعظيم حقوق المُجتمع بأسره والعمل على كل ما فيه صلاح للمُجتمع نجد أن الحبيب المُصطفى ﷺ يعُد أقل الأعمال ربما فى نظرنا شُعبة من شُعب الإيمان. فيقول ﷺ : { الإيمان بضع وسبعون ، أو بضع وستون شُعبة ، أفضلها قول : لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شُعبة من شُعب الإيمان }(٣)

فى ختام الأمر يقول أسعد الخلق ﷺ :

{ من لم يهتم بأمر المُسلمين فليس منهم. ومن لم يُصبح ويُمس ناصحًا لله ولرسوله ولكتابه ولإمامه ولعامة المُسلمين فليس منهم }(٤)

---

١ ـ أخرجه ابن ماجة ك الفتن ب حرمة دم المؤمن

٢ ـ البقرة ٢٠٤ : ٢٠٦

٣ ـ أخرجه مسلم من رواية أبى هريرة ﷺ ك الإيمان ب شعب الإيمان

٤ ـ أخرجه الطبرانى فى الأوسط من رواية حذيفة ﷺ ج ٧ ص ٢٧٠

الخُطبة الثانية :

قد يستطيع الإنسان أن يحتال بطرق عديدة غير شرعية لكى يُخالف القوانين الوضعية ، أو قرارات إدارية.

فيتغيب على سبيل المثال عن عمله ويوصى من يوقع له بالسجلات ، أو يتقاعس عن العمل المُكلف به فى ظل نُظم إدارية بالية ، لا تُحاسب ولا تُعاقب المُهمل والمُتراخى فى عمله ، ويظن أنه أفلت من العقاب ، بل قد يعُد الكثير من الناس تلك الوسائل من الذكاء والفطنة. بيد أن المُصطفى ﷺ يحذرنا من هذا المسلك الخطير الذى قد يُفسد المُجتمع بأسره ، فى حديث عظيم ، أفرد له الإمام البُخارى بابًا فى كتاب الأحكام من صحيحه ، تحت عنوان :

[قضاء الحاكم لا يُحل حرامًا ولا يُحرم حلالاً]

بمعنى أنك حتى إن احتلت وزورت وتمكنت من الحصول على حُكم من القضاء ، أو قرار ولو من أعلى السُلطات فإنك تخوض فى أعظم وأشد الحُرمات.

والحديث الذى هو أصل عظيم من أصول الحُكم والقضاء عن أم سلمة ـ رضى الله عنها ـ زوج رسول الله ﷺ ، قالت :

سمع رسول الله ﷺ خُصومة بباب حُجرته ، فخرج إليهم ، وقال ﷺ :

{ إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلىّ ، ولعل أحدكم أن يكون ألحن بحُجته من الأخر ، فأقضى له على نحو ما أسمع منه ، فمن قضيت له بشىء من حق أخيه فلا يأخذه ، فإنما أقطع له قطعة من النار.

قالت أم سلمة : فبكى الرجلان وقال كل واحد منهما للآخر حقى لك.

فقال النبى ﷺ : اقتسما بينكما وتوخيا الحق }

وكان الرجلان قد اختصما لرسول الله ﷺ فى ميراث لهما ، ولم تكن لهما بينة إلا دعواهما }(١)

---

١ ـ البخارى ك الأحكام ب من قُضى له بحق أخيه ، مسلم ك الأقضية ب اللحن بالحجة

بين درء المفاسد وجلب المنافع

مُقدمة :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ أما بعد ،،،

فما أسهل وأيسر على كل منا أن يتحدث عن الفساد والمُفسدين ، وعن الحُرمات التى تُنتهك ، والأخلاق التى ضاعت ، والأمانة التى عزت وندرت ، هذا أمر لا تخلو منه مجالسنا ، كل يجلس ويتكئ فى مجلسه أو يضجع فى راحة وبحبوحة ليُحدثنا عن الموبقات ، وما ينزل علينا بسببها من لعنات.

بيد أننا والرغم من المشاكل والأزمات المُزمنة التى نعيش فيها من فقر وبطالة وسوء للخدمات ، إلا أننا لا نجد من يُقدم عملاً صالحًا يُساعد فى علاج تلك المشاكل والأزمات ، اللهم إلا فيما ندر.

وعلى العكس من ذلك تمامًا نجد الكثير ممن يتصدون للدعوة الإسلامية ـ ثم بعد الثورة تصدوا للعمل بالسياسة ـ لا هم لهم إلا الحديث عما يرونه من مفاسد ما بين تحريم لمُعاملات البُنوك ، وتحريم السياحة ، وفساد أجهزة الإعلام وحديث لا ينقطع عن فتنة النساء وما أدراك ما النساء ، وكيف أن الحل الأمثل لتلك الفتنة هو ألا تخرج المرأة من بيتها إلا للقبر ، كما يزعمون ، إلى غير ذلك من أحاديث لا تنقطع عن الفساد والمُفسدين.

وفى تحليل وتفسير لهذا التوجه الغريب الذى يهتم ويشغل نفسه وأتباعه بالحديث عن المفاسد ، ويغفل عن كيفية علاج مُشكلات المُجتمع المُزمنة ، ذهب بعض العُلماء والفُقهاء إلى أن السبب فى هذا القصور الواضح فى فكر تلك الجماعات والتيارات التى ترفع شعارات إسلامية أنهم أخذوا بقاعدة فقهية على غير مفهومها الصحيح فجاءت دعوتهم على خلاف مقاصد الشريعة الإسلامية.

والقاعدة التى يتمسكون بها تقول :

{ إن درء المفاسد مُقدم على جلب المنافع والمصالح }

ومعنى ذلك أنه يجب علينا أن نشغل أنفسنا ونوجه جهودنا إلى درء المفاسد أولاً قبل جلب المنافع والمصالح ، وأن نضحى بأى مصالح مهما كان وزنها وأثرها فى سبيل السلامة من المفاسد.

وفى هذا المعنى يُقال أيضًا : " الاجتناب مُقدم على الاجتلاب " بمعنى أنه يجب علينا أن نُقدم اجتناب المعاصى والذنوب على أداء وإتيان وإقامة أعمال البر والمعروف. ومن هذا المُنطلق ذهب أرباب المعانى ومن اشتغلوا بإصلاح القلوب إلى مقولة : " إن التخلية قبل التحلية " ومعنى ذلك أنه يجب على المُريد أن يُخلى قلبه أولاً ويُطهره من المفاسد والشهوات قبل أن يملأ قلبه بالإيمان.

تصحيح لمفهوم وتطبيق القاعدة :

والصحيح أن هذه القاعدة لا تُطبق على إطلاقها فى سائر الأمور والأحوال وإنما تختص بحُكم الأشياء التى تكون فيها المفسدة أعظم وأكبر من المصلحة.(١)

مثال ذلك من كتاب الله ﷻ فى تحريم الخمر ، فقبل أن ينزل القرآن بتحريم قطعى فى الخمر نزل قوله ﷻ : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾(٢)

فالآية الكريمة تبين أن فى الخمر منافع قد يجنيها التاجر من بيعه ، إلا أن المفسدة منها أعظم ، لذلك نزل تحريم قطعى فى الخمر. قال ﷻ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(٣)

ومن المثال السابق يتبين لنا أن تطبيق هذه القاعدة فى الأحوال التى تكون فيها المفسدة أكبر وأعظم من المصلحة.

---

١ ـ كتاب القواعد الفقهية وتطبيقاتها فى المذاهب الأربعة ـ للزحيلى ـ ص ٢٣٨

٢ ـ البقرة ـ ٢١٩

٣ ـ المائدة ـ ٩٠

ولهذه القاعدة الكثير من الأحكام الشرعية التى تُطبق عليها ، بيد أن الخطأ العظيم هو أن تُطبق تلك القاعدة فى كل الأحوال ، بل تكون منهج للفكر الإسلامى.

الترجيح بين المصلحة والمفسدة :

فهناك قاعدة أخرى تقول : إذا تعارضت المصلحة والمفسدة قُدم أرجحهما.(١)

ودليل ذلك من كتاب الله ﷻ فى فرض الجهاد ، يبين لنا أن البعض قد يرى فيه مفسدة له ، من ذهاب ماله أو نفسه ، ولكن الله ﷻ يؤكد على ما فى الجهاد من خير لا يُضاهيه ما فيه من مشقة وتعب. فيقول ﷻ :

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٢)

كذلك الصيام والصدقة وإن كان فى ظاهرهما مشقة ومفسدة للبدن والمال ففيهما من المصالح ما هو أعظم وأرجح.

أداء الواجبات أعظم من ترك المُحرمات :

أما فى عموم حال الإنسان أو المُجتمع أو الدول فيجب أن يكون العمل بالقاعدة الفقهية التى تقول : { إن أداء الواجبات أعظم من ترك المُحرمات }(٣)

ومعنى هذه القاعدة أن أداء الواجبات مُقدم على النهى أو ترك المُنكرات وأن الفعل مُقدم على الترك ، والأداء مُقدم على الانتهاء ، وهناك الكثير من الأدلة على صحة تلك القاعدة ، نذكر بعضًا منها :

إن الله ﷻ خلق الإنسان للفعل والأداء ولم يخلقه للترك والانتهاء ، خلقنا لتوحيده ﷻ وعبادته ولم يخلقنا لكى لا نُشرك به وإلا لما كان للخلق معنى وقيمة.

قال ﷻ : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾(٤)

---

١ ـ كتاب القواعد الفقهية وتطبيقاتها فى المذاهب الأربعة ـ للزحيلى ـ ص ٧٧٥

٢ ـ البقرة ـ ٢١٦

٣ ـ كتاب القواعد الفقهية وتطبيقاتها فى المذاهب الأربعة ـ للزحيلى ـ ص ٧٧٩

٤ ـ الذاريات ـ ٥٦

وقال ﷻ : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾(١)

وفى بداية بعثة المُصطفى ﷺ حينما نزل عليه ﷺ الوحى ذهب للسيدة خديجة ـ رضى الله عنها ـ يقول : { زملونى زملونى ، دثرونى دثرونى }

فقالت له : والله لا يُخزيك الله أبدًا ، إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث وتحمل الكل ، وتُكسب المعدوم ، وتُقرى الضيف ، وتُعين على نوائب الحق.(٢)

فذكرت فى تزكيتها له ﷺ أفعال ، ولم تذكر ما يجتنبه من موبقات ، فلم تقل على سبيل المثال : إنك لا تسجد للأصنام ، أو لا تشرب الخمر ، إلى غير ذلك مما يجتنبه الحبيب المُصطفى ﷺ.

وهذا هو المعروف فى أحوال الناس ، فحينما يُزكون أحدًا يذكرونه بأفعال البر والخير ، ولا يُزكونه بأنه لا يشرب الخمر ، أو لا يسرق ، أو لا يزنى. وفى هذا المقام أيضًا وفى صدر سورة البقرة يبين لنا المولى ﷻ حال ووصف المُتقين أهل الفلاح والفوز والنجاح ، فيقول : ﴿ الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾

والآيات واضحة جلية تتضمن أفعالاً يجب على المؤمن إتيانها ، ولا تذكر ما يجب عليه أن يتركه ، وهذا دليل واضح على أن الفعل مُقدم على الترك ، وليس العكس.

وفى سورة البقرة أيضًا يذكر لنا الحق ﷻ أمثلة من البر ، والبر كلمة جامعة للخير كله ، فيقول ﷻ :

---

١ ـ الأنبياء ـ ٢٥

٢ ـ متفق على صحته (البخارى ـ ك بدء الوحى ٣ ، مسلم ـ ك الإيمان ٢٥٢)

﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾(١)

وفى بداية بعثة المُصطفى ﷺ أُمر أولاً بالأفعال والإتيان قبل أن يؤمر بالترك والاجتناب ، فالاجتلاب مُقدم على الاجتناب ، فنزلت سورة المُزمل أولاً :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾

ثم نزلت بعد ذلك سورة المُدثر ، وفيها أولاً أوامر بأفعال ، ثم يأتى بعد ذلك الأمر بالاجتناب ، قال ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴾

وفى ذلك يقول ﷺ فى الحديث : { إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق }(٢)

ولم يقل ﷺ لأنهى عن مساوئ الأخلاق ، فإقامة المكارم والمصالح مُقدم على درء المفاسد. ومما ذكره العُلماء أيضًا فى هذا المقام أن درء المفاسد لا يتأتى ولا يكون إلا بجلب المنافع ، فجلب المنافع هو السبيل الوحيد لدرء المفاسد.

قال ﷻ : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾(٣)

---

١ ـ البقرة ـ ١٧٧

٢ ـ أخرجه أحمد ـ ج ٢ ص ٣٨١ ، من رواية أبى هريرة ﷺ وصححه الحاكم (فيض القدير ج ٢ ص ٥٧٢)

٣ ـ هود ـ ١١٤

وقال ﷻ : ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾(١)

ومن الأدلة الواضحة على أن جلب المصالح والمنافع مُقدم على درء المفاسد أن الله ﷻ قد فرض علينا أن نأمر بالمعروف وننهى عن المُنكر ، وجعل من هذه الفريضة شرطًا لكى نكون خير أُمة أُخرجت للناس ، قال ﷻ :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾(٢)

يقول عُمر بن الخطاب ﷺ فى الأثر المروى عنه :

" من سره أن يكون من هذه الأُمة فليؤد شرط الله فيها "(٣)

فالأمر بالمعروف مُقدم دائمًا وأبدًا على النهى عن المُنكر ، وهذا ما يؤكد أن جلب المصالح والمنافع مُقدم على درء المفاسد.

من الأدلة السابقة يتبين لنا أن الله ﷻ ما خلقنا فى هذه الدنيا إلا لنُعمرها بالعمل الصالح النافع ، ولم يخلقنا لكى ننتقد ونلعن ونتحسر على كل عمل لا يروق لنا ، وفى الحكم القديمة يقولون :

{ إن إنارة شمعة فى الظلام خير من أن نلعن الظلام مائة مرة }

فماذا سنجنى من كل تلك اللعنات التى نصُبها هنا وهناك ، والتهديد والوعيد بعظائم الأمور والويل والثبور.

إن توفير فرصة عمل شريف لشاب تُعد طوق نجاة له من التشرد والضياع وما يستتبع ذلك من الكثير من الانحرافات فى سلوك وأخلاق الشباب ، فبدلاً من أن نشغل أنفسنا بالحسرة على أحوال الشباب ووعظهم بالمواعظ البليغة من الأجدى أن نوفر لهم عملاً شريفًا يصرفهم عن طريق السوء.

---

١ ـ العنكبوت ـ ٤٥

٢ ـ آل عمران ـ ١١٠

٣ ـ ابن كثير ـ فى تفسير الآية ـ

الخُطبة الثانية :

قد يظن أصحاب هذا الفكر الخاطئ ممن يتمسكون بأن درء المفاسد مُقدم على جلب المنافع ، أن البُعد عن المفاسد سوف يفتح علينا من أبواب الرحمة من غير أن نأخذ بأسبابها وطرقها ووسائلها. ويستندون فى ذلك لقول المولى ﷻ :

﴿ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾(١)

وهذا فهم خاطئ للآية الكريمة ، فالله ﷻ جعل لكل شىء أسبابًا ، إن أخذنا بها بجد واجتهاد نجحنا ، وإن تقاعسنا فلن ينفعنا حينئذ الادعاءات الكاذبة من تقوى وورع. فالحق ﷻ حينما ذكر لنا فى كتابه الكريم قصة ذى القرنين ، بين لنا أن القوة لا تتحصل إلا بالأخذ بأسبابها ، فقال ﷻ :

﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ قُلۡ سَأَتۡلُواْ عَلَيۡكُم مِّنۡهُ ذِكۡرًا ۝ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ۝ فَأَتۡبَعَ سَبَبًا ﴾(٢)

أما المُتكاسلون المُتقاعسون فلا يستطيعون أن يحموا أنفسهم من عدوهم حتى وإن جمعوا من المال الكثير ، كما فى أحوالنا فى هذه الأيام.

قال ﷻ فى ذات القصة : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ۝ قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ﴾(٣)

فكيف بأمثال هؤلاء أن يحملوا مشاعل النور والهداية للعالم بأسره.

---

١ ـ الأعراف ـ ٩٦

٢ ـ الكهف ـ ٨٣ : ٨٥

٣ ـ الكهف ـ ٩٣ ، ٩٤

فـروض الكـفـايـة

مُقدمة :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ أما بعد ،،،،

فقد قسم العُلماء الفرائض إلى فرض عين وفرض كفاية ، أما فرض العين فمن مُسماه يتضح أنه عين على كل مُسلم أداؤه ما دام قد توافرت فيه شروط أداء هذه الفريضة مثل : العقل والبلوغ. فالصلاة فرض عين عليك ، يجب أن تؤديه والصيام فرض عين ما لم تكن من أصحاب الأعذار ، إلى غير ذلك من الفرائض.

أما فرض الكفاية ، فمن معناه أيضًا يتضح أنه فرض يكفى أداء البعض له دون الجميع ، بمعنى أنه إذا أداه البعض سقط الفرض عن الجميع.

مثال ذلك : التفقه فى الدين والدعوة إلى الله ﷻ.

قال ﷻ : ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾[1]

ومن الأمثلة المُتعارف عليها من فروض الكفاية رد السلام ، وغُسل الميت وصلاة الجنازة.

أهمية فروض الكفاية :

لكن فروض الكفاية لا تقتصر على الأمثلة التى ذكرناها فقط ، كما إن أهميتها لا تقل ، بل تزيد عن أهمية فرض العين. وهذا ما لا يعرفه الكثير من الناس فالغالب الأعم منا يظن أنه بأداء الفروض الواجبة عليه من صلاة ، وصيام وزكاة ينال رضا الله ﷻ ، ويكون فى أمن من عذابه فى الدُنيا والآخرة.

وهذا فهم خاطئ لأهمية فروض الكفاية وحقائق دين الإسلام.

والذى نريد أن نوضحه أن فرض العين إن لم يؤدَّ عوقب من تركه فقط.

---

[1] ـ التوبة ـ ١٢٢

فالعقوبة لا تتعدى من قصر فى أداء الفريضة ، أما فروض الكفاية فإنها إن لم تؤد عمت العقوبة المُجتمع بأسره ، فضعف الأمم وانهيارها وفسادها لا يكون بسبب إهمال الفروض العينية ، وإنما يكون بإهمال فروض الكفاية. مثال ذلك :

الأمر بالمعروف والنهى عن المُنكر:

فالأمر بالمعروف والنهى عن المُنكر من فروض الكفاية ، إن أداه البعض سقط عن الجماعة ، أما إذا تركنا هذه الفريضة التى بها صلاح وقوام المُجتمع فإن العقوبة هنا تعم الجماعة التى تحضر هذا المُنكر ولا تُنكره. ويبين لنا رسول الله ﷺ كيف إن التهاون فى هذه الفريضة يؤدى لهلاك وضياع الأمم ، فيقول ﷺ :

{ إن أول ما دخل النقص على بنى إسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول : يا هذا اتق الله ودع ما تصنع ، فإنه لا يحل لك ، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله ، وشريبه ، وقعيده. فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض. ثم تلا ﷺ قوله ﷻ : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۝ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾[1]

ثم قال ﷺ : كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهَوُن عن المُنكر ولتأخُذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرًا }[2]

وفى ذلك يقول المُصطفى ﷺ : { مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة ، فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم. فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقًا ولم نؤذ من فوقنا. فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ، ونجوا جميعًا }[3]

---

[1] ـ المائدة ـ ٧٨ ، ٧٩

[2] ـ أخرجه أبو داود والترمذى من رواية ابن مسعود ﷺ ـ المنذرى ج ٣ ص ٢٢٨

[3] ـ أخرجه البخارى ـ ك الشركة ـ ب هل يقرع فى القسمة والاستهام فيه ، من رواية النعمان بن بشير ﷺ

ويُقسم رسول الله ﷺ على ذلك ، فيقول فى الحديث :

{ والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المُنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذابًا منه ، ثم تدعونه فلا يُستجاب لكم }(١)

وقد بين لنا المولى ﷻ فى كتابه الكريم كيف تكون أُمة الإسلام خير الأمم.

فقال ﷻ : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾(٢)

يقول عُمر بن الخطاب ﷺ فى الأثر المروى عنه :

" من سره أن يكون من هذه الأُمة فليؤد شرط الله فيها "(٣)

فالأمر بالمعروف والنهى عن المُنكر من شروط خيرية الأُمة.

فليست الأفضلية لأُمة الإسلام ميراث يتوارثه الأبناء عن الآباء ، والآباء عن الأجداد ، وإنما عمل وجد واجتهاد ، لا مكان فيه للهو ولا للعبث.

<u>رد الظُلم ونُصرة المظلوم :</u>

وجوب رد الظالم والأخذ على يديه ، ونُصرة المظلوم ، من فروض الكفاية التى بها قوام وصلاح المُجتمع بأسره ، فالمُجتمع الإسلامى مُجتمع يقوم على الحق والعدل لا يفرق بين قوى وضعيف ولا غنى ولا فقير ولا حاكم ولا ومحكوم.

الكُل أمام شرع الله ﷻ سواء. قال ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ۚ وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾(٤)

---

١ - أخرجه الترمذى - ك الفتن - ب ما جاء فى نزول العذاب إذا لم يغير المنكر ، من رواية حذيفة بن اليمان ﷺ

٢ - آل عمران - ١١٠

٣ - ابن كثير - فى تفسير الآية -

٤ - النساء - ١٣٥

وحذرنا الحق ﷻ من الركون إلى الظلمة خوفًا أو رغبة أو طمعًا فى مال أو منصب. فقال ﷻ : ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾(١)

وفى ذلك يقول الحبيب المُصطفى ﷺ : { إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك الله أن يعمهم بعقاب من عنده }(٢)

ويقول ﷺ فى الحديث أيضًا : { المُسلم أخو المُسلم ، لا يظلمه ، ولا يخذله }(٣)

فحق المُسلم على المُسلم لا يقتصر على الامتناع عن ظُلمه وفقط ، بل يجب عليك نصرته والوقوف معه يدًا واحدة فى مواجه الظالم ، أيًا كان شأنه ومكانته.

وفى الحديث القدسى يقول ﷻ : { وعزتى وجلالى لأنتقمن من الظالم فى عاجله وآجله ، ولأنتقمن ممن رأى مظلومًا فقدر أن ينصره فلم يفعل }(٤)

وفى الحديث يقول ﷺ : { لا يُحقرن أحدُكم نفسه. قالوا وكيف يُحقر أحدُنا نفسه ؟ قال ﷺ : يرى أمرًا لله عليه فيه مقال ، ثم لا يقول فيه. فيقول له المولى ﷻ يوم القيامة : ما منعك أن تقول فىّ كذا وكذا ؟ يقول العبد : يا رب خشيتُ الناس. فيقول له المولى ﷻ : فإياى كنتَ أحقَ أن تخشى }(٥)

فى ختام الأمر يقول أسعد الخلق ﷺ : { من لم يهتم بأمر المُسلمين فليس منهم. ومن لم يُصبح ويُمس ناصحًا لله ، ولرسوله ، ولكتابه ، ولإمامه ، ولعامة المُسلمين فليس منهم }(٦)

---

١ ـ هود ـ ١١٣

٢ ـ أخرجه أصحاب السنن من رواية أبى بكر ﷺ ـ المنذرى ج ٣ ص ٢٢٩

٣ ـ أخرجه مسلم ـ ك البر والصلة والآداب ـ ب تحريم الظلم من رواية أبى هريرة ﷺ

٤ ـ أخرجه أبو الشيخ من رواية ابن عباس ﷺ ـ ك القضاء ـ ب الترهيب من الظلم ودعاء المظلوم .....

٥ ـ أخرجه ابن ماجة ـ ك الفتن ـ ب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، من رواية أبى سعيد الخدرى ﷺ

٦ ـ أخرجه الطبرانى فى الأوسط ، من رواية حذيفة ﷺ ج ٧ ص ٢٧٠

الخُطبة الثانية :

إصلاح ذات البين :

من فروض الكفاية التى إن لم تؤد كان فى ذلك ضعف المُجتمع ، إصلاح ذات البين فإن التنازع يُذهب قوة الأمة. قال ﷻ : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾(١)

لذلك فقد أمرنا المولى ﷻ بإصلاح ذات البين ، فلا نترك النزاع والشقاق بيننا يشيع وينتشر ، وينقلب الحال من التراحم والتعاطف إلى العداوة والبغضاء.

قال ﷻ : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ ..... ﴾(٢)

وفى أعقاب غزوة بدر الكبرى اختلف الصحابة ﷺ فى أمر الغنائم فبعض من جمع الغنائم أرادوا أن يستأثروا بها ، وبعض من واصل القتال أرادوا أن يأخذوا نصيبًا أكبر ، فنزل قوله ﷻ : ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾(٣)

فقسمها النبى ﷺ بينهم بالسوية.(٤)

أهل بدر الذين جاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله وزكاهم الحق ﷻ فى كتابه الكريم ، وقال فيهم المُصطفى ﷺ : لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم. ينزل القُرآن يقول لهم : ﴿ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ ، إن كنتم مؤمنين حقًا فأصلحوا ذات بينكم ، وإن لم تفعلوا كان إيمانكم كذبًا وزيفًا وخداعًا.

وفى ذلك يقول ﷺ : { ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ؟ قالوا بلى. قال ﷺ : إصلاح ذات البين ، فإن فساد ذات البين هى الحالقة.

لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين }(٥)

---

١ - الأنفال - ٤٥

٢ - الحجرات - ٩ ، ١٠

٣ - الأنفال - ١

٤ - ابن كثير - فى تفسير الآية -

٥ - أخرجه الترمذى - ك صفة القيامة والرقائق والورع - ب ٥٦ ، بسند صحيح ، من رواية أبى الدرداء ﷺ

الوقاية من الأمراض

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ أما بعد ،،،

فالتوكل على الله ﷻ من منازل السالكين وصفات المؤمنين المُقربين ، وقد أمرنا الله ﷻ بالتوكل عليه فى آيات كثيرة من كتابه الكريم ، وجعله من شروط صحة الإيمان فلا يصح إيمان عبد حتى يكون من المُتوكلين حق التوكل على الله.

يقول ﷻ : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾(١)

والتوكل فى أصله يعنى التفويض ، تقول فوضت فلانًا أو وكلته فى بيع أو شراء أو غير ذلك ، أما معناه فى الدين فيعنى إيمان العبد ويقينه بأن الله ﷻ قادر على كل شىء ، وتفويضه ﷻ فى سائر أموره وأحواله ، مع الأخذ بكل ما يسره الله ﷻ له من الأسباب. أما ادعاء التوكل مع عدم الأخذ بالأسباب والقعود عن العمل فهذا هو التواكل الذى نهانا الله ﷻ عنه وهو ما يُخالف هدى رسول الله ﷺ.

يقول ﷻ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولاً فَٱمۡشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ﴾(٢)

ويقول ﷺ فى الحديث : { المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كُل خير ، أحرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شىء فلا تقل لو أنى فعلت كذا لكان كذا. ولكن قل قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان }(٣)

فسبحانه وتعالى خلق الكون كله بقدرته وعظمته وحكمته وإرادته ، وجعل لهذا الكون سننًا ونواميس وأسبابًا تُسيره وتُنظمه ، وأمرنا ﷻ بأن نأخذ بهذا الأسباب حتى تستقيم لنا الحياة ، فالله ﷻ يريد لنا أن نعيش أقوياء لا ضعفاء.

---

١ ـ المائدة ـ ٢٣

٢ ـ الملك ـ ١٥

٣ ـ أخرجه مسلم ـ ك القدر ـ ب الإيمان للقدر والإذعان له ، من حديث أبى هريرة ﷺ

أعزاء لا أذلاء ، لنُعلى كلمة الحق وراية الإسلام. وضرب لنا المولى ﷻ مثلاً فى سورة الكهف بذى القرنين الذى آتاه الله ﷻ كما آتانا كل أسباب القوة والعزة والكرامة والتمكين فى الأرض ، فأخذ بها وعمل وعلم وجد واجتهد ، فدانت له مشارق الأرض ومغاربها. يقول ﷻ :

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ۝ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ۝ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴾(١)

والمُتأمل فى السيرة العطرة لرسول الله ﷺ يجد أن النبى ﷺ من يوم بعثته إلى أن لحق بالرفيق الأعلى قد أخذ بسنن الله ﷻ فى الكون ، وتحصيل كل أسباب القوة مع التوكل والاعتماد على الله ﷻ فى سائر أموره وأحواله ، فلم يركن أبدًا للمُعجزات ولا لخوارق العادات ، بل كان يحتاط ويحذر فى كل الأمور ، على عكس ما يظنه الكثير من الناس الذين لا يعرفون من سيرة رسول الله ﷺ إلا ارتباطها بالمُعجزات الكونية !!! وهنا نتساءل كيف تتحقق إذًا الأسوة الحسنة ؟!

وكيف نقتدى برسول الله ﷺ ، إذا كانت سيرته وما فيها من انتصارات ترتبط دائمًا بالمُعجزات ؟!

فى هجرته ﷺ دروس وعبر فى الأخذ بكل أسباب النجاة ، وفى غزواته ﷺ ما ترك سبيلاً للنصر إلا أخذ به ، من تحصيل القوة وتنظيم الجيش وبث عقيدة الجهاد والفداء فى قلوب الصحابة ﷺ ، هكذا أمره ربه ﷻ ، فقال :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا ﴾(٢)

وعلم المولى ﷻ حبيبه المُصطفى ﷺ كيفية الصلاة أثناء القتال ، فطائفة تصلى معه ﷺ ، وطائفة تحرس المُصلين ، قال ﷻ :

---

١ ـ الكهف ـ ٨٣ : ٨٥

٢ ـ النساء ـ ٧١

﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾(١)

وفى غزوة أحد حينما خالف الرماة أمر رسول الله ﷺ دارت الدائرة على المُسلمين ، ولو انتصروا لما كان هناك قيمة لطاعة رسول الله ﷺ ، ولا معنى للأخذ بالأسباب. ويتعجب بعض الصحابة ﷺ ، كيف نُهزم وفينا رسول الله ﷺ والوحى ينزل من السماء ؟ فينزل قوله ﷻ : ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٢)

وفى غزوة الأحزاب حينما علم النبى ﷺ بصعوبة المواجهة مع جحافل المشركين الذين اجتمعوا من كل صوب وحدب ، أخذ برأى سلمان الفارسى ﷺ وحفر مع أصحابه ﷺ الخندق ، وارتد المُشركون خائبين خاسرين. قال ﷻ :

﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾(٣)

وحذر المولى ﷻ رسوله ﷺ من المُنافقين ودسائسهم وما يبثونه من الفتن. فقال ﷻ : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾(٤)

---

١ ـ النساء ـ ١٠٢

٢ ـ آل عمران ـ ١٦٥

٣ ـ الأحزاب ـ ٢٥

٤ ـ المنافقون ـ ٤

كما أمرنا أن نأخذ حذرنا حتى من أقرب الأقربين منا ، قال ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡ ﴾(١)

وأمرنا ﷻ بتوثيق الديون والإشهاد عليها ، فلا نترك حقوقنا ونركن لما نظنه من أمانة الناس ، فقد يكون الأمر على خلاف ذلك ، قال ﷻ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُ ﴾(٢)

إن النبى ﷺ يتوكل على الله ﷻ فى سائر أموره وأحواله ، ويلجأ دائمًا بالدعاء والتضرع إلا المولى ﷻ يطلب النصر والتأييد ، بيد أنه ﷺ يأخذ بكل ما يسر الله ﷻ من الأسباب ، ولا يدع سبيلاً لتحصيل القوة إلا سلكه وحض عليه ، يأمر أصحابه بالعلم والعمل ، وينهى عن الجهل والعجز والكسل. جاء رجل لرسول الله ﷺ يسأله عن راحلته : أعقلها وأتوكل أو أطلقها وأتوكل فقال له ﷺ : اعقلها وتوكل.(٣)

ويروى عوف بن مالك ﷺ قال : { قضى رسول الله ﷺ بين رجلين ، فقال المقضى عليه لما أدبر : حسبى الله ونعم الوكيل.

فقال له ﷺ : إن الله يلوم على العجز ، ولكن عليك بالكيس ، فإذا غلبك أمر فقل حسبى الله ونعم والوكيل }(٤)

ومعنى الحديث أنه يجب علينا أن نُثبت ونوثق حقوقنا. ولا ندع المُبطل يحتال علينا بجهلنا ثم نلجأ للذكر وللدعاء الذى لا يُسمن ولا يُغنى حينئذ من جوع. ويصف المُصطفى ﷺ المؤمن فيقول فى الحديث : { المؤمن كيس فطن حذر }(٥)

قال ابن عباس ﷺ : { كان عُمر بن الخطاب كالطير الحذر ، يرى أن له فى كل موضع شركًا }

---

١ ـ التغابن ـ ١٤

٢ ـ البقرة ـ ٢٨٢

٣ ـ أخرجه الترمذى ـ ك صفة القيامة ـ ب رقم ٦٠ ، من رواية أنس بن مالك ﷺ

٤ ـ أخرجه أبو داود ـ ك الأقضية ـ ب الرجل يحلف على حقه.

٥ ـ أخرجه الديلمى فى مسنده الفردوس من رواية أنس بن مالك ﷺ (فيض القدير ج ٦ ص ٢٥٦ ، ٢٥٧)

دين الإسلام يدعونا إلى العلم والعمل ، يدعونا إلى الجد والاجتهاد والحذر يأمرنا بالدعاء والتضرع إلى الله ﷻ والتوكل عليه فى كل أمر وكل وقت وحين ولكنه ينهانا عن التواكل والعجز والكسل.

يقول ﷺ فى الحديث : { من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقاً إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع. وإن العالم ليستغفر له من فى السماوات ومن فى الأرض حتى الحيتان فى الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، وإن العُلماء ورثة الأنبياء ، إن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر }([1])

وقد علمنا جميعًا ما حل بالعالم من وباء أنفلونزا الطيور والخنازير وما تحمله من خطر داهم على الناس ، نسأل الله ﷻ أن يُجنبنا جميعًا شره وبلاءه ، لكن الغريب والعجيب فى الأمر أن الكثير من الناس يستهين بهذا الوباء بزعم أنه مُتوكل على الله ﷻ ، وأن الله هو القادر على كل شىء. وهذا قول حق أريد به باطل. دعاوى باطلة تُخالف القُرآن الذى أمرنا كما ذكرنا بالحيطة والحذر فى سائر أمورنا وأحوالنا ، وتُخالف هدى رسول الله ﷺ الذى يقول فى الحديث :

{ إذا سمعتم بالطاعون فى أرض فلا تدخلوها ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها }([2])

والبعض قد يسمع حديث رسول الله ﷺ الذى ينفى فيه العدوى فيفهمه على غير معناه ، والصحيح فى ذلك أن النبى ﷺ يُريد أن لا نعتقد بأن المرض ينتقل للغير بذاته ، ويغفل أن الأمر كله بيد الله ﷻ ، ودليل ذلك من نص الحديث نفسه الذى يقول فيه ﷺ : { لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ، وفر من المجذوم كما تفر من الأسد }([3])

---

[1] - أخرجه أبو داود - ك العلم - ب الحث على طلب العلم ، والترمذى - ك العلم - ب فضل العلم على العبادة ، من رواية أبى الدرداء ﷺ

[2] - أخرجه البخارى - ك الطب - ب ما يذكر فى الطاعون ، من رواية سعد بن أبى وقاص ﷺ

[3] - أخرجه البخارى - ك الطب - ب الجذام ، من رواية أبى هريرة ﷺ

ويؤكد هذا المعنى قوله ﷺ فى الحديث : { لا يوردَن مُمرِض على مُصح }[1]

وجاء رجل يسأل النبى ﷺ عن أرض فى بلادهم ينتشر بها الوباء.

فأمره النبى ﷺ بتركها والبعد عنها ، فقال فى الحديث : { دعها عنك }[2]

وعن أبى خزامة ﷺ قال : سألت رسول الله ﷺ قلت : يا رسول الله أرأيت رقى نسترقيها ودواء نتداوى به وتقاه نتقيها ، هل ترد من قدر الله شيئًا ؟ قال ﷺ : { هى من قدر الله }[3]

وعن عبد الله بن عباس ﷺ قال : { خرج عُمر بن الخطاب ﷺ إلى الشام فلقيه بعض أهلها فى الطريق فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشام.

فشاور عُمر ﷺ الصحابة ﷺ وعزم على الرجوع إلى المدينة ، فقال له أبو عبيدة بن الجراح ﷺ : أفرارًا من قدر الله ؟ فقال عُمر ﷺ : لو أن غيرك قالها يا أبا عبيدة ، نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله. أرأيت أن كانت لك أبل هبطت واديًا له عُدوتان إحداهما خصيبة والأخرى جدبة ، أليس إن رعيت الخصيبة رعيتها بقدر الله ، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله ؟

فقال عبد الرحمن بن عوف ﷺ : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إذا سمعتم به (يعنى الطاعون) بأرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه. قال : فحمد الله عُمر }[4]

فعلينا جميعًا أن نأخذ بكل أساب الوقاية من هذا الوباء ، وندعو الله ﷻ أن يحفظنا ويحفظ أبناءنا ، وأن يُعافينا ويعفو عنا ، إنه على كل شىء قدير وبالإجابة جدير ، نعم المولى ونعم النصير.

---

[1] - أخرجه البخارى - ك الطب - ب لا هامة ، من رواية أبى هريرة ﷺ

[2] - أخرجه أبو داود - ك الطب - ب الطيرة.

[3] - أخرجه الترمذى - ك الطب - ب فى الرقى والأدوية.

[4] - أخرجه البخارى - ك الطب - ب ما يذكر فى الطاعون -

الفصل الثالث

خُطب المُناسبات

١ـ هجرة بلا مُعجزات

٢ ـ العرب قبل البعثة

٣ ـ الشوق

٤ ـ المسجد الأقصى

٥ ـ دوام الذكر

هجرة بلا مُعجزات

مُقدمة :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ أما بعد ،،،

ففى ذكرى هجرة الحبيب المُصطفى ﷺ من مكة إلى المدينة المُنورة يطيب للكثير من المُتحدثين والواعظين أن يذكروا فى هذه المُناسبة الجليلة الكثير من الروايات التى يحسبونها مُعجزات حدثت فى رحلة الهجرة المُباركة.

مثال ذلك : رواية العنكبوت الذى نُسج على الغار ، والحمامة التى باضت على الغار أيضًا ، وغير ذلك من روايات يعُدونها من المُعجزات ، ويغفلون عن ذكر الوسائل والأسباب التى أخذ بها رسول الله ﷺ فى التخطيط لرحلة الهجرة لكى يُخفى أمرها عن المُشركين وتنجح الرحلة وتصل إلى مُبتغاها فى أمان وسلام.

المُعجزة :

وبداية نقول إن المُعجزة هى أمر خارق للعادة ، أعجز الناس أن يأتوا بمثله يُظهره الله ﷻ على يد نبى من أنبيائه تأييدًا لنبوته. ويُشترط فى المُعجزة :([1])

ـ أن تكون مقرونة بالتحدى ، فلا يأتى من يزعم أنه طار فى الهواء أو مشى على الماء دون أن يفعل ذلك بحضرة الناس ، ويتحداهم أن يفعلوا مثله.

ـ وجود السبب الذى يدفع الخصم إلى قبول التحدى ، فلا يأتى من يتحدانا فى اللعب واللهو ، فليس هذا مجال الجادين.

ـ انتفاء المانع الذى يمنع الخصم من قبول التحدى ، فالشاعر على سبيل المثال يتحدى أهل صنعته ، ولا يتحدى من ليس له باع فى الشعر.

مُعجزة القُرآن :

والقُرآن الكريم هو مُعجزة رسول الله ﷺ الخالدة ، وقد توافرت فيه شروط المُعجزة التى ذكرناها ، فتحدى الحق ﷻ البشر جميعًا من بعثة رسول الله ﷺ إلى

[1] ـ المعجم الوسيط ، أصول الفقه الإسلامى ـ د ٠ عبد المجيد مطلوب ص ٣٦

أن تقوم الساعة أن يأتوا بمثله ، قال ﷻ : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾(١)

وقد توافر مُقتدى قبول التحدى ، فأعداء الإسلام فى كل عصر وحين أحرص ما يكونون على تكذيب القُرآن ، وهدم الإسلام. كما لا يوجد مانع لديهم من قبول التحدى ، فقد نزل القُرآن بلسان العرب وهم أهل البلاغة والفصاحة ، ونزل القُرآن على مدى ثلاث وعشرين سنة ، لم يستطيعوا خلالها أن يأتوا بمثل سورة واحدة من القُرآن.

لكن المُشركين بعدما أعياهم تحدى القُرآن لهم طلبوا على سبيل الجدل والخصومة بالباطل مُعجزات مادية ، فأبى الحق ﷻ أن يستجيب لطلبهم ، وبين أنهم مهما تأتيهم من الآيات فلن يؤمنوا ، لأنهم جاحدون للحق المبين ، مُكابرون ومُعاندون لصراط الله المُستقيم. يقول ﷻ : ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ۝ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَـٰرَ خِلَـٰلَهَا تَفْجِيرًا ۝ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ۝ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَـٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾(٢)

بشر نقتدى ونتأسى به ﷺ ، فى عباداته وأخلاقه ومُعاملاته ليس بملاك ولا إله أو ابن إله ، قال ﷻ : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ... ﴾(٣)

ويقول ﷻ : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾(٤)

---

١ ـ الإسراء ـ ٨٨

٢ ـ الإسراء ـ ٩٠ : ٩٣

٣ ـ الكهف ـ ١١٠

٤ ـ الأحزاب ـ ٢١

الهجرة وخوارق العادات :

لكن الغريب والعجيب انتشار ثقافة الأمور الخارقة للعادات والتى نعُدُها من المُعجزات فى سيرة الحبيب المُصطفى ﷺ ، حتى وصل الأمر إلى أن الكثير من الناس يظنون أن الإسلام قد انتشر وانتصر وأقام دولته بهذه المُعجزات ، ونغفل عن أن رسول الله ﷺ بشر أمرنا الحق ﷻ أن نتأسى ونقتدى به.

فترتبط ذكرى هجرة المُصطفى ﷺ فى ثقافاتنا بخروجه ﷺ على فتيان قريش الذين اجتمعوا على قتله ﷺ ، وكيف أن الله ﷻ أعمى أبصارهم عن رسول الله ﷺ ، فخرج عليهم وهو يتلو سورة يس ، ويضع على رؤوسهم التراب.

ويربطون القصة بقوله ﷻ :

﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾(١)

والصحيح فى تفسير هذه الآية الكريمة أنها تعنى أن من اختار طريق الضلال والتكذيب والعناد أضله الله ﷻ ، وأعمى بصره عن الحق.

كما قال ﷻ : ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ﴾(٢)

أما قصة خروجه ﷺ على فتيان قريش فلم تثبت بسند صحيح ، كذلك قصة نسج العنكبوت على الغار ، أما قصة الحمامة التى باضت على الغار فلا أصل لها.(٣)

والغريب فى هذا الأمر أننا نتمسك بروايات ضعيفة أو لا أصل لها ونغفل عن الصحيح من سيرته ﷺ التى يتضح من خلالها أن النبى ﷺ من يوم بعثته إلى أن لحق بالرفيق الأعلى قد أخذ بسنن الله ﷻ فى الكون ، وتحصيل كل أسباب القوة مع التوكل والاعتماد على الله ﷻ فى سائر أموره وأحواله ، فلم يركن أبدًا إلى المُعجزات ولا لخوارق العادات بل كان يحتاط ويحذر فى كل الأمور ، على عكس ما يظنه الكثير من الناس الذين لا يعرفون من سيرته إلا ارتباطها بالمُعجزات.

---

١ - يس - ٩

٢ - مريم - ٧٥

٣ - راجع فقه السيرة للشيخ / محمد الغزالى - رحمه الله -

وهنا نتساءل كيف تتحقق إذًا الأسوة الحسنة ؟ وكيف نقتدى به ﷺ إذا كانت سيرته وما فيها من انتصارات ترتبط دائمًا بالمُعجزات ؟ !

الأخذ بالأسباب :

لقد بدأ النبى ﷺ دعوته سرًا ، فبدأ بأهل بيته وأخص صحابته ، وظلت الدعوة سرًا ثلاثة أعوام ، فلما جهر بالدعوة وتعرض هو وأصحابه للأذى أمر فريقًا منهم بالهجرة إلى الحبشة ، وكان ذلك فى السنة الخامسة من البعثة.

ولم يجلس النبى ﷺ حتى يأتيه الناس أفواجًا يدخلون الإسلام ، وإنما سلك كل سبيل لهداية قومه ، فلما ضاق به الحال فى مكة خرج إلى قبائل العرب المجاورين والبعيدين يدعوهم إلى الإسلام ، ومن ذلك خروجه إلى الطائف وحيدًا ليس معه من صاحب ولا رفيق ، فى رحلة شاقة تبلغ بمقاييسنا ما يقرب من خمسة وثمانين كيلو مترًا فى طُرق وعرة وجبال ومُرتفعات شاهقة ، وهى الرحلة التى أغروا فيها الصبيان والسفهاء بإيذائه ﷺ ، وقال فيها دعاءه المشهور :

{ اللهم إليك أشكو ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس ..... }[1]

ثم بدأ بعد رحلة الطائف دعوته لوفود الحجيج ، وفى السنة الحادية عشر للبعثة قابل وفدًا من أهل يثرب وعرض عليهم الإسلام فأسلموا ، وفى السنة التالية كانت بيعة العقبة الأولى ، وفى السنة التالية كانت بيعة العقبة الثانية ، وبعدها أمر النبى ﷺ أصحابه بالهجرة إلى المدينة بعدما ضاق بهم الحال فى مكة ، وكان ذلك بعد ثلاث عشرة سنة من البعثة.

ثم هاجر ﷺ مع أبى بكر الصديق ﷺ ، فكانت هجرته دروسًا فى الأخذ بالأسباب من إخفاء أمر الهجرة ، وإعداد راحلتين قويتين لتتحملا شدة السفر. واتخاذ دليلاً عليمًا بالطرق وما خفى منها ، والاختباء فى الغار ، إلى غير ذلك من أمور احتاط فيها النبى ﷺ حتى تتم الهجرة بسلام.

---

[1] - أخرجه الطبرانى من حديث عبد الله بن جعفر ﷺ (فيض القدير ج ٢ ص ١١٩)

وبعد استقراره ﷺ وصحابته ﷺ الذين هاجروا معه فى المدينة بدأ النبى ﷺ بتأسيس أول دولة فى تاريخ الإسلام ، فآخى بين المُهاجرين والأنصار ، وأصلح بين الأوس والخزرج ، وعاهد من لم يُسلم من أهل المدينة ، وكذلك اليهود الذين نقضوا عهدهم مع رسول الله ﷺ بعد ذلك.

وحث ﷺ أصحابه ﷺ كما أمر الحق ﷻ على العمل فى التجارة والزراعة ، حتى استطاعوا أن يكونوا أصحاب اليد العليا فى المدينة ، بعدما كان اليهود يُسيطرون على التجارة والأموال. واستقر الإيمان والإسلام فى القلوب فاجتهدوا فى تحصيل كل أسباب القوة والعزة والكرامة لينشروا دين الله ﷻ فى سائر ربوع الأرض ليُقيموا الحق والعدل ، ويُزهقوا الظُلم والباطل. قال ﷻ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾[1]

وتتجلى لنا سُنة ومبدأ الأخذ بالأسباب فى حروبه ﷺ مع المشركين لرد عدوانهم والسعى فى نشر الإسلام ، وما كانت رسالة الإسلام لتصل إلى الناس إلا بردع رؤوس الشرك الذى يأبون أن يكون الحق والعدل هو النظام الذى يقوم عليه الحُكم.

ففى غزوة بدر شاور النبى ﷺ أصحابه ﷺ فى أمر القتال ، وأرسل من يأتى له بأخبار المشركين ، ثم جهز النبى ﷺ الجيش وقسمه إلى ميمنة وميسرة وقلب وحدد من يكون بالمُقدمة ومن يتأخر ليحمى ظهر الجيش ، ولما اختار ﷺ أدنى ماء من بدر لينزلوا فيه ، جاءه الحباب بن المنذر ﷺ فأشار على رسول الله بمكان أخر فأخذه به ﷺ وقال : لقد أشرت بالرأى. ثم أمر بإنفاذه.[2]

وفى غزوة أحد حينما خالف الرماة أمر رسول الله ﷺ دارت الدائرة على المسلمين ، ولو انتصروا لما كان هناك قيمة لطاعة رسول الله ﷺ ولا معنى للأخذ بالأسباب ، ويتعجب بعض الصحابة ﷺ ، كيف نُهزم وفينا رسول الله ﷺ والوحى ينزل من السماء ؟ فينزل قوله ﷻ :

---

[1] - الصف - ٩

[2] - سيرة ابن هشام

﴿ أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(١)

وفى غزوة الأحزاب حينما علم النبى بصعوبة المواجهة مع جحافل المُشركين الذين اجتمعوا من كل صوب ومكان ، أخذ برأى سلمان ﷺ وحفر مع أصحابه ﷺ الخندق ، وارتد المُشركون خائبين خاسرين. قال ﷻ : ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾(٢)

إن النبى ﷺ لم يدعو ربه طلبًا للمُعجزات وخوارق العادات وإنما أخذ بكل ما يسر الله من الأسباب ، ولم يدع سبيلاً لتحصيل القوة إلا سلكه وحض عليه ، يأمر أصحابه ﷺ بالعلم والعمل وينهى عن الجهل والعجز والكسل ، وبعد أن يأخذ بكل الأسباب يتوكل على الله ﷻ ويلجأ إلى ربه بالدعاء والتضرع يطلب النصر والتأييد.

إن الحق لا بد له من قوة تُقيمه وتحميه ، قوة تأخذ على يد الظالمين والباغين وترد الحق إلى المظلومين ، قوة ترفع من شأن الصالحين والمُجدين وتردع الفاسدين واللاهين ، ولا يكون ذلك إلا بالأخذ بكل الأسباب التى يسرها لنا المولى ﷻ وعدم الاعتماد أو الركون على الأمور الخارقة للعادات ، أو دعاء الغافلين العاجزين ، فالله ﷻ لا يقبل إلا من الصالحين المُجدين المُجتهدين. قال ﷻ :

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّـٰلِحُونَ ۝ إِنَّ فِى هَـٰذَا لَبَلَـٰغًا لِّقَوْمٍ عَـٰبِدِينَ ﴾(٣)

الخُطبة الثانية :

من المفاهيم الغريبة التى رسخت فى عقول الكثير من الناس ارتباط القرب من الله ﷻ وأعلى درجاته منزلة الولاية بإتيان أمور خارقة للعادات.

---

١ ـ آل عمران ـ ١٦٥

٢ ـ الأحزاب ـ ٢٥

٣ ـ الأنبياء ـ ١٠٤ ، ١٠٥

وذلك أبعد ما يكون عن منهج الإسلام فى بناء الأمة ، والناظر فى كتاب الله ﷻ يجد الحديث عن الأولياء يرتبط بتقوى الله ﷻ. قال ﷻ : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾(١)

وقد بلغت بنا تلك المفاهيم البعيدة عن حقيقة الدين إلى ما حدث فى غزو الفرنسيين لمصر ، أواخر القرن الثامن عشر من الميلاد بقيادة نابليون ، حينما اجتمع العديد من رجال الدين فى الجامع الأزهر يقرءون صحيح البُخارى.

فماذا كانت النتيجة ؟ دخل نابليون بجنوده الأزهر بالخيول وقُتل الآلاف ممن كانوا يظنون أن القتال ما زال يعتمد على الفروسية والإقدام ، فإذا بهم يواجهون البنادق والمدافع التى تحصد العشرات ، بل المئات والآلاف.

ألفنا العجز والكسل ولجأنا للذكر والدعاء فأنى يستجيب الله لنا ولم نعد العدة لمُلاقاة أعدائنا ، قال ﷻ : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾(٢)

كان ذلك منذ أكثر من مائة عام ، أما الآن فللحروب سلاح آخر من صواريخ ، وطائرات ، ومُدمرات ، وقنابل عُنقودية ، وفوسفورية وذرية ، فماذا أعددنا لها ؟ الواقع يقول إننا مازلنا على عهدنا من الذكر والدعاء واقترانه بالعجز والكسل ، أما النشاط والهمة فلها عندنا ميادين أخرى من اللهو واللعب.

فى ختام الأمر يقول المُصطفى ﷺ :

{ تُوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها. قالوا : أومن قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ قال ﷺ : بل من كثرة ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من قلوب أعدائكم المهابة ، وليقذفن فى قلوبكم الوهن.

قالوا : وما الوهن يا رسول الله ﷺ ؟ قال ﷺ : حُب الدنيا ، وكراهية الموت }(٣)

---

١ ـ يونس ـ ٩٢ ، ٩٣

٢ ـ الأنفال ـ ٦٠

٣ ـ أخرجه أبو داود ـ ك الملاحم ـ ب تداعى الأمم ، وأحمد ج ٥ ص ٢٧٨ ، من رواية ثوبان ﷺ

أحوال العرب قبل بعثة المُصطفى ﷺ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ أما بعد ،،،

ففى هذه الأيام الطيبة تهل علينا ذكرى غالية عزيزة علينا جميعًا هى ذكرى ميلاد المُصطفى ﷺ ، ويطيب للكثير من المُتحدثين فى هذه المُناسبة أن يبدأوا حديثهم بذكر أحوال العرب قبل الإسلام ، فيستفيضون فى ذكر المثالب والعيوب والنقائص ، ولا يذكرون فضيلة أو خلقًا واحدًا طيبًا للعرب قبل الإسلام.

والأمر على هذا النحو يحتاج منا إلى وقفة نُراجع فيها ونُحقق هذا الأمر لنتبين مدى صحة ما يقال فى هذا الشأن من عدمه.(١)

عموم رسالة المُصطفى ﷺ :

وبداية نقول إن الأنبياء السابقين ـ عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى السلام ـ كانوا يُبعثون إلى أقوامهم خاصة ، وبعث المُصطفى ﷺ للناس كافة.

قال ﷻ : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾(٢)

وقال ﷻ : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾(٣)

ومعنى عموم رسالة المُصطفى ﷺ أن الله ﷻ اختار العرب دون سائر الأمم لحمل أمانة تبليغ ونشر رسالة الإسلام للعالم بأسره.

وهنا يثور سؤال ، هل اختار الله العرب لأنهم كانوا يعبدون الأصنام ، أو يشربون الخمر ، واعتادوا وأد البنات ، إلى غير ذلك من موبقات ؟ !

أم أن الله ﷻ اختار العرب دون سائر الأمم لحكمة علمها من وفقه الله ، وغابت عمن لا يذكر العرب قبل البعثة إلا بما ظنه من موبقات كانت مُتفشية بينهم.

---

١ ـ راجع دراسات فى السيرة النبوية للدكتور / محمد الطيب النجار ـ رحمة الله عليه ـ

٢ ـ الأنبياء ـ ١٠٧

٣ ـ سبأ ـ ٢٨

إذًا فنحن أمام رأيين ، الأول لا يعرف من أحوال العرب إلا المساوئ ويظن أن الله ﷻ بعث رسوله ﷺ ليُطهر العرب من تلك الفواحش والموبقات ، وهذا الرأى مردود عليه بأن الله لم يبعث رسوله ﷺ للعرب خاصة ، وإنما بعثه للناس كافة.

أما الرأى الآخر والذى نرى صحته فهو أن الله ﷻ كما اصطفى رسوله ﷺ على سائر الخلق ، اصطفى أيضًا العرب على سائر الأمم بحمل أمانة الدعوة إلى دين الإسلام ، ونشرها لكافة الناس فى سائر ربوع الأرض.

مساوئ العرب :

عبادة الأصنام :

فمن مساوئ العرب التى تُذكر فى هذا المقام أنهم كانوا يعبدون الأصنام وردًا على ذلك نقول إن عقائد سائر الأمم فى ذلك الزمان كانت فاسدة ، فمنهم من يعبد النار ، ومنهم من يعبد الشمس والقمر والبقر ، إلى غير ذلك من ضلالات عمت سائر الأمم ، لذلك قال المُصطفى ﷺ فى الحديث :

{ إن الله تعالى نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب ، وقال إنما بعثتُك لأبتليك وأبتلى بك ..... }(١)

كما إن العرب لم يعتقدوا أن هذه الأصنام هى التى خلقتهم ولكنهم كانوا يظنون أنها تُقربهم إلى الله ، قال ﷻ : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾(٢)

وقال ﷻ : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾(٣)

وأد البنات :

ومما يُذكر فى مساوئ العرب أنهم اعتادوا وأد البنات ، ويستدلون على ذلك

---

١ ـ أخرجه مسلم ـ ك الجنة وصفة نعيمها وأهلها ـ ح رقم ٥١٠٩

٢ ـ الزمر ـ ٣

٣ ـ العنكبوت ـ ٦١

بقول المولى ﷻ : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾(١)

والواقع أن هذه العادة السيئة لم تكن مُنتشرة فى سائر قبائل العرب وعددهم ثلاثمائة وستون قبيلة ، وإنما كانت فى قبيلتين فقط ، هما بنو تميم ، وبنو أسد ولو كانت هذه العادة مُنتشرة فى سائر قبائل العرب لما قامت لهم قائمة ، وكانت نهايتهم فى نحو قرن من الزمان ، فكيف تعيش أمة بلا إناث ؟!

شُرب الخمر :

ومن مساوئ العرب التى تُذكر أيضًا أنهم كانوا يشربون الخمر وهذا الأمر من المساوئ التى لا جدال فيها إذا كان هناك من الأمم من يحرمون على أنفسهم شرب الخمر ، ولكن الأمر على خلاف ذلك فلم يذكر التاريخ لنا أمة فى هذا العصر وذاك الزمان كانوا لا يشربون الخمر. فالحق أن نقول إن شرب الخمر رذيلة ولكن إن كانت فى سائر الأمم فلا تُعد نقيصة تُذكر فى أمة دون سائر الأمم.

تفشى الزنى فى العرب :

كذلك فمن موبقات العرب التى تُذكر تفشى رذيلة الزنى فيهم ، وهذه مقولة غير صحيحة على إطلاقها ، فالزنى كان بين الإماء فقط ، أما الحرائر فهن أبعد ما يكون عن تلك الجريمة ، ودليل ذلك حينما بايع المُصطفى ﷺ النساء ، كما أمره المولى ﷻ فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ ..... ﴾(٢)

فتعجبت هند زوجة أبى سفيان ، وقالت : { أو تزنى الحرة }

ومن أمثال العرب القديمة : { تجوع الحرة ولا تأكل بثديها }

---

١ ـ النحل ـ ٥٨ ، ٥٩

٢ ـ الممتحنة ـ ١٢

من فضائل العرب :

أما فضائل العرب فهى كثيرة ، بيد أن الخُطباء لا يذكرون شيئًا منها ، لظنهم أن فى ذكر مساوئ العرب مدحًا للإسلام الذى جاء ليُطهر العرب من تلك الرذائل.

الجود والكرم :

فمن فضائل العرب التى اشتهروا بها على سائر الأمم الجود والكرم ، وكان ذلك مسار فخر وتباه فيما بينهم ، وقد ذكر المولى ﷻ تلك الفضيلة فى كتابه الكريم ، ولكنه دعاهم لما هو أعظم وأولى من الفخر بالجود والكرم ، فقال ﷻ :

﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(١)

الشهامة والمروءة :

ومن فضائل العرب الشهامة والمروءة والمُسارعة فى نُصرة المظلوم ، ودليل ذلك من هدى رسول الله ﷺ ، حينما ذكر قصة الرجل الذى جاء إلى مكة بتجارة فاشتراها منه العاصى بن وائل ، ثم امتنع عن سداد حق الرجل فاستعدى عليه قبائل العرب ، فاجتمعوا فى دار عبد الله بن جُدعان. وتحالفوا ألا يجدوا فى مكة مظلومًا إلا قاموا معه وكانوا على من ظلمه حتى يرد الحق إلى صاحبه ، وسُمى هذا الحلف بحلف الفضول. فقال ﷺ : { لقد شهدت مع عمومتى حلفًا فى دار عبد الله بن جُدعان ما أحب أن لى به حُمر النعم ولو دعيت له فى الإسلام لأجبت }(٢)

أخلاق العرب :

ومما يدل على تحلى العرب قبل البعثة بمكارم الأخلاق أنهم كانوا يُلقبون المُصطفى ﷺ قبل بعثته بالصادق الأمين ، ومعنى ذلك أن الصدق والأمانة كانت عندهم من الفضائل ، على خلاف ما نراه هذه الأيام من فساد للأخلاق ، فيسخر الكثير من الناس من الموظف الأمين أو من يتمسك بالصدق فى كل وقت وحين.

---

١ ـ التوبة ـ ١٩

٢ ـ أخرجه أحمد فى مسنده ـ ج ١ ص ١٩٠ ، ١٩٣

معنى الجاهلية :

ومن الأمور الواجب توضيحها فى هذا المقام معنى الجاهلية ، فالكثير من الناس يظنون أن الجاهلية تعنى ما قبل الإسلام من عبادة للأصنام ، وغير ذلك من موبقات ، والصحيح أن الأمر لا يعنى ذلك مُطلقًا ، فالجاهلية كما ذكرها المولى ﷻ فى كتابه الكريم تعنى الخروج عن منهج الله ﷻ فى أى أمر من الأمور.

قال ﷻ : ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ۝ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾(١)

وذكر الحق ﷻ عن نبى الله يوسف عليه السلام قوله : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾(٢)

وقال ﷻ : ﴿ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾(٣)

كذلك فإن الله ﷻ لم يصف العرب فى كتابه الكريم بالجاهلية ، وإنما وصفهم بالأمية ، بمعنى أنهم أمة ليس لها كتاب ، ولا شريعة يهتدون بها.

قال ﷻ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾(٤)

وخلاصة القول أن الله ﷻ لم يبعث رسوله المُصطفى ﷺ بكتابه الكريم وقرآنه العظيم للعرب لأنهم كانوا يعبدون الأصنام أو يشربون الخمر أو غير ذلك من موبقات ، وإنما بعثه برسالة للناس كافة تُخرجهم من الظُلمات إلى النور وتهديهم إلى صراطه المُستقيم ، فاصطفى حبيبه ﷺ على سائر الخلق أجمعين ليُبلغ رسالته واصطفى العرب كذلك على سائر الأمم ليحملوا أمانة تبليغ تلك الرسالة الخاتمة.

---

١ ـ هود ـ ٤٥ ، ٤٦
٢ ـ يوسف ـ ٣٣
٣ ـ المائدة ـ ٥٠
٤ ـ الجمعة ـ ٢

الـشـوق

مُقدمة :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ، أما بعد ،،،

فالشوق نزوع النفس لما تُحب وتهوى ، تتمنى اللقاء وتستوحش البُعد والانقطاع. والشوق محله القلب ، يرغب ويتمنى ويتعلق بمن يُحب ويهوى.

والقلب إذا انشرح بالإسلام واطمئن بنور الإيمان وترقى فى أعلى منازل العبودية ومدارج السالكين ، اشتاق إلى كل ما يُحب ربه ويرضيه ، يتمنى الوصال ويستوحش البُعد والانقطاع ، لذلك فمن الدعاء المأثور عن الصالحين :

{ اللهم يا واصل المُنقطعين أوصلنا إليك }

الشوق إلى لقاء المولى ﷻ :

وأعلى منازل الشوق عند أولى المعارف والألباب الشوق إلى لقاء المولى ﷻ وقد ذكره الحق ﷻ فى قوله :

﴿ مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾(١)

وفى الحديث المُتفق على صحته ، يقول أسعد الخلق ﷺ :

{ من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه }(٢)

ومن دعائه ﷺ : { اللهم من آمن بك وشهد إنى رسولك فحبب إليه لقاءك وسهل عليه قضاءك }(٣)

ويذكر المولى ﷻ شوق كليمه موسى عليه السلام وسبقه لقومه بعد ما طال به الشوق إلى مُناجاة ربه والوقوف بين يديه ، فيسأله المولى ﷻ وهو به أعلم.

---

١ ـ العنكبوت ـ ٥

٢ ـ البخارى ـ ك الرقائق ـ ب من أحب لقاء الله ، مسلم ـ ك الذكر والدعاء ـ ب من أحب لقاء الله.

٣ ـ أخرجه ابن حبان فى صحيحه ـ ك الإيمان ـ ب فرض الإيمان ، من رواية فضالة بن عبيد رضي الله عنه

﴿ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴾(١)

قيل أخفى الشوق فى طلب الرضى حياءً من المولى ﷻ.

وشوق الأنبياء والصالحين للقاء ربهم لا يكون من شدة البلاء ، كما يحدث للكثير من ضعاف الإيمان ، فذلك أمر منهى عنه ، قال ﷺ :

{ لا يتمنى أحدكم الموت لضُر نزل به ، فإن كان ولا بد فاعلاً فليقل : اللهم أحينى ما كانت الحياة خيرًا لىِّ ، وتوفنى إذا كانت الوفاة خيرًا لىِّ }(٢)

وفى الأثر : لا يتمنى الموت إلا ثلاث ، جاهل بما بعد الموت ، أو فار من أقدار الله ﷻ ، أو مُشتاق مُحب للقاء الله ﷻ.

وهذا نبى الله يوسف عليه السلام تتابع عليه المصائب والشدائد ، فلم يتمنَّ الموت وإنما ظل صابرًا محتسبًا داعيًا إلى الله ﷻ ، فلما تمت له النعمة ووسد إليه الأمر وجمع الله ﷻ بينه وبين أهله ، تمنى لقاء ربه ﷻ ، فقال :

﴿ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾(٣)

وفى الأثر المروى عن رب العزة ﷻ :

{ طال شوق الأبرار إلى لقائى ، وأنا إلى لقائهم أشدُ شوقًا }

ومن دعاء الحبيب المُصطفى ﷺ :

{ اللهم إنى أسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم ، والشوق إلى لقائك }(٤)

---

١ ـ طه ـ ٨٣ ، ٨٤

٢ ـ متفق على صحته من رواية أنس ﷺ { البخارى ـ ك الدعوات ـ ب الدعاء بالموت والحياة ، مسلم ـ ك الذكر والدعاء ـ ب كراهية تمنى الموت }

٣ ـ يوسف ـ ١٠١

٤ ـ أخرجه النسائى ـ ك الدعاء بعد الذكر ـ ب ٦٢

وفى الأثر أن نبى الله إبراهيم عليه السلام لما جاءه ملك الموت يقبض روحه قال له : { أيقبض الخليل خليله } ، فعاد إليه ملك الموت يقول له :

{ أما اشتاق الخليل إلى لقاء خليله }

ولما حضرت الوفاة رسول الله ﷺ جاءه جبريل عليه السلام فقال : إن ملك الموت يستأذن فى الدخول عليك ، وما استأذن على أحد من قبلك ، ولا يستأذن على أحد من بعدك. فقال ﷺ : أذن له. فلما دخل ملك الموت سلم على رسول الله ﷺ وقال : إن الله ﷻ أرسلنى إليك فإن أمرتنى أن أقبض روحك قبضت ، وإن أمرتنى أن أترك تركت. فقال له رسول الله ﷺ : أتقول ذلك يا ملك الموت ؟ !

قال : نعم بذلك أُمرت. فنظر ﷺ لجبريل عليه السلام وكأنه يستشيره ، فقال له : يا رسول الله إن الله تعالى اشتاق إلى لقائك. فقال ﷺ لملك الموت : الآن فاقبض.(١)

الشوق إلى رسول الله ﷺ :

ومن شوق عباد الله الصالحين ، الشوق إلى الحبيب المُصطفى ﷺ وهذا كان حال صحابة رسول الله ﷺ ، كانوا يشتاقون إليه وهو بينهم. فكيف بنا ولم نر رسول الله ﷺ ، أما نشتاق إلى رؤيته ؟!

وتروى(٢) السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن رجلاً جاء لرسول الله ﷺ فقال :

يا رسول الله ﷺ إنك لأحب إلى من نفسى وأحب إلى من أهلى وولدى ، وإنى أكون فى البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك وإنى ذكرت موتى وموتك وعرفت أنك إذا دخلت الجنة رُفعت مع النبيين ، وإن دخلت أنا الجنة خشيت ألا أراك. فنزل قوله ﷻ : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴾(٣)

---

١ ـ أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ـ ك جماع أبواب مرضه ﷺ ووفاته ـ ب ما يؤثر فى مرضه وحال وفاته ﷺ والطبرانى فى معجمه الكبير ج ٣ ص ١٣٩ رقم ٢٨٩٠

٢ ـ أخرجه الطبرى بسند حسن (ابن كثير فى تفسير الآية)

٣ ـ النساء ـ ٦٩ ، ٧٠

وروى أن النبى ﷺ كان يخطب فيتكئ إلى جذع نخلة ، فقال رجل : يا رسول الله ﷺ ألا نجعل لك منبرًا ؟ فقال ﷺ : إن شئتم. فجعلوا له منبرًا. فلما كان يوم الجُمعة وصعد النبى ﷺ المنبر ، سُمع للجذع حنين وأنين كباء الصبى.

فنزل رسول الله ﷺ من على المنبر وضم الجذع إليه فسكن. فقال ﷺ : والذى نفسى بيده لو لم التزمه لظل يبكى إلى يوم القيامة ، ثم أُمر به فدفن.(١)

وفى سند الحديث الحسن البصرى ﷺ ، كان إذا روى الحديث قال : يا عباد الله الخشبة تحن شوقًا لرسول الله ﷺ ، أما تشتاقون أنتم للقائه ﷺ.

شوق إلى طاعة الله ﷻ :

ومن منازل الشوق أيضًا الشوق لطاعة المولى ﷻ ، قال ﷻ :

﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾(٢)

وفى الحديث يقول رسول الله ﷺ : { وجُعلت قرة عينى فى الصلاة }(٣)

وكان ﷺ يقول لبلال ﷺ : { أرحنا بها يا بلال } يعنى بذلك الصلاة.

مُناسبة قدوم شهر رمضان المُبارك :

وبعد أيام قليلة يهل علينا شهر كريم مُبارك ، شهر رمضان المُعظم ، بلغنا الله ﷻ أيامه الكريمة ولياليه العظيمة وأعاننا على صيامه وقيامه وأعاده علينا جميعًا بالخير والبركات ، وجعلنا الله ﷻ من رحمائه وعتقائه وأهل عفوه ومغفرته.

يقول أسعد الخلق ﷺ فى استقبال هذا الشهر الكريم : { أتاكم شهر رمضان شهر خير وبركة ، يغشاكم الله فيه فيُنزل الرحمة ، ويحط الخطايا ، ويستجيب الدعاء ، ينظر الله إلى تنافسكم فيه ويُباهى بكم ملائكته.

---

١ ـ أخرجه البخارى ـ ك المناقب ـ ب علامات النبوة ، ابن ماجة ك إقامة الصلاة ب ما جاء فى بدء شأن المنبر

٢ ـ الحجرات ـ ٧ ، ٨

٣ ـ أخرجه النسائى ـ ك عشرة النساء ـ ب حب النساء ، من رواية أنس ﷺ ، وأحمد ج ٣ ص ١٢٨ ، ١٩٩

فأروا الله من أنفسكم خيرًا ، فإن الشقى من حُرم رحمة الله ﷻ }(١)

ويقول أيضًا ﷺ : { إن لربكم فى أيام دهركم نفحات فتعرضوا لها ، لعل أن يُصيبكم نفحة منها فلا تشقون بعدها أبدا }(٢)

مُناسبة الحج :

وفى هذه الأيام المُباركة يتأهب الحجيج لأداء رُكن عظيم من أركان الإسلام فمنهم من يؤديه لأول مرة شوقًا إلى طاعة الله ﷻ ، مُلبين دعوة ربهم ﷻ :

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ۝ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴾(٣)

ومنهم من يعاود الحج مرة أخرى ، شوقًا وحنينًا إلى بيت الله الحرام تصديقًا لقوله ﷻ : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾(٤)

فى ختام الأمر يروى عبد الله بن مسعود ﷺ قال : { جاء رجل لرسول الله ﷺ فقال جئتك من مسيرة تسع ليال ، أسهرت فيها ليلى وأظمأت فيها نهارى ، جئت أسألك عن علامة الله فيمن يريد ومن لا يريد ؟ قال ﷺ : ما اسمك ؟ قال الرجل : زيد الخيل. قال ﷺ : بل زيد الخير.

---

١ ـ أخرجه الطبرانى فى الكبير من رواية عبادة بن الصامت (جمع الجوامع ج ١ ص ٨٨ ح رقم ٢١٦)

٢ ـ أخرجه الطبرانى فى الأوسط من رواية محمد بن سلمة ج ٢ رقم ٢٨٥٦ (فيض القدير ج ٢ ص ٥٠٥)

٣ ـ الحج ـ ٢٦ : ٢٨

٤ ـ البقرة ـ ١٢٥

ثم قال ﷺ : كيف أصبحت يا زيد ؟ قال الرجل : أصبحتُ أحبُ الخير وأهله وإن قدرت عليه سارعتُ إليه ، وإن فاتنى حزنتُ عليه وحننتُ إليه.

قال ﷺ : يا زيد تلك علامة الله فيمن يريد }([1])

الخُطبة الثانية :

الشوق من أجل وأعلى منازل الصالحين ، يشتاقون لطاعة ربهم ﷻ فى الدنيا ، ويشتاقون للقائه ﷻ فى الآخرة ، والحق ﷻ يشتاق إلى لقائهم ، وتشتاق الجنة لهم ، كما أخبر بذلك الحبيب المُصطفى ﷺ فقال :

{ إن الجنة تشتاق إلى ثلاثة ، على ، وعمار ، وسلمان }([2])

وروى فى الأثر : { إن بلال بن رباح ﷺ ترك المدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ وهاجر إلى الشام ، وبعد فترة رأى رسول الله ﷺ فى المنام يقول له : ما هذه الجفوة يا بلال ، أما آن لك أن تزورنى ؟

فاستيقظ من نومه حزينًا وركب راحلته وقصد المدينة ، فلما دخلها أتى قبر رسول الله ﷺ فجعل يبكى عنده ويمرغ وجهه عليه ويقول : ما جافيتك يا رسول الله ، ما جافيتك يا رسول الله.

فأقبل عليه الحسن والحُسين ـ رضى الله عنهما ـ فضمهما ، فقالا له : اشتقنا إلى آذانك يا بلال. فعلا سطح المسجد وأذن.

يقول الراوى : فلما قال الله أكبر أرتجت المدينة من جنباتها ، فلما قال أشهد أن لا إله إلا الله ، ازدادت المدينة رجة ، فلما قال أشهد أن محمد رسول الله خرجت العواتق من بيوتهن يقلن : بُعث رسول الله ﷺ بُعث رسول الله ﷺ.

فلم ير الناس أكثر بُكاًء بعد وفاة رسول الله ﷺ من هذا اليوم }([3])

---

[1] ـ أخرجه ابن عساكر وابن عدى { كنز العمال رقم ٣٠٨٠٩ }

[2] ـ أخرجه الترمذى من رواية أنس ﷺ ـ ك المناقب ـ ب مناقب سلمان الفارسى ﷺ

[3] ـ أخرجه ابن الأثير فى أسد الغابة ج ١ ص ٤١٧ فى ذكر بلال بن رباح ﷺ

المسجد الأقصى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ، أما بعد ،،،

ففى ذكرى رحلة الإسراء والمعراج المُباركة تمر بنا ذكريات ومعان كثيرة منها ما يُثير فى النفس الأمل والرجاء ، ومنها ما نجتر معها الآلام والأحزان.

وما بين تلك الذكريات والمعانى يطيب لنا أن نقف اليوم مع المسجد الأقصى الأسير فى أيدى الصهاينة ومن عاونهم ممن لا يُراعون لله حُرمة ، ولا يعرفون للحق فضيلة ، يستبيحون الدماء والأعراض ولا رادع لهم من أخلاق وحقوق يتشدقون بها ، حتى وصل بهم الفُجور لأن يتحدثوا عن حقوق ورعاية الحيوان وهم لا يعرفون للإنسانية كرامة ، ولا للحُقوق صيانة.

فضل المسجد الأقصى :

نتحدث اليوم عن المسجد الأقصى مهبط الأنبياء والمُرسلين ، ومُتعبد الأولياء الصالحين ، إليه أُسرى برسول الله ﷺ ، ومنه عُرج به إلى السماوات العُلا.

أولى القبلتين ، وثانى المسجدين ، وثالث الحرمين ، اختاره المولى ﷻ وفضله ورفع من شأنه وأعلى مكانته ومنزلته بين سائر بقاع الأرض.

قال ﷻ : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[1]

ومن المسجد الأقصى بعث الحق ﷻ الكثير من أنبيائه ورسله ـ عليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام ـ وحينما خُتمت النبوة بالحبيب المُصطفى ﷺ أراد المولى ﷻ أن يربط بين المسجد الحرام ، مبعث رسول الله ﷺ ، والمسجد الأقصى.

فأسرى الحق ﷻ برسوله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.

---

[1] ـ القصص ـ ٦٨

وصلى بالأنبياء إمامًا ، يقول ﷺ فى الحديث : { دخلت بيت المقدس فجُمع لى الأنبياء ـ عليهم الصلاة وأزكى السلام ـ فقدمنى جبريل عليه السلام حتى أممتهم }(١)

فكان ذلك تحقيقًا للعهد والميثاق الذى أخذه المولى ﷻ على جميع أنبيائه ورسله فى قوله ﷻ : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾(٢)

وقد ورد فى فضل بيت المقدس ، وفيه المسجد الأقصى ، آيات وأحاديث كثيرة فهو الأرض المُباركة التى نجّى الله ﷻ نبيه إبراهيم ، ونبيه ولوطًا ـ عليهما وعلى رسولنا أفضل الصلاة وأزكى السلام ـ

قال ﷻ : ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴾(٣)

وقال ﷻ : ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴾(٤)

وفى فضل المسجد الأقصى يقول رسول الله ﷺ : { لا تُشد الرحال إلا لثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ، ومسجدى هذا ، والمسجد الأقصى }(٥)

وفى فضل المسجد الأقصى أيضًا يقول ﷺ : { أرض المنشر والمحشر ائتوه فصلوا فيه ، فإن الصلاة فيه كألف صلاة فيما سواه }(٦)

المحشر والمنشر : منه يُنشر الناس ويُحشرون يوم القيامة للحساب.

---

١ ـ أخرجه النسائى من رواية أنس بن مالك ﷺ

٢ ـ آل عمران ـ ٨١ ، ٨٢

٣ ـ الأنبياء ـ ٧١

٤ ـ الأنبياء ـ ٨١

٥ ـ أخرجه البخارى ـ ك فضل الصلاة فى مسجد مكة والمدينة ، من رواية أبى هريرة ﷺ

٦ ـ أخرجه ابن ماجة ـ ك إقامة الصلاة ـ ب ما جاء فى الصلاة فى بيت المقدس ، وأحمد ـ ج ٦ ص ٤٦٣ من رواية ميمونة بنت سعد ـ رضى الله عنها ـ

وسأل أبو ذر ﷺ رسول الله ﷺ : أى مسجد وضع فى الأرض أول ؟

قال ﷺ : المسجد الحرام. قال أبو ذر ﷺ : ثم أى ؟

قال ﷺ : المسجد الأقصى. قال أبو ذر ﷺ : كم بينهما ؟

قال ﷺ : أربعون سنة. قال أبو ذر ﷺ : ثم أى ؟

قال ﷺ : ثم حينما أدركت الصلاة فصل فكُلها مسجد.([1])

ومن فضائل المسجد الأقصى يقول المُصطفى ﷺ فى الحديث :

{ إن سُليمان بن داود عليه السلام لما بنى بيت المقدس سأل الله ﷻ ثلاثًا : حكمًا يُصادف حُكمه ، وملكًا لا ينبغى لأحد من بعده ، وألا يأتيه أحد لا يُريد إلا الصلاة فيه إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه.

قال ﷺ : أما اثنتان فقد أُعطيهما ، وأرجو أن يكون قد أُعطى الثالثة }([2])

ويقول المُصطفى ﷺ فى فضل بيت المقدس والمسجد الأقصى :

{ لا تزال طائفة من أمتى على الدين ظاهرين ، لعدوهم قاهرين ، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم كذلك. قالوا : أين هم يا رسول الله ؟

قال ﷺ : ببيت المقدس وأكناف([3]) بيت المقدس }([4])

<u>سُنة الله ﷻ فى التغيير :</u>

ولبيت المقدس والمسجد الأقصى فى كتاب الله ﷻ مواقف أراد الله ﷻ أن يُبين لنا فيها كيف يتغير الحال من سعة إلى ضيق ، ومن عمار لخراب ، ولله ﷻ سُنن فى خلق لا تتبدل ولا تتغير ، قال ﷻ :

﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلاً ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلاً ﴾([5])

---

[1] ـ أخرجه البخارى ـ ك الأنبياء ـ ب ووهبنا لداود سليمان.

[2] ـ أخرجه ابن ماجة ـ ك إقامة الصلاة ـ ب ما جاء فى الصلاة فى بيت المقدس ، من رواية عبد الله بن عمرو ﷺ

[3] ـ جوانب أو أطراف

[4] ـ أخرجه ـ أحمد ج ٥ ص ٢٦٩ ، من رواية أبى أمامة الباهلى ﷺ

[5] ـ فاطر ـ ٤٣

فيقُص علينا القُرآن الكريم ما كان من شأن نبى الله العُزير عليه السلام الذى بعثه الله ﷻ بعد نبى الله سُليمان عليه السلام ، وبعد أن خرب ملوك فارس بيت المقدس وعاثوا فيه فسادًا ، فيتعجب من حاله ، يقول ﷻ :

﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(١)

ويقُص علينا المولى ﷻ فى كتابه الكريم أيضًا ما كان من أمر سبأ ، وكيف أغدق الله ﷻ عليهم من العطاء والنعم ، بيد أنهم أعرضوا عن شرع ربهم ودينه القويم ، فغير الله ﷻ أحوالهم ، يقول ﷻ :

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ۝ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ۝ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ۝ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ۝ فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾(٢)

وسبأ قبيلة من العرب سكنت اليمن فى الفترة ما بين نبى الله عيسى عليه السلام ورسول الله ﷺ. والعرم : المُدمر المُخرب ، والخمط : المُر الذى لا يُطاق ، والأثل : شجر بلا ثمر ، والقُرى التى باركنا فيها : بيت المقدس وما حوله من القُرى.

---

١ ـ البقرة ـ ٢٥٨

٢ ـ سبأ ـ ١٥ : ١٩

المسجد الأقصى الأسير :

كيف غير الله ﷻ أحوالنا من قوة إلى ضعف ، ومن عز إلى ذل ، وكيف أصبح بيت المقدس والمسجد الأقصى أسيرًا فى أيدى الصهاينة. إنها سُنة الله ﷻ فى خلقه التى لا تتبدل ولا تتغير. إن تمسكنا بكتاب الله ﷻ وشرعه ودينه واجتهدنا وجاهدنا فى تحصيل كل أسباب القوى والمنعة كان لنا النصر ، وإن شغلنا باللهو واللعب فليس لنا مكان فى عالم لا قيمة فيه إلا للأقوياء.

يقول ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾(١)

إن النصر والعزة والكرامة لا تكون إلا للمُجدين المُجتهدين الصالحين فبالصلاح والتقوى والأخذ بكل أسباب القوة يكون النصر والتمكين.

يقول المولى ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ۝ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴾(٢)

ويقول ﷻ أيضًا : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾(٣)

فى ختام الأمر يقول أسعد الخلق ﷺ : { توشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها. قالوا : أومن قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ قال ﷺ : بل من كثرة ، ولكنكم غُثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من قلوب أعدائكم المهابة وليقذفن فى قلوبكم الوهن. قالوا : وما الوهن يا رسول الله ﷺ ؟ قال ﷺ : حُب الدنيا ، وكراهية الموت }(٤)

---

١ ـ الرعد ـ ١١

٢ ـ الأنبياء ـ ١٠٥ ، ١٠٦

٣ ـ النور ـ ٥٥

٤ ـ أخرجه أبو داود ـ ك الملاحم ـ ب تداعى الأمم على الإسلام ، وأحمد ـ ج ٥ ص ٢٧٨ ، من رواية ثوبان ﷺ

دوام الذكر

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ أما بعد ،،،

فمن الأمور التى تسترعى النظر فى كتاب الله ﷻ ما ورد فى ختام آيات تُشير إلى تمام العبادات ، فإذا بها تدعونا وتأمرنا بذكر الله ﷻ ، وقد يتعجب المُتأمل من تلك الآيات ، فالعبادات فى حقيقتها ذكر لله ﷻ ، فهل يؤمر المؤمن بالذكر بعد تمام العبادات التى هى فى حقيقتها ذكر لله ﷻ ؟!

وبمعنى آخر هل ينتقل العبد من ذكر إلى ذكر ؟! وهل معنى ذلك أن يعيش العبد فى ذكر مُتواصل لله ﷻ. يقول ﷻ فى أعقاب ختام فريضة الصيام :

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[1]

وفى الصلاة يقول ﷻ : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[2]

وبعد تمام فريضة الحج يقول ﷻ : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾[3]

فى أعقاب الصلاة ذكر ، وبعد تمام الصيام والحج ذكر ، فليس الذكر فى العبادات وحسب ، إنما الذكر هو حال المؤمن دائمًا وأبدًا. يعيش فى ذكر مُتواصل ويحيا فى معية الله ﷻ بلا انقطاع. وبهذا المعنى يتضح أن الذكر لا يُقصد به ذكر اللسان ، وإن كان نوعًا من أنواع الذكر ، فحقيقة الذكر أنه حياة كاملة يحياها المؤمن فى معية الله ﷻ ، مُستحضرًا عظمته ﷻ.

فى حضارات أخرى يقولون : دع ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله.

---

[1] ـ البقرة ـ ١٨٥

[2] ـ الجمعة ـ ١٠

[3] ـ البقرة ـ ٢٠٠

ومن سخف ما يقال فى الأمثال : " ساعة لقلبك وساعة لربك "

بيد أن الإسلام يجعل من حياة المؤمن ذكرًا دائمًا مُتصلاً بالله ﷻ.

يتفكر فى خلق الله ﷻ وينظر ويتأمل ، ففى ذلك ذكر لله ﷻ. ويعمل بطاعة الله ﷻ فى كل ما أمر وينتهى عما نهى عنه ، فذلك ذكر لله ﷻ. ويُقيم فرائضه ولا يغفل عن النوافل والسنن ، فهذا ذكر لله ﷻ. يجد ويجتهد ويسعى فى طلب الرزق أو تحصيل العلم ، فهو فى ذكر لله ﷻ وفى معية مولاه.

فللسان ذكر ، وللنظر ذكر ، وللصمت ذكر بالتأمل فى عظمة الله ﷻ وقدرته. ولكل جارحة ذكر ، كما قال ﷺ فى الحديث القدسى مُبينًا حال من بلغ منزلة حُب الله ﷻ له : { فإن أحببته ، كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، وإن سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيذنه }([1])

الكثير من الناس يظن أن الذكر هو ترديد اللسان لأذكار معينة من تسبيح أو تحميد أو تكبير ، وكلما زاد العدد زاد الأجر والثواب ، وصنعوا لذلك مسابح بها عدادات حتى يُحصى الذاكر كم ألف مرة ردد هذا الذكر ، وفى الكثير من الأحيان يكون العقل والقلب فى غفلة عما يردده اللسان ، حتى قيل فى الأثر : " إن استغفارنا يحتاج إلى استغفار" وربما تجد الكثير ممن يحرصون على تلك الأذكار أجهل الناس بحقائق الدين ، وربما أكسل الناس عن أداء أعمال نافعة هى واجبة الأداء عليهم ، وفريضة سيُسألون ويُحاسبون عليها يوم القيامة.

إن الطامة الكبرى فيمن أوعز للناس أن هناك عملاً للآخرة وعملاً للدنيا ، وأن عمل الآخرة من عبادات وأذكار تجرى على اللسان هو ما سيؤجر عليه المرء يوم القيامة ، أما عمل الدنيا من سعى فى طلب الرزق والعلم ، وغير ذلك فلا أجر له عند الله ﷻ ، وذلك اعتقاد خاطئ وفاسد ، فالله ﷻ كما أمرنا بالصلاة والصيام أمرنا أيضًا بالسعى فى طلب العلم والرزق ، وكُل ما فيه نفع ومصلحة لنا وللمُجتمع بأسره.

---

[1] - أخرجه البخارى - ك الرقائق - ب التواضع ، من حديث أبى هريرة ﷺ

قال ﷻ : ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾[1]

أمرنا الله ﷻ أن نُعمر الأرض ونأخذ بكل أسباب القوة والعزة والكرامة حتى يُمَكن لنا فى الأرض ، ونكون بذلك خير داعين لدين الله ﷻ ، نُقيم الحق والعدل فى مشارق الأرض ومغاربها.

قال ﷻ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾[2]

دين الله ﷻ لا يُقيمه ولا يُظهره ولا ينشره العجزة ، ولا الكسالى ، ولا من يتسولون المنح والمعونات ، وإنما ينشره الأقوياء الأعزاء.

السعى فى طلب الرزق :

فالسعى فى طلب الرزق هو ذكر لله ﷻ ، فما خلقنا الله ﷻ فى الدنيا لنأكل ما يزرعه غيرنا ، ونلبس ما يصنعه أعداؤنا ، ونتمتع بأحدث ما ينتجه من لا يعرف لهذا الكون ربًا ولا خالقًا.

إن الله ﷻ يُقرن بين السعى فى طلب الرزق والجهاد فى سبيل الله ﷻ فيقول ﴿ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾[3]

ورسول الله ﷺ يؤكد على أن السعى فى طلب الرزق ذكر وجهاد فى سبيل الله ﷻ.

فيروى كعب بن عُجرة ﷺ قال : { مر على النبى ﷺ رجل ، فرأى أصحاب رسول الله ﷺ من جلده ونشاطه ، فقالوا : يا رسول الله لو كان هذا فى سبيل الله ؟ فقال ﷺ : إن كان خرج يسعى على ولده صغارًا فهو فى سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله.

---

[1] ـ هود ـ ٦١

[2] ـ الصف ـ ٩

[3] ـ المزمل ـ ٢٠

وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو فى سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى رياًء ومُفاخرة فهو فى سبيل الشيطان }([1])

إن الأجر والثواب والرحمة والمغفرة لا تتنزل على العجزة والكسالى ، وإن رددوا ليل نهار كلمات يظنون أنها ذكر ، وإنما تتنزل على المُجدين المُجتهدين الذين ينفعون أنفسهم وغيرهم وبهم يصلح المُجتمع ويعلوا شأن الأمة بأسرها.

وفى ذلك يقول ﷺ : { إن الله يُحب المؤمن المُحترف }([2])

والمُحترف : صاحب الحرفة أو المهنة ، يُحب الصانع ، والزارع ، والتاجر والعالم ، والمُتعلم ، يُحب الطبيب الذى يجد ويجتهد فى علاج المرض ، والمُدرس الذى يُربى ويُعلم النشء بجد وإخلاص.

ويقول أيضًا ﷺ : { من أمسى كالاً من عمل يده أمسى مغفورًا له }([3])

وفى فضل التجارة يقول ﷺ :

{ التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء }([4])

ويقول ﷺ أيضًا : { رحم الله عبدًا سمحًا إذا باع ، سمحًا إذا اشترى ، سمحًا إذا اقتضى }([5])

وفى فضل الزراعة يقول ﷺ : { ما من مسلم يغرس غرسًا أو يزرع زرعًا فيأكل منه إنسان ، أو دابة ، أو طير ، إلا كان له به صدقة }([6])

ويقول أيضًا ﷺ : { إن قامت على أحدكم القيامة وفى يده فسيلة فليغرسها }([7])

---

[1] - أخرجه الطبرانى فى الكبير - ج ١٩ ص ١٢٩ - ح رقم ٢٨٢

[2] - أخرجه البيهقى فى الشعب من رواية ابن عمر ﷺ ج ٢ ص ٤٤١ حديث رقم ١١٨١ الشعبة رقم (١٣) التوكل

[3] - أخرجه الطبرانى فى الأوسط ، من رواية السيدة عائشة رضى الله عنها ج ٧ ص ٢٨٩ ح رقم ٧٥٢٠

[4] - أخرجه الترمذى - ك البيوع - ب ما جاء فى التجارة ، وصححه الحاكم ك البيوع من رواية أبى سعيد الخدرى ﷺ

[5] - أخرجه البخارى من رواية جابر بن عبد الله ﷺ - ك البيوع - ب السهولة والسماحة فى الشراء والبيع.

[6] - أخرجه البخارى - ك الحرث والمزارعة - ب فضل الزرع والغرس ، مسلم - ك المسقاة - ب فضل الغرس والزرع ، من رواية أنس ﷺ

[7] - أخرجه أحمد من رواية أنس بن مالك ﷺ - ج ٣ ص ١٨٤ ، ١٩١

فضل العلم والعُلماء :

والطالب الذى يجد ويجتهد فى دراسته ليتفوق ويتبوأ مكانًا مرموقًا ينفع الناس بعلمه إن كان طبيبًا أو مُهندسًا أو غير ذلك هو فى ذكر وجهاد وفى معية الحق ﷻ.

يقول ﷺ : { من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع ، وإن العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض حتى الحيتان فى الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، وإن العُلماء ورثة الأنبياء ، إن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر }(١)

والمُعلم الذى يبذل العلم ولا يُلجئ الطلبة للدروس الخصوصية التى تُرهق الأسر ، هو فى ذكر دائم ما كان فى عمله ، قال ﷺ : { علماء هذه الأمة رجلان : ـ فذكر منهم ـ رجل آتاه الله علمًا فبذله للناس ، ولم يأخذ عليه طمعًا ، ولم يشتر به ثمنًا ، فذلك تستغفر له حيتان البحر ، ودواب البر ، والطير فى جو السماء }(٢)

تعهد الرجل والمرأة لبيتهما :

وتعهد الرجل لأبنائه بالنفقة والتربية الحسنة والأخلاق الطيبة فريضة يُسأل ويُحاسب عليها يوم القيامة ، فإن أداها كان له أعظم الأجر والثواب. قال ﷻ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾(٣)

يقول أسعد الخلق ﷺ : { إذا أنفق الرجل على أهله نفقة وهو يحتسبها ، كانت له بها صدقة }(٤)

---

١ ـ أخرجه أبو داود ـ ك العلم ـ ب الحث على طلب العلم ، والترمذى ـ ك العلم ـ ب فضل الفقه على العبادة ، من رواية أبى الدرداء ﷺ

٢ ـ أخرجه الطبرانى في الأوسط ـ من رواية ابن عباس ﷺ ج ٦ ص ١٦١ برقم ٧١٨٧

٣ ـ التحريم ـ ٦

٤ ـ أخرجه البخارى ـ ك الإيمان ـ ب الأعمال بالنية والحسبة ، من رواية ابن مسعود ﷺ

وفى رعاية المرأة لبيتها أعظم الأجر ، وفى ذلك يروى ابن عباس ﷺ قال :

{ جاءت امرأة إلى النبى ﷺ فقالت : يا رسول الله أنا وافدة النساء إليك ، هذا الجهاد كتبه الله على الرجال ، فإن يُصيبوا أُجروا ، وإن قُتلوا كانوا أحياًء عند ربهم يُرزقون ، ونحن معشر النساء نقوم عليهم ، فما لنا من ذلك ؟

قال ﷺ : أبلغى من لقيتِ من النساء أن طاعة الزوج ، واعترافًا بحقه يعدل ذلك ، وقليل منكن من يفعله }(١)

أبواب الخير :

إن أبواب الخير كثيرة ، والأعمال الطيبة التى يُحبها الله ورسوله لا حدود لها وكلها تُعد ذكرًا لله ﷻ ، بل من أعظم الذكر ، ذكر ينتفع به المُجتمع بأسره.

وفى ذلك يقول رسول الله ﷺ : { كل سُلامى من الناس عليه صدقة ، كُل يوم تطلع فيه الشمس ، يعدل بين الاثنين صدقة ، ويُعين الرجل فى دابته فيحمله عليها أو يرفع له عليها متاعه صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة ، وبكل خطوة يمشيها إلى الصلاة صدقة ، ويُميط الأذى عن الطريق صدقة }(٢)

وفى الكثير من الأحاديث يبين لنا رسول الله ﷺ أن كُل معروف وكُل خير تُقدمه للناس لك به صدقة ، من إعانة المُحتاج ، والوقوف مع المظلوم ، والتيسير على الناس ، وإرشاد من ضل الطريق ، وغير ذلك من أبواب الخير ، حتى قال ﷺ :

{ لا تُحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق }

وفى رواية : { وتبسُمك فى وجه أخيك صدقة }(٣)

فى ختام الأمر يقول ﷺ : { ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ؟ قالوا بلى يا رسول الله. قال ﷺ : إصلاح ذات البين ، فإن فساد ذات البين هى الحالقة ، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين }(٤)

---

١ ـ أخرجه البزار ـ ج ١١ ص ٣٧٧ رقم ٥٢٠٩ (المنذرى ـ ك النكاح ـ ب ترغيب الزوج فى الوفاء .....)

٢ ـ متفق على صحتها من رواية أبى هريرة ﷺ { البخارى ـ ك الجهاد والسير ـ ب من أخذ بالركاب ، مسلم ـ ك الزكاة ـ ب اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف } سلامى : عظمة أو مفصل.

٣ ـ أخرجهما مسلم ـ ك الأدب ـ ب الترغيب فى طلاقة الوجه.

٤ ـ أخرجه الترمذى بسند صحيح من رواية أبى الدرداء ﷺ ـ ك القيامة والرقائق والورع ـ ب رقم ٥٦

الفصل الرابع

خُطب مُتنوعة

١ ـ خير الأمم

٢ ـ فتنة الأذى

٣ ـ حقيقة الإرهاب

٤ ـ الفرح

٥ ـ الحُزن

خـيـر الأمـم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ أما بعد ،،،

ففى الأمم والنُظم التى يسودها الحق والعدل يتولى المناصب والدرجات العالية من هم أهل لتلك المناصب ، فقبل الاختيار يجب أن تُقدم تقارير وافية عن المُرشح لمنصب كبير ، تشمل مؤهلاته العلمية والعملية ، ومدى أمانته وجده وجُهده وحرصه فى العمل ، فإذا ما عُين فى الوظيفة المُرشح لها فيجب أن تتم مُتابعة عمله للوقوف على مدى نجاحه وكفاءته فى المنصب الذى وكل له ، حتى يتقرر مدى أحقيته فى الاستمرار فى المنصب ، أو نقله لوظيفة أخرى.

هذا مثل ولله ﷻ المثل الأعلى ، فالله ﷻ يصطفى من خلقه ما يشاء بعلمه وبعدله وبحكمته. قال ﷻ :

﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ﴾(١)

يصطفى من الملائكة والناس رسلاً ، ويصطفى من الأيام والليالى والشهور والأماكن ما يشاء ، ويصطفى من الأمم أيضًا فيُرسل إليهم أنبياءه ورسله ـ عليهم جميعًا أفضل الصلاة وأزكى السلام ـ ويُحملهم أمانة رسالته ﷻ ، رسالة الخالق للمخلوقين ، رسالة الحق والعدل للناس أجمعين ، فإن أدوا الأمانة وتحملوا مشقة تبليغ الرسالة فهم خير الأمم وأقربها لله ﷻ ، وإن حادوا عن صراط الله المُستقيم وشرعه القويم فلا خير فيهم ولا فضل لهم.

والحق ﷻ يقص علينا فى كتابه الكريم وقُرآنه العظيم ما كان من شأن بنى إسرائيل حينما فضلهم الله ﷻ على الأمم فى زمانهم ووقتهم. يقول ﷻ :

﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾(٢)

---

١ ـ الحج ـ ٧٥

٢ ـ البقرة ـ ٤٧

ثم يؤكد الحق ﷻ فى الآية التالية ما يستلزمه ويوجبه هذا التفضيل فيقول ﷻ :

﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾(١)

وسبب تفضيلهم أنهم صبروا على ما تعرضوا له من العذاب والأذى من فرعون وقومه ، بعدما آمنوا بنبى الله موسى عليه السلام ، فيذكر المولى ﷻ طرفًا من حوارهم مع نبى الله موسى عليه السلام. يقول ﷻ : ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ۝ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴾(٢)

استخلفهم الله ﷻ وفضلهم على سائر الأمم فى عصرهم وزمانهم لما صبروا وتمسكوا باتباع نبيه ورسولهم عليه السلام ، ولكنه استخلاف وتفضيل بما يعنى الاختبار والامتحان والتمحيص.

بيد أن بنى إسرائيل غفلوا عن هذه الحقيقة الواضحة الجلية ، وظنوا أن التفضيل هو ميراث يتوارثه الأبناء عن الآباء ، والآباء عن الأجداد ، فلم يلتزموا بطريق الله ﷻ المُستقيم ولا بشرعه القويم وزعموا أنهم فى منأى من عذاب الله ﷻ فهم شعبه المُختار وأصفياؤه الأبرار ، فبين الحق ﷻ كذب ادعائهم وزيف اعتقادهم فقال ﷻ : ﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدٗا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾(٣)

---

١ ـ البقرة ـ ٤٨

٢ ـ الأعراف ـ ١٢٨ ، ١٢٩

٣ ـ البقرة ـ ٨٠ : ٨٢

واستمر بنو إسرائيل فى عنادهم وبغيهم وطُغيانهم حتى باءوا بغضب من المولى ﷻ واستحقوا لعنته. قال ﷻ : ﴿ ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴾(١)

إنها سُنة الله ﷻ فى خلقه التى لا تتبدل ولا تتغير ، قال ﷻ :

﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلٗا ﴾(٢)

الحق ﷻ يقص علينا من أحوال الأمم السابق ما يؤكد لنا على تلك الحقيقة الثابتة ، والسُنة الواضحة فيقول ﷻ : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴾(٣)

ويذكر ﷻ ما كان من أمر أهل سبأ فيقول ﷻ : ﴿ لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ ۝ فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ ذَوَاتَيۡ أُكُلٍ خَمۡطٖ وَأَثۡلٖ وَشَيۡءٖ مِّن سِدۡرٖ قَلِيلٖ ۝ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ﴾(٤)

ثم اصطفى المولى ﷻ العرب على سائر الأمم ببعثة المُصطفى ﷺ وبرسالته للخلق أجمعين ، وأكد لنا فى كتابه الكريم سُنته ﷺ ومنهجه فى التفضيل ، فقال ﷻ :

---

١ ـ آل عمران ـ ١١٢

٢ ـ فاطر ـ ٤٣

٣ ـ النحل ـ ١٢

٤ ـ سبأ ـ ١٥ : ١٧

﴿ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لِنَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴾(١)

إن الحق ﷻ يبين لنا مآل الأمم السابقة الذين أعرضوا عن طاعة الله ﷻ ولم يعملوا بشرعه ومنهاجه. ثم يبين لنا أن الاستخلاف والتفضيل والتكريم ببعثة المُصطفى ﷺ وبكتابه الكريم وقُرآنه العظيم يستوجب التمسك بشرع الله ﷻ وسُنة رسوله ﷺ ، حتى نكون بحق خير أُمة أُخرجت للناس. وهذا ما يؤكده المولى ﷻ فى قوله ﷻ : ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾(٢)

يقول عُمر بن الخطاب ﷺ فى الأثر المروى عنه : " من سره أن يكون من هذه الأمة فليؤد شرط الله فيها "(٣)

فالأمر بالمعروف والنهى عن المُنكر من شروط خيرية الأمة.

يقول ﷺ فى الحديث : { والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المُنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذابًا منه ثم تدعونه فلا يُستجاب لكم }(٤)

كذلك إقامة الحق والعدل ومُحاربة الفساد والظلم.

وفى الحديث يقول رسول الله ﷺ : { يا معشر المُهاجرين خصال خمس إذا ابتليتم بهن ، وأعوذ بالله أن تُدركوهن : لم تظهر الفاحشة فى قوم حتى يُعلنوا بها إلا فشا فيهم الأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم.

---

١ ـ يونس ـ ١٣ ، ١٤

٢ ـ آل عمران ـ ١١٠

٣ ـ ابن كثير ـ فى تفسير الآية ـ

٤ ـ أخرجه الترمذى ـ ك الفتن ب ما جاء فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، من رواية حذيفة ﷺ

- **ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أُخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان.**
- **ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا مُنعوا القطر من السماء ، ولولا البهائم لم يُمطروا.**
- **ولم ينقضوا عهد الله ورسوله إلا سلط الله عليهم عدوًا من غيرهم فيأخذوا بعض ما فى أيديهم.**
- **وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله تعالى ، ويتخيروا فيما أنزل الله ، إلا جعل الله بأسهم بينهم }([1])**

إن الخيرية والتفضيل يستوجب الجد والاجتهاد والعمل الصالح الذى تستحق معه الأُمة التمكين فى الأرض.

قال ﷻ : ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾([2])

وقال ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ۝ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴾([3])

الله ﷻ يُمكن للصالحين الجادين المُجدين ، ولا يُبالى باللاهين الغافلين الذين يستجدون المنح والمعونات ، والذين يستوردون غذاءهم ، ولباسهم وسلاحهم ، وسائر حاجاتهم من غيرهم.

فأى خير فى أمثال هؤلاء الذين يعيشون عالة على مُجتمعات جدت واجتهدت وامتلكت كل أسباب القوى ، فصارت الريادة لهم ، والحسرة والندامة لنا ، ندعى الخيرية ونحن أبعد ما نكون عن حقيقتها.

---

[1] - أخرجه ابن ماجة - ك الفتن - ب العقوبات ، وصححه الحاكم من رواية ابن عمر ﷺ ج ٤ ص ٥٨٣

[2] - الحج - ٤١

[3] - الأنبياء - ١٠٥ ، ١٠٦

الخُطبة الثانية :

فى أعقاب غزوة بدر الكبرى اختلف الصحابة ﷺ فى أمر الغنائم ، فبعض من جمع الغنائم أرادوا أن يستأثروا بها ، وبعض من واصل القتال أرادوا أن يأخذوا نصيبًا أكبر ، وكذلك من أحدقوا برسول الله ﷺ. فنزل قوله ﷻ :

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(١)

فقسمها النبى ﷺ بينهم بالسوية.

أهل بدر الذين جاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ﷻ وزكاهم المولى فى كتابه الكريم ، وقال فيهم المُصطفى ﷺ : لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم. ينزل القُرآن يقول لهم : ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

نعم ، إن المبدأ لا يتجزأ وأهل الفضل والدرجات العالية هم أهل الحقائق واليقين والرضا بحكم الله وقضائه. ثم تأتى الآيات التالية تُعدد بعضًا من حقائق الإيمان.

يقول ﷻ : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾(٢)

إن الفضل والخيرية ليست ميراثًا يتوارثه الأبناء عن الآباء ، والآباء عن الأجداد ، وإنما جد واجتهاد وعمل دؤوب لأُمة تطلب المجد والعزة والكرامة ليُصبحوا حقًا حملة مشاعل النور والهداية للبشرية جمعاء.

---

١ ـ الأنفال ـ ١

٢ ـ الأنفال ـ ٢ : ٤

فتنة الأذى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ، أما بعد ،،،

فالأذى ضرر يأباه الإنسان ويتألم منه ويجتهد فى دفعه عن نفسه ، وإن عجز عن دفع الأذى فيصبر ويحتسب ، لعل الله أن يُفرج عنه ما ألم به ، ويأجره على صبره واحتسابه. ولا تخلو الحياة من الأذى فى كل وقت وحين ، فالإنسان بين أمرين إما أن يتعرض للأذى من الناس ، وإما أن يؤذى غيره ، فلا يظن عاقل بأنه فى مأمن من أذى الناس ، مهما بلغ من الحرص فلن يسلم من الأذى.

الله ﷻ :

وكيف تسلم من أذى الناس والله ﷻ الذى خلقنا ورزقنا ويُميتنا ويُحيينا لم يسلم من أذى خلقه ، فماذا قال هذا المخلوق الضعيف فى حق ربه وخالقه.

يقول ﷻ : ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾(١)

وجعلوا له شركاء ونسبوا له صاحبة وولد ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ۝ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾(٢)

أمر غريب وعجيب ، خلقهم وخرقوا له شركاء. يقول ﷻ فى الحديث القدسى : { إنى والإنس والجن فى نبأ عظيم أخلق ويُعبد غيرى أرزق ويُشكر سواى }(٣)

وفى الحديث المُتفق على صحته يقول الحبيب المُصطفى ﷺ : { ما من أحد أصبرُ على أذى سمعه من الله تعالى ، يدعون له الولد ثم يُعافيهم ويُرزقهم }(٤)

---

١ ـ آل عمران ـ ١٨١

٢ ـ الأنعام ـ ١٠٠ ، ١٠١

٣ ـ أخرجه البيهقى فى الشعب ـ ش ٣٣ ـ الشكر ـ ح رقم ٤٥٦٣ ـ ج ٤ ص ١٣٤

٤ ـ البخارى ـ ك التوحيد ـ ب ٣ ، مسلم ـ ك المنافقين ـ ب ٤٩ ، من رواية أبى موسى الأشعرى ﷺ

المُصطفى ﷺ :

والحق ﷻ يقص علينا فى كتابه الكريم من قصص أنبيائه ورسله الذين اصطفاهم على خلقه أجمعين فلا تخلو قصة نبى مع قومه من الأذى. قال ﷻ :

﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾(١)

حتى المُصطفى ﷺ سيد الأولين والآخرين لم يسلم من أذى قومه ، فاتهموه بالسحر والجنون والكهانة والكذب ، ولم يقف الأمر عند أذى القول ، بل تعدى ذلك إلى الأفعال ، حتى أغروا به السفهاء فألقوه بالحجارة حتى أدموا قدميه الشريفتين ، وقال ﷺ فى ذلك دعاءه المشهور :

{ اللهم إليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس. يا أرحم الراحمين. إلى من تكلنى ؟ إلى عدو يتجهمنى ؟ أم إلى قريب ملكته أمرى ؟ إن لم يكن بك غضب على فلا أبالى. غير أن عافيتك هى أوسع لى. أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن تُحل على غضبك أو تُنزل على سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك }(٢)

بيد أن الله يأمر رسوله ﷺ بألا يلتفت ولا يعبأ بهؤلاء السفهاء ، لا بأقوالهم ولا بأفعالهم. يقول ﷻ : ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾(٣)

ويقول ﷻ : ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾(٤)

توكل على الله ﷻ فيما أمرك به من تبليغ رسالته وإقامة دينه وشرعه فى أُمة تكون خير الأُمم ، فتنشر رسالة الحق والعدل للناس أجمعين فى مشارق الأرض ومغاربها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

---

١ ـ الأنعام ـ ٣٤

٢ ـ أخرجه الطبرانى من رواية عبد الله بن جعفر ﷺ (فيض القدير ج ٢ ص ١١٩)

٣ ـ يونس ـ ٦٥

٤ ـ الأحزاب ـ ٤٨

إن أصحاب الرسالات العظيمة والمقامات الرفيعة لا وقت ولا جهد عندهم يصرفونه فى الرد على هؤلاء السُفهاء الضالين المُضلين.

بل إن الله ﷻ يُقرن بين ما يتعرض له رسوله ﷺ من الأذى وبين مقامه الكريم الشريف العظيم عند ربه ﷻ وخالقه ، فالأذى لا يُنقص من قدر من يُؤذى شيئًا ، وإنما يعلوا ويرتفع بإعراضه وصبره وشغله بما أمره الله ﷻ به.

يقول ﷻ : ﴿ نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ۝ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾(١)

ويقول ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴾(٢)

تارة يذكر الأذى ثم يعقبه بالمنزلة العالية ، وتارة يذكر المنزلة ثم يعقبها بالأذى ، كل ذلك ليؤكد لنا أن الأذى لا يُنقص من قدر من يتعرض له شيئًا.

وبعد أن يذكر الحق دعاء أولى الألباب يعدهم بالاستجابة : ﴿ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ﴾(٣)

هكذا يؤكد لنا الحق ﷻ أن الدرجات العالية والمنازل الرفيعة تكون لمن جاهد فى سبيله ﷻ ، وتحمل من الأذى ما تحمل ، صابرًا محتسبًا.

فتنة الأذى :

بيد أننا نجد الكثير من الناس يمتنع عن الأعمال الصالحة وينصرف عن طُرق الخير بدعوى أنه ينأى بنفسه عن الأذى.

---

١ ـ القلم ـ ١ : ٤

٢ ـ الأحزاب ـ ٥٦ ، ٥٧

٣ ـ آل عمران ـ ١٩٥

بل يصل الأمر بالبعض إلى أن يأخذ على نفسه عهدًا وميثاقًا ألا يعمل خيرًا بعد ذلك إذا ما تعرض لأذى بسبب عمل صالح فعله ! أو طريق للخير سلكه فتلمح ذلك فى الكثير من أقوال الناس ، فمن قائل يقول : غلطان من يعمل خيرًا فى هذه الأيام ! وبدلاً من أن يتواصى الناس فيما بينهم بالحق والصبر ، كما أمرنا ﷻ فى سورة العصر ، أصبحوا يتواصون فيما بينهم بالأعراض عن العمل الصالح ! فيقول الصاحب لصاحبه : لا شأن لك بتلك الخصومة ، الرجل وابنه والرجل وزوجته ، ما لنا نحن ، دعهم وشأنهم لكى لا نسمع ما يؤذينا. وأصبح من الصعب العسير أن تجد من الناس من يقول كلمة حق فى وجه ظالم يدافع بها عن مظلوم ، فالكل ينأى بنفسه خوفًا من كلام الناس ، فيقول القائل : أنا طوال عمرى لم يقل أحد عنى إلا خيرًا ! ولا أتدخل فيما قد يُعرضُنى للأذى !

من صفات المُنافقين :

والحق أن هذا الذى ذكرنا من أحوال الكثير من الناس هو شُعبة من شُعب النفاق وصفة من صفات المُنافقين ، لأن المؤمن يُسارع فى كل عمل صالح يبتغى بذلك الأجر والثواب من الله. فإذا ما تعرض لأذى صبر واحتسب ذلك عند ربه طمعًا فى المزيد من الأجر. أما المُنافق أو من به شُعبة من النفاق فكما بين الله ﷻ حالهم فى كتابه الكريم ، فقال ﷻ : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾(١)

وبيان ذلك أن المؤمنين يجتنبون الفواحش والمعاصى خوفًا من عذاب الله ﷻ فإذا ما اجتنب هذا المُنافق العمل الصالح خوفًا من فتنة الناس بما يتعرض له من أذى ، فإنه بذلك يكون قد ساوى بين عذاب الله ﷻ وفتنة الناس.

---

١ ـ العنكبوت ـ ١٠ ، ١١

فكما أنه يمتنع عن المعاصى خوفًا من عذاب الله فإنه ، أيضًا يمتنع عن الكثير من أعمال الخير خوفًا من فتنـة الناس ، وتلك شُعبة من شُعب النفاق.

ويؤكد على ذلك الحق ﷻ فيقول :

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴾(١)

ويقول ﷻ : ﴿ الٓمٓ ۝ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾(٢)

فتنة وبلاء واختبار يُمحص به المولى ﷻ ما ندعيه من الإسلام والإيمـان كما قال ﷻ : ﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۡۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ﴾(٣)

ويقول ﷻ : ﴿ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾(٤)

لقد أصبح الناس يأخذون من الدين ما يوافق هواهم ، فيأتون من الفرائض والنوافل ما لا يُعرضهم لأذى ، من صلاة وصيام وحج ، أما ما قد يُعرضهم للأذى من قول الحق أو إصلاح بين الناس أو حمل أمانة فإنهم أبعد ما يكونون عنه !

فى سيرة الحبيب المُصطفى ﷺ مواقف من هذا القبيل.

---

١ ـ الحج ـ ١١

٢ ـ العنكبوت ـ ١ : ٣

٣ ـ البقرة ـ ٢١٤

٤ ـ آل عمران ـ ١٤٠ : ١٤٢

فيروى بشر بن الخصاصية ﷺ قال : أتيت رسول الله ﷺ أبايعه فاشترط أن لا إله إلا الله وأن مُحمد عبده ورسوله ، وأن أقيم الصلاة ، وأن أؤدى الزكاة ، وأن أحُج البيت ، وأن أصوم رمضان ، وأن أُجاهد فى سبيل الله.

فقلت : يا رسول الله أما اثنتان فوالله ما أطيقهما. الجهاد والصدقة.

قال بشر: فقبض النبى ﷺ يده ثم حركها (مُتعجبًا) ، ثم قال ﷺ :

لا جهاد ولا صدقة ، فلم إذن تدخل الجنة ؟!

فقلت : يا رسول الله أبسط يدك أبايعك. فبسط يده فبايعته عليهن كلهن }(١)

لا يريد عملاً صالحًا يُعرضه للأذى ، وهذا هو حال بعض المُنافقين الذين ظنوا بجلوسهم مع رسول الله ﷺ منزلة عالية ، ودرجة رفيعة ، لا يحتاجون معها لأن يُعرضوا أنفسهم للجهاد فى سبيل الله ﷻ ، وما فيه من أذى قد يلحق بهم فتخلفوا عن الجهاد ، فنزل القُرآن يعرض لنا حال هؤلاء المُنافقين.

يقول ﷻ : ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ۝ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾(٢)

حال المؤمنين :

فى مُقابل هؤلاء المُنافقين يبين لنا الحق ﷻ حال المؤمنين الذين يُحبهم ويُحبونه ، أصحاب إيمان حق ، وإسلام صدق ، ويقين لا يشوبه شك.

يقول ﷻ فى وصفهم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾(٣)

---

١ ـ أخرجه أحمد ـ ج ١ ص ٢٢١

٢ ـ التوبة ـ ٨١ ، ٨٢

٣ ـ المائدة ـ ٥٤

لا يبتغون بعملهم الصالح إلا رضا المولى ﷻ ، لا يبتغون أجرًا ولا ثناًء من الناس ، كما ذكر المولى ﷻ من قول المصطفين الأبرار :

﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾(١)

وقال أيضًا فى وصف المُتقين : ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾(٢)

فى ختام الأمر يقول ﷻ : ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾(٣)

الخُطبة الثانية :

فى أعقاب تحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام ، تكلم من تكلم من المُشركين ، وقالوا ما قالوا فى حق الإسلام ، وفى حق رسول الله ﷺ فشق ذلك على بعض الصحابة ﷺ ، فنزل قوله ﷻ :

﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾(٤)

المؤمن لا يخشى أن يقال فى حقه ما يقال من الباطل والأذى ، ما دام يطلب رضا ربه ﷻ ، فلا يُبالى بما يقوله هؤلاء الظالمون ، يقول ﷻ :

﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾(٥)

---

١ ـ الإنسان ـ ٩
٢ ـ الليل ـ ١٧ : ٢١
٣ ـ النازعات ـ ٣٧ : ٤١
٤ ـ البقرة ـ ١٥٠
٥ ـ آل عمران ـ ١٨٦

حقيقة الإرهاب

مُقدمة :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ أما بعد ،،،

فمن الكلمات التى حُرفت عن معناها الحقيقى وأُسىء استخدامها كلمة الإرهاب ، ووصف شخص ما بأنه إرهابى. وقد عُقدت مؤتمرات عالمية لم تنتهِ إلى تعريف مُحدد للإرهاب ، فقيل إن الإرهاب هو استخدام العنف لتحقيق أغراض مُعينة. وهنا ثارت العديد من الأسئلة ، فهل الذى يستخدم العنف ليرفع الظُلم عن نفسه ، أو يرد حقه الذى اغتُصب منه يُعد إرهابيًّا ؟ فلم يتفقوا على إجابة وافية.

وعلى الرغم من ذلك إلا أن الكثير من عُلمائنا قد انبروا يتحدثون فى خُطبهم ويكتبون فى مقالاتهم وكُتبهم ويأتون بالشواهد من القُرآن والسُنة ليصلوا إلى نتيجة واحدة ، وهى أن الإسلام ليس دين الإرهاب ، وإنما دين السلم والسلام وأن المُسلم أبعد ما يكون عن الإرهاب.

ونتوقف فى هذه الدقائق المعدودة لنستجلى حقيقة الإرهاب ومعناه ، وموقف الإسلام من الإرهاب فى ضوء معناه الحقيقى.

تعريف الإرهاب :

وبداية نقول إن أصل كلمة الإرهاب من الرهب ، بمعنى الخوف والروع ، فيقال أرهبه بمعنى روعه وأخافه.

قال ﷻ : ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ ﴾[1]

فارهبون بمعنى خافون ، فالخوف من الله ﷻ من المنازل المطلوبة.

قال ﷻ فى وصف رسله وأنبيائه : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾[2]

---

[1] ـ البقرة ـ ٤٠

[2] ـ الأنبياء ـ ٩٠

ومن الرهب اشتُقت كلمة الراهب ، بمعنى المُنقطع للعبادة خوفًا من الله ﷻ ومنه الرهبنة ، قال ﷻ عن أتباع نبيه عيسى عليه السلام :

﴿ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾(١)

مما سبق يتضح أن الرهبة بمعنى الخوف من الأمور المحمودة بل المطلوبة فى علاقة العبد بربه ، بل إن الإيمان لا يصح إلا بالخوف من المولى ﷻ. قال ﷻ :

﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(٢)

إن كنتم مؤمنين حقًا فخافوا الله ﷻ ولا تخافوا أحدًا سواه ، ولا ترهبوا أو تخافوا من الناس أن تقولوا كلمة حق ، ولو عند سلطان جائر.

وفى ذلك يقول رسول الله ﷺ : { ألا لا يمنعن أحدكم رهبة الناس أن يقول بحق إذا رآه أو شهده ، فإنه لا يُقرب من أجل ، ولا يُباعد من رزق أن يقول بحق }(٣)

<u>الصراع بين الحق والباطل :</u>

أما الإرهاب بمعنى إلقاء الخوف والرعب فى قلوب الناس فهو من الأمور المنهى عنها بين المُسلمين ، وغير المُسلمين المُسالمين ، قال ﷻ :

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾(٤)

أما أعداء الإسلام المُحاربين له فللإسلام معهم شأن آخر. قال ﷻ :

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾(٥)

---

١ ـ الحديد ـ ٢٧

٢ ـ آل عمران ـ ١٧٥

٣ ـ أخرجه أحمد فى مسنده من رواية أبى سعيد الخدرى ﷺ ج ٢ ص ٨٧

٤ ـ التوبة ـ ٦

٥ ـ الفتح ـ ٢٩

أشداء على الكفار المُحاربين للإسلام ، لأن الصراع بين الحق والباطل صراع دائم مُتصل ، من بداية الخلق ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ويبين لنا المولى أن عداء الكافرين للإسلام لا ينفك ولا ينتهى إلى قيام الساعة.

قال ﷻ : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ﴾(١)

لذلك فقد أمرنا المولى بأخذ كُل أسباب القوة وإعداد العُدة لردع أعداء الإسلام.

قال ﷻ : ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾(٢)

فالإرهاب بمعنى إلقاء الرعب والخوف فى قلوب أعداء الدين من الواجبات التى أمرنا الله ﷻ بها ، بل ووعدنا بها إن أخذنا بكل أسباب القوة لنصرة دين الله.

قال ﷻ : ﴿ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾(٣)

ويقول ﷻ فى شأن المُنافقين : ﴿ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾(٤)

أشد رهبة بقوتكم وشدة بأسكم وجدكم واجتهادكم. وفى ذلك يقول المُصطفى ﷺ مما فضله الله ﷻ وأكرمه به : { ونُصرت بالرعب مسيرة شهر }(٥)

بمعنى أن الله ﷻ نصرنى وأيدنى بإلقاء الرعب فى قلوب أعدائى ، وإن كان بينى وبينهم مسير شهر.

---

١ ـ البقرة ـ ٢١٧

٢ ـ الأنفال ـ ٦٠

٣ ـ آل عمران ـ ١٥١

٤ ـ الحشر ـ ١٢

٥ ـ متفق على صحته من رواية جابر بن عبد الله ﷺ { البخارى ـ ك التيمم ـ ب ١ ، مسلم ـ ك المساجد ح ٣ }

فضل القوة الأمينة :

فرسالة الإسلام لهداية الخلق أجمعين وإقامة الحق والعدل بين الناس فى سائر بقاع الأرض ، قال ﷻ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾(١)

وقال ﷻ : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾(٢)

لذلك فإن لواء الإسلام ودعوته لا يحملها الضعفاء ، ولا العجزة ، ولا الكسالى وإنما يحملها الأقوياء ، الجادون ، المُجاهدون ، قال ﷻ :

﴿ يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ﴾(٣)

قوة الإيمان وقوة العلم والعمل ، فالقوة فضل وتكريم ، قال ﷻ يذكر من دعوة نبيه هود عليه السلام لقومه : ﴿ وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ﴾(٤)

بيد أن القوة فى الإسلام قوة صلاح وإصلاح وهداية ، قوة تُقيم الحق وتُزهق الباطل ، تُقيم العدل ، وتُدحض الظُلم والبغى ، لذلك فقد ارتبطت القوة فى كتاب الله ﷻ بالأمانة. قال ﷻ : ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ۝ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ﴾(٥)

وزكّت إحدى بنات شُعيب نبى الله موسى عليه السلام بالقوة والأمانة : ﴿ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴾(٦)

---

١ ـ الصف ـ ٩

٢ ـ الأنبياء ـ ١٠٧

٣ ـ مريم ـ ١٢

٤ ـ هود ـ ٥٢

٥ ـ التكوير ـ ١٩ : ٢١

٦ ـ القصص ـ ٢٦

وتفاضل الجن فيما بينهم بالقوة والأمانة : ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴾(١)

القوة الأمينة تبنى ولا تهدم ، تُصلح ولا تُفسد ، إنها قوة الإسلام. أما قوة الكفر فقوة بغى وطغيان ، فيذكر المولى ﷻ من دعوة نبيه هود عليه السلام لقومه :

﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ۝ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ۝ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ۝ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾(٢)

والواقع يؤكد على ذلك ، فالدول الأوربية التى استعمرت إفريقيا سنوات طويلة واستنزفت ثرواتها لا تلتفت الآن للمجاعات والأمراض والأوبئة التى تفتك بشعوبها ولو أنفقوا ما يطعمون به كلابهم على تلك الدول لما حدثت بها تلك المجاعات.

غير المُسلمين :

والتاريخ يؤكد على تلك الحقيقة ، فلم يجد غير المُسلمين أمنًا وأمانًا إلا فى رحاب الدولة الإسلامية ، فحينما دخل الإسلام مصر استقبله أهلها استقبال الفاتحين لما كانوا يُلاقونه من الرومان من ظلم وتعذيب ، على الرغم من أنهم كانوا على ديانة واحدة ولكن اختلاف الملة جعل العداء يبلغ ذروته معهم وبعد أن دخل الإسلام مصر ساوى بين المُسلمين وغير المُسلمين ، فلهم ما لنا وعليهم ما علينا.

قال ﷻ : ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾(٣)

وكان اليهود فى أوروبا يعيشون حياة الذل والمهانة ، حتى وصل بهم الحال إلى أن يُبادوا فى أفران النازية وقت أن كانوا ينعمون بالأمن والأمان فى سائر البلاد الإسلامية ، وفى مصر كانوا أصحاب الأموال والتجارات الرابحة.

---

١ ـ النمل ـ ٣٩

٢ ـ الشعراء ـ ١٢٨ : ١٣١

٣ ـ الممتحنة ـ ٨

وهل هناك أعظم من أن ينزل الوحى ليُسطر فى كتاب الله ﷻ آيات بينات تُتلى إلى أن تقوم الساعة ليبرئ يهودى من تهمة السرقة التى ألصقها به مُنـافق يدعى الإسلام ، تسع آيات فى سورة النساء أولها قوله ﷻ : ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ﴾

وفيها قوله ﷻ : ﴿ وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً أَوۡ إِثۡمٗا ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـٔٗا فَقَدِ ٱحۡتَمَلَ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴾(١)

بيد أن اليهود حينما أرادوا أن يُقيموا لهم دولة يجتمعون فيها ، بعدما أصبحوا شتاتًا فى سائر بقاع الأرض ، لم يجدوا أضعف ولا أهون من المُسلمين لكى يحتلوا أرضهم ، ويستبيحوا أموالهم ، ويسفكوا دماءهم.

القوة والضعف :

ومن العجيب فى هذا الأمر أن الإنسان بفطرته التى فطره الله ﷻ عليها يُحب القوة ويكره الضعف ، وأكبر دليل على ذلك ما نراه فى هذا العصر ، فأصحاب الكُتب التى يُقدسونها ، ويقال لهم فيها : " من ضربك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر " لفظوا تلك التعاليم ، وأخذوا بكل أسباب القوة من علم وعمل ، ومن يعبدون ويُقدسون البقر صنعوا المُفاعلات النووية ، وملكوا الأسلحة الذرية ، وأصبحوا قوة لا يُستهان بها.

أين هذا من أُمة أُمرت بإعداد ما تستطيع من القوة ، فنبذت كتاب الله ﷻ وراء ظهرها وشُغلت باللهو واللعب ، وحطت من شأن العُلماء والعاملين المُجدين ورفعت من شأن السُفهاء والفاسدين ، وكرمتهم وجعلت منهم القدوة والأسوة فهم ملء السمع والبصر ، كُل يحكى عن تجاربه فى الفسق والفجور ، ويعُد ذلك نجاحًا وفلاحًا تم بتوفيق الله ﷻ ، وصدق فيهم قول الحق ﷻ :

---

١ ـ النساء ـ ١٠٥ : ١١٣

﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(١)

ثم نأتى الآن والمسجد الأقصى أسير فى أيدى اليهود الصهاينة لنقول : إن الإسلام دين سلم وسلام ، وأمن وأمان. ونُعلن فى كل وقت وحين لا للإرهاب ، وأن السلام والمُفاوضات مع اليهود خيارنا الوحيد.

فعلى من يكون السلام والأمان ؟!

على من دنسوا مُقدساتنا ، واحتلوا أرضنا ، وسفكوا دماءنا.

ولو كان حقًا لنا قوة وعزة وكرامة ورهبة فى قلوب أعدائنا لما تجرؤوا على ما فعلوه بنا.

فى ختام الأمر يقول أسعد الخلق ﷺ :

{ توشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها.

قالوا : أومن قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟

قال ﷺ : بل من كثرة ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من قلوب أعدائكم المهابة ، وليقذفن فى قلوبكم الوهن.

قالوا : وما الوهن يا رسول الله ﷺ ؟

قال ﷺ : حُب الدنيا ، وكراهية الموت }(٢)

والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل

---

١ ـ الأعراف ـ ٢٨

٢ ـ أخرجه أبو داود ـ ك الملاحم ـ ب فى تداعى الأمم على الإسلام ، وأحمد ج ٥ ص ٢٧٨ ، من رواية ثوبان ﷺ

الـفـرح

مُقدمة :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ أما بعد ،،،

فقد فطرنا الله ﷻ على حُب الخير والسعى فى طلبه ، وبُغض الشر واجتنابه نفرح بالخير ونحزن على ما فاتنا منه ونحزن إنا أصابنا شر ونفرح بالنجاة منه.

قال ﷻ : ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ۝ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴾(١)

وقال ﷻ أيضًا فى وصف حال الإنسان : ﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾(٢)

والإسلام دين الفطرة ، لا يأمرنا بما يُخالف ما فطرنا الله ﷻ عليه.

قال ﷻ : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٣)

فالفرح بالنعمة والخير أمر أباحه الله ﷻ ولم ينه عنه.

بيد أن الإسلام يُفرق بين نوعين من الفرح ، فرح محمود ، وفرح مذموم.

الفرح المحمود :

أما الفرح المحمود ففرح المؤمن بفضل الله عليه بعدما وفقه للصيام والقيام فى شهر رمضان ، فيحق له أن يفرح بتمام النعمة ، نفرح بالأجر والثواب.

يقول أسعد الخلق ﷺ : { إذا كان يوم عيد الفطر وقفت الملائكة على أبواب الطرق فنادوا : اغدوا يا معشر المُسلمين إلى رب كريم يمن بالخير ثم يثيب عليه الجزيل ، لقد أُمرتم بصيام النهار فصمتم ، وأُمرتم بقيام الليل فقمتم ، وأطعتم ربكم فاقبضوا جوائزكم.

---

١ ـ هود ـ ٩ ، ١٠

٢ ـ العاديات ـ ٨

٣ ـ الروم ـ ٣٦

فإذا صلوا نادى مناد : ألا إن ربكم قد غفر لكم فارجعوا راشدين إلى رحالكم فهذا يوم الجائزة. ويسمى هذا اليوم فى السماء يوم الجائزة }([1])

بالأمس القريب كان يوم المغفرة ، لقوله ﷺ :

{ فإذا كان آخر ليلة من ليالى رمضان غفر الله لهم جميعًا }([2])

ويوم العتق من النار ، لقوله ﷺ :

{ أوله رحمه ، وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار }([3])

واليوم يوم الجائزة ، يوم الأجر والثواب ، يوم الوفاء والعطاء ، فيحق لنا أن نفرح بفضل الله ﷻ وكرمه أن وفقنا للصيام والقيام وقراءة القُرآن.

<u>الفرح بنعم الله ﷻ :</u>

قال ﷻ : ﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴾([4])

المؤمن ينسب الفضل دائمًا وأبدًا لله ﷻ ، يسعى ويجد ويجتهد ويجنى ثمار نجاحه وهو موقن أن كل ذلك بفضل الله ﷻ وتوفيقه.

والحق ﷻ يذكرنا بنبيه سُليمان عليه السلام لما جىء له بعرش بلقيس فى لمح البصر.

﴿ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٞ ﴾([5])

وفى أعقاب غزوة بدر الكبرى ، وفيها كان النصر المبين ، روى([6]) أن بعض الصحابة ﷺ رجعوا يذكرون ما كان من أمرهم فى القتال. فهذا يقول قتلت فلانًا ورميت فلانًا ، وآخر يقول كذا وكذا ، فينزل القُرآن يرد المؤمنين إلى إيمانهم الحق ، فالفضل كله لله ﷻ ، قال ﷻ :

---

[1] ـ أخرجه الطبرانى فى الكبير ، من رواية أوس الأنصارى ﷺ ، ج ١ ص ٢٢٦ ح رقم ٦١٧

[2] ـ أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان ـ ش الصيام ـ ح رقم ٣٣٣١ ـ من رواية جابر بن عبد الله ﷺ

[3] ـ أخرجه ابن خزيمة فى صحيحه من رواية سلمان الفارسى ﷺ ك الصيام ب فضائل شهر رمضان ح رقم١٨٨٧

[4] ـ يونس ـ ٥٨

[5] ـ النمل ـ ٤٠

[6] ـ القرطبى ـ فى تفسير الآية ـ

﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(١)

ينزل القُرآن يؤكد على تلك الحقيقة التى تغيب عن الكثير فى نشوة النصر.

الفرح بطاعة الله ﷻ :

المؤمن الذى أشرق قلبه بنور الإيمان يفرح بطاعة الله ﷻ ، كما كان حال المُصطفى ﷺ. فعن أبى قتادة ﷺ قال : سُئل النبى ﷺ عن صوم يوم الاثنين.

فقال ﷺ : { ذلك يوم ولدت فيه ، وأنزل على فيه }(٢)

وفى الحديث المُتفق على صحته ، حينما قدم النبى ﷺ إلى المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء. فقال ﷺ ما هذا ؟ قالوا : يوم صالح نجى الله فيه نبيه موسى عليه السلام وبنى إسرائيل من عدوهم ، فصامه موسى عليه السلام.

قال ﷺ : نحن أحق بموسى منكم. فصامه ﷺ وأمر بصيامه.(٣)

كذلك فمن هديه ﷺ الفرح بإقامة الوليمة ، فكان ﷺ يوصى أصحابه بها عند الزواج ، فقال ﷺ لعبد الرحمن بن عوف ﷺ : { أولم ولو بشاة }(٤)

ولكنه ﷺ يحذرنا من الوليمة التى يدعى لها الأغنياء ويترك الفقراء. فيقول ﷺ : { شر الطعام طعام الوليمة ، يدعى لها الأغنياء ويترك الفقراء }(٥)

إدخال الفرح والسرور على الناس :

كذلك فمن أجل وأعظم الأعمال الصالحة إدخال السرور والفرح على الناس يقول أسعد الخلق ﷺ : { أحب العباد إلى الله تعالى أنفعهم للناس ، وأحب الأعمال إلى الله ﷻ سرور تُدخله على الناس }(٦)

---

١ ـ الأنفال ـ ١٧

٢ ـ أخرجه مسلم ـ كتاب الصيام ـ

٣ ـ البخارى ، مُسلم ـ ك الصوم ـ ب صيام يوم عاشوراء ، من رواية ابن عباس ﷺ

٤ ـ أخرجه البخارى ـ ك النكاح ـ ب الوليمة حق

٥ ـ أخرجه البخارى ـ ك النكاح ـ ب من ترك الدعوة فقد عصى الله ورسوله ، من رواية أبى هريرة ﷺ

٦ ـ أخرجه الطبرانى في الصغير من رواية عمر بن الخطاب ﷺ { الروض الدانى ج ٢ ح رقم ٨٦١ }

ويقول ﷺ أيضًا : { من لقى أخاه المُسلم بما يُحب ليسره بذلك ، سره الله يوم القيامة }(١)

الفرح المذموم :

فرح البطر والجحود :

وفى مُقابل ذلك ينهانا المولى ﷻ عن فرح البطر والجحود ونكران نعم الله ﷻ.

قال ﷻ : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾(٢)

الفرح المنهى عنه فى الآية هو فرح البطر والجحود ، فرح يُنسى العبد حقوق ربه ﷻ عليه فيما رزقه به من النعم ، ويضرب لنا الحق ﷻ مثلاً لهذا الفرح المذموم فى قصة قارون ، وما كان من شأنه مع قومه.

يقول ﷻ : ﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ۝ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾(٣)

والمُصطفى ﷺ يُعلمنا أن ننسب الفضل دائمًا وأبدًا لله ، فيقول(٤) : من قال حين يُصبح اللهم ما أصبح بى من نعمة فمنك أنت وحدك لا شريك لك ، فلك الحمد ولك الشكر ، فقد أدى شكر يومه ، ومن قال مثل ذلك حين يُمسى فقد أدى شكر ليلته.

---

١ ـ أخرجه الطبرانى فى الصغير من رواية أنس بن مالك ﷺ بسند حسن { الروض الدانى ج ٢ ح رقم ١١٧٨ }

٢ ـ الحديد ـ ٢٢ ، ٢٣

٣ ـ القصص ـ ٧٦ ، ٧٧

٤ ـ أخرجه أبو داود ـ ك الأدب ـ ب ما يقول إذا أصبح ، من رواية عبد الله بن غنام ﷺ

فرح التخلف عن الطاعة :

ونوع آخر من الفرح المذموم ذكره الحق ﷻ فى كتابه الكريم ، هو فرح المُتخلفين عن طاعة الله ﷻ ، الذين أغواهم الشيطان وسول لهم وأملى لهم يظنون فى التخلف عن الجهاد والإنفاق فى سبيل الله ﷻ فوزًا ونجاة لهم.

يقول ﷻ : ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ۝ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ۝ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴾(١)

صنف آخر يتخلف عن أداء الزكاة والصدقات ويظن أن فى ذلك حفظًا لأمواله فيفرح بكثرة المال ويغفل عن حق الله ﷻ فى هذا المال. قال ﷻ : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾(٢)

وفى هذا المقام يقول أسعد الخلق ﷺ :

{ يجاء بابن آدم فيوقف بين يدى الله ﷻ ، فيقول الله ﷻ له :

أعطيتك وخولتك وأنعمت عليك ، فماذا صنعت ؟

فيقول : يا رب جمعته وثمرته ، فتركته أكثر مما كان ، فارجعنى آتيك به.

فيقول له ﷻ : أين ما قدمت ؟

قال ﷺ : فإذا العبد لم يقدم خيرًا فيُمضى به إلى النار }(٣)

---

١ ـ التوبة ـ ٨١ : ٨٣

٢ ـ آل عمران ـ ١٨٠

٣ ـ أخرجه الترمذى ـ ك صفة القيامة والرقائق والورع ـ ب رقم ٦ ، من رواية أنس ﷺ

الفرح بالمعصية :

صنف آخر من الناس يفرح بالمعصية ، ويظن أنه حاز خيرًا عظيمًا مما اقترف من الذنوب والآثام ، يفرح بالغش والخداع وأنه احتال على الناس وجمع من المال الكثير ، يفرح بالفسق والفجور وما استمتع به من ملذات وشهوات.

وفى أمثال هؤلاء يقول ﷺ فى الحديث المُتفق على صحته :

{ كل أمتى معافى إلا المُجاهرين. قيل من هم يا رسول الله ؟

قال ﷺ : من أمسى يعمل العمل فى معصية الله تعالى ، فستره الله فيُصبح يفضح ستر الله ، يقول يا فلان عملت البارحة كذا وكذا.

بات يستره الله ويُصبح يكشف ستر الله عنه }(١)

الفرح بالدعاوى الكاذبة :

نوع آخر من الفرح المذموم فى القُرآن ، هو فرح الذين يُحبون الرياء والنفاق ويتظاهرون بالأعمال الصالحة ، حتى وإن لم يعملوها ، يقول ﷻ :

﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(٢)

وفى ذلك يقول رسول الله ﷺ : { من ادعى دعوى كاذبة ليتكثر بها لم يزده الله إلا قلة }(٣)

والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل

---

١ - البخارى - ك الأدب - ب ستر المؤمن على نفسه ، مسلم - ك الزهد والرقائق - ب النهى عن هتك الإنسان ستر نفسه ، من رواية أبى هريرة ﷺ

٢ - آل عمران - ١٨٨

٣ - أخرجه مسلم - ك الإيمان - ب رقم ٤٧ - من رواية ثابت بن الضحاك ﷺ

الحُـزن

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ أما بعد ،،،

فالحُزن توجع القلب لما فات الإنسان مما يظنه خيرًا له ، وأسف على امتناع ما يُحب ويرغب أن يناله أو يصل إليه. والحُزن ليس من المقامات المطلوبة ، ولا المنازل المرغوبة والسُبل المقصودة ، ولكن العبد ينزل إليه بالضرورة ، فالحُزن ابتلاء وامتحان للإنسان وتمحيص لقوة الإيمان. وذهاب الحُزن فضل ونعمة من المولى ﷻ ، قال ﷻ فى ذكر أهل الجنة وما هم فيه من النعيم المُقيم :

﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾(١)

النهى عن الحُزن :

وقد ورد الحُزن فى القُرآن الكريم فى أكثر من موضع على سبيل النهى عنه ففى بداية الدعوة فى مكة ورسول الله ﷺ يلاقى أشد العنت والتكذيب والإيذاء من قومه ، تنزل الآيات الكريمة تُثبت وتُطمئن رسول الله ﷺ ومن آمن معه.

يقول ﷻ : ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ۝ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾(٢)

ويقول ﷻ : ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾(٣)

ويقول أيضًا ﷻ : ﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾(٤)

وفى هجرته ﷺ يوصى صاحبه أبا بكر الصديق ﷺ بالثقة بالله ﷻ وينهاه عن الحُزن ، يقول ﷻ : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾(٥)

---

١ ـ فاطر ـ ٣٤

٢ ـ النحل ـ ١٢٧ ، ١٢٨

٣ ـ يونس ـ ٦٥

٤ ـ يس ـ ٧٦

٥ ـ التوبة ـ ٤٠

وفى المدينة بدأت مرحلة جديدة من الجهاد فى سبيل الله ، قدم المُسلمون فيها أروع الأمثلة فى التضحية والفداء ، ينزل القُرآن بالتأييد والوعد بالنصر المبين.

يقول ﷻ : ﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾(١)

لا تهنوا ولا تحزنوا على ما أصابكم فى سبيل الله واسألوه القبول والثواب.

فقه النهى عن الحُزن :

والنهى عن الحُزن لا يعنى أن الإسلام ينهى عما يعترى الإنسان من أحزان فيما يواجهه من بلاء ومصائب ، فهذا محال ويُخالف طبيعة الإنسان التى فطره الله ﷻ عليها ، إنما يعنى ألا يستبد الحزن ويشتد بالمرء حتى يصل به إلى الهم والغم واليأس والقنوط. قال ﷻ : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ۝ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴾(٢)

لا تفرحوا فرح بطر وجحود يُنسيكم فضل الله ولا تحزنوا حُزن سخط يبعث فى النفس اليأس. قال ﷻ : ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾(٣)

والحبيب المُصطفى ﷺ يضرب لنا المثل فى نفسه ، ففى وفاة ابنه إبراهيم يقول ﷺ : { إن العين لتدمع ، وإن القلب ليحزن ، ولا نقول إلا ما يُرضى الله ، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون }(٤)

إن الإنسان إذا ترك نفسه فريسة للأحزان تضاعفت عليه واستبدت به ، وربما تصل به إلى اليأس والقنوط والقعود عن العمل.

---

١ - آل عمران - ١٣٩

٢ - الحديد - ٢٢ ، ٢٣

٣ - البقرة - ١٥٥ : ١٥٧

٤ - أخرجه البخارى - ك الجنائز - ب قول النبى ﷺ إنا بك لمحزونون ، من رواية عبد الرحمن بن عوف ﷺ

لذلك كان النبى ﷺ يقول فى دعائه : { اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل ، والبخل والجبن ، ومن غلبة الدين وقهر الرجال }(١)

وعن أبى سعيد الخُدرى ﷺ قال : { دخل رسول الله ﷺ المسجد فإذا برجل من الأنصار هو أبو أمامة ﷺ. فقال ﷺ : يا أبا أمامة ما لى أراك جالسًا فى المسجد فى غير أوقات الصلاة. قال : هموم لزمتنى وديون يا رسول الله.

قال ﷺ : أفلا أعلمك كلامًا إذا أنت قلته أذهب الله همك وقضى دينك.

قال : بلى يا رسول الله. قال ﷺ : إذا أصبحت وأمسيت فقل : اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن ، وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الجُبن والبُخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال.

قال : فلما قلت ذلك أذهب الله ﷻ همى وقضى دينى }(٢)

ومعنى الحديث أن أبا أمامة لما قال ذلك الدعاء وأيقن به طرد اليأس والقنوط عن نفسه ، وقام نشيطًا مُعافى يعمل ويتكسب من عمله حتى استطاع أن يُسدد ديونه ويُذهب بذلك همومه ، ولا يعنى أبدًا ما يظنه البعض أن كلمات قليلة فى الدعاء تُغنى عن السعى فى طلب الرزق فهذا مُخالف لسُنن الله فى كونه وهديه ﷺ.

وفى هذا المقام أيضًا يقول أسعد الخلق ﷺ : { ما أصاب أحدًا قط هم ولا حزن فقال : اللهم إنى عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، ناصيتى بيدك ، ماض فى حكمك.

عدل فى قضائك أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو علمته أحدًا من خلقك ، أو أنزلته فى كتابك ، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك ، أن تجعل القُرآن ربيع قلبى ، ونور صدرى ، وجلاء حُزنى ، وذهاب همى.

إلا أذهب الله همه وحزنه ، وأبدله مكانه فرجًا. وفى رواية فرحًا.

قيل يا رسول الله أفلا نتعلمها ؟ قال ﷺ : بل ينبغى لمن سمعها أن يتعلمها }(٣)

---

١ - أخرجه البخارى ـ ك الدعوات ـ ب التعوذ من غلبة الرجال ، من رواية أنس بن مالك ﷺ

٢ - أخرجه أبو داود فى سننه ـ ك الصلاة ـ ب الاستعاذة.

٣ - أخرجه أحمد فى مسنده ـ ج ١ ص ٣٩١ ، ٤٥٢ من رواية عبد الله بن مسعود ﷺ وصححه الحاكم ك الدعاء والتكبير والتهليل ح رقم ١٨٧٧

وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال[1] : نظر إلى رسول الله ﷺ ذات يوم فقال : يا جابر مالى أراك مهمومًا ؟ قلت يا رسول الله استُشهد أبى وترك دينًا وعيالاً.

فقال ﷺ : ألا أخبرك ، ألا أبشرك ؟ قلت بلى بشرك الله بالخير يا رسول الله.

قال ﷺ : إن الله تعالى ما كلم أحدًا قط إلا من وراء حجاب أو يُرسل رسولا.

قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾[2]

وإن الله تعالى كلم أباك كفاحًا (مواجهة) فقال سلنى أعطيك.

(وفى رواية تمنى على عبدى ما شئت أعطيك)

قال يا رب ما عبدتُك حق عبادتك ، أتمنى عليك أن تردنى إلى الدنيا فأُقاتل فى سبيلك وأُقتل فيك مرة أخرى. قال تعالى : إنه قد سبق القول منى إنهم إليها لا يرجعون. قال يا رب فأبلغ من ورائى. فأنزل الله تعالى قوله :

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۝ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[3]

وفى هذا المقام أيضًا يقول رسول الله ﷺ فى الحديث :

{ لو تعلمون ما أُدخر لكم ما حزنتم على ما زوى عنكم }[4]

<u>الحُزن والسخط :</u>

إن الإنسان إذا ما ترك نفسه للأحزان ووساوس الشيطان ربما يصل إلى اليأس والقنوط من رحمة الله ﷻ ، وذلك من ضعف الإيمان ، بل ربما انعدامه بالكلية من قلب العبد.

---

[1] ـ أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ـ ك غزوة أحد ـ ب فضل شهداء أحد ج ٣ ص ٢٩٨

[2] ـ الشورى ـ ٥١

[3] ـ آل عمران ـ ١٦٩ : ١٧١

[4] ـ أخرجه أحمد من رواية العرباض بن سارية ﷺ ج ٤ ص ١٢٨ بسند صحيح (فيض القدير ج ٥ ص٣١٧)

يقول ﷻ فى معرض الحديث عن نبيه وخليله إبراهيم عليه السلام لما جاءته البشرى بابنه إسماعيل عليه السلام :

﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ۝ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ۝ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾[1]

وذكر الحق ﷻ قول نبيه يعقوب عليه السلام : ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[2]

والمُصطفى ﷺ يبين لنا أن الرضا بقضاء الله ﷻ والثقة به ﷻ هو سبيل الفرح والروح ونبذ اليأس والقنوط ، فيقول ﷺ : { إن الله ﷻ بقسطه وعدله جعل الفرح والروح فى الرضا واليقين ، وجعل الهم والحزن فى الشك والسخط }[3]

أعرف من الناس من مات حسرًا وحزنًا على مال ضاع منه ، أو لفقد حبيب عزيز عليه ، أو لضياع منصب كان يصبو إليه ، كل أمثال هؤلاء هم عبيد للدُنيا وشهواتهم ، ولو كان فى قلوبهم بصيص من نور الإيمان لصبروا واحتسبوا. وفى أمثال هؤلاء يقول ﷺ : { تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش ، إن أُعطى رضى وإن لم يُعط سخط }[4]

إن الإيمان والثقة بالله ﷻ واتباع هدى رسول الله ﷺ يجعل المؤمن فى منعة من اليأس والقنوط ، يتجاوز همومه وأحزانه ، ويجد ويجتهد فى قضاء ما عليه من واجبات ، فيأتيه العون والمدد من المولى ﷻ ، وهذا ما وعدنا به الحق ﷻ فى كتابه الكريم ، فقال ﷻ : ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[5]

---

[1] ـ الحجر ـ ٥٤ : ٥٦

[2] ـ يوسف ـ ٨٧

[3] ـ أخرجه البيهقى فى الشعب من رواية أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه الشعبة الخامسة فى أن القدر خيره وشره من الله.

[4] ـ أخرجه البخارى ـ ك الجهاد والسير ـ ب الحراسة فى الغزو ، من رواية أبى هريرة رضي الله عنه

[5] ـ البقرة ـ ٣٨

فهرس الكتاب

م	الموضوع	الصفحة
	مُقدمة	٢
	خُطب الثورة	٤
١	العدل أساس الأمن	٥
٢	صناع الظُلم والفساد	١٣
٣	تُجار الدين	١٩
٤	ولا تقف ما ليس لك به علم	٢٦
٥	الأنانية	٣٣
٦	الجدال	٤٠
٧	الوحدة سبيل البناء	٤٧
٨	سُنة الاختلاف	٥٥
	خُطب فى الفقه وأصوله	٦٢
٩	شرع الله فهمًا وتطبيقًا	٦٣
١٠	مقاصد التشريع	٧٠
١١	فقه الأولويات	٧٨
١٢	الحُقوق قبل الصدقات	٨٥
١٣	منزلة العقل	٩٠
١٤	بين العقل والنقل	٩٨
١٥	فقه الواقع	١٠٤
	تابع خُطب الفقه وأصوله	
١٦	النظام	١٠٨
١٧	القوانين الوضعية	١١٤
١٨	درء المفاسد وجلب المنافع	١٢٠
١٩	فروض الكفاية	١٢٧
٢٠	الوقاية من الأمراض	١٣٢
	خُطب فى المُناسبات	١٣٨
٢١	هجرة بلا مُعجزات	١٣٩
٢٢	العرب قبل البعثة	١٤٦
٢٣	الشوق	١٥١
٢٤	المسجد الأقصى	١٥٧
٢٥	دوام الذكر	١٦٢
	خُطب مُتنوعة	١٦٨
٢٦	خير الأُمم	١٦٩
٢٧	فتنة الأذى	١٧٥
٢٨	حقيقة الإرهاب	١٨٢
٢٩	الفرح	١٨٩
٣٠	الحُزن	١٩٥

الكاتب فى سطور

- على جمال الدين محمد جمال الدين
- مواليد القاهرة فى ١٩٦٢/٧/١١
- خريج كلية التجارة - جامعة عين شمس - دفعة مايو ١٩٨٥
- وكيل وزارة بالجهاز المركزى للمحاسبات
- حاصل على عضوية جمعية المحاسبين والمراجعين المصرية عام ١٩٩٨ - وزمالة الجمعية عام ٢٠٠٩
- بدأ الخطابة بمساجد وزارة الأوقاف المصرية منذ عام ١٩٨٣
- خريج معهد إعداد الدعاة عام ١٩٨٨ { أول دفعة }
- اشترك فى تحقيق كتاب { معانى القُرآن وإعرابه للزجاج } (خمسة أجزاء) طبعة دار الحديث - بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور / عبد الجليل شلبى - رحمة الله عليه - الأمين العام السابق لمجمع البحوث الإسلامية.
- جمع أربعين خطبة من خطبه المنبرية فى كتابه المنشور بعنوان { الموضوعية فى الخُطب المنبرية } طبعة دار المنار.
- أعد كتاب بعنوان { مواضع الوقف اللازم فى القرآن الكريم ، ومعه رسالة فى الوقف والابتداء للمُتخصصين من القراء } طبعة دارالمنار.
- كُتب منشورة للكاتب على مواقع التواصل الاجتماعى :
- {أحكام الزكاة بين الواقع المعاصر وفقه القرون الأولى }
- { السنة النبوية بين الظن و اليقين }
- { ضرورة تنقية كتب التراث }
- { فقة المقاصد الشرعية لتطبيق الشريعة الإسلامية }